الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية

قسم التاريخ و علم الآثار

الموريسكيون الاندلسيون
في المغرب الاوسط
خلال القرنين 16 و 17م

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد :
خليفي هلايلي

إشراف :
د. عبد الحميد حاجيات

السنة الجامعية : 1999 - 2000

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أحق الناس بالصحبة

إلى من بدعواتهما صغت أوراق هذه الفسيلة

الوالدين الكريمين . . .

إلى من دفعني إلى معترك الحياة بثقة و اعتزاز

أخي عبد القادر . . .

إلى إخوتي و أخواتي . . .

إلى كل الشرفاء في هذا الوطن . . .

مختصرات البحث

A.E.S.C. … Annales, Economie, Sociétés, Civilisations.

R.A … Revue Africaine

R.H… Revue Historique

R.H.M… Revue d'histoire Maghrebine

R.H.M.C..Revue d'histoire moderne et Contemporaine

C.I.E.M. … أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية الأندلسية

- س.م.ش … سجلات المحاكم الشرعية

المقدمة:

عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ما بين القرنين الخامس عشر و السادس عشر الميلاديين، تحولات هامة قلبت موازين القوى في المنطقة لعدة قرون لاحقة.

و من أهم هذه التحولات الجديدة، سقوط بلاد الأندلس بين أيدي الإسبان المسيحيين، و طرد المسلمين منها. فكان ملجأهم شمال إفريقيا، ملاحقين من طرف الإسبان و البرتغال، اللذين إحتلا عدة مواقع إستراتيجية في كل من المغرب و الجزائر و تونس و ليبيا.

و سجل سقوط غرناطة بداية لعصر جديد، يتميز بالفوضى و عدم التوازن و دخول العالمين الإسلامي و المسيحي في مواجهة جديدة.

و كرد فعل على هذا المد المسيحي على البلاد الإسلامية. ظهرت في الحوض الغربي للبحر المتوسط في بداية القرن 16م، قوة جديدة و المتمثلة في الأتراك العثمانيين. و كان لنشاطهم العسكري في البحر دور كبير في التصدي للحملات المسيحية، خاصة بعد قيام إيالة الجزائر.

إن الإهتمام بالتاريخ الموريسكي الأندلسي، الذي يمتد من سقوط غرناطة سنة 1492م. و إلى غاية الطرد النهائي للمسلمين سنة 1609م. يعتبر موضوعا جديدا في البلدان العربية و الإسلامية.

و قد إهتم الباحثون العرب لفترة طويلة بدراسة تاريخ الأندلسيين في فترة ازدهار حضارة الإسلام بها، نتيجة توفر المصادر الأندلسية و تنوعها. في حين أن مصادر تاريخ مأساة الموريسكيين بإسبانيا بعد سسقوط غرناطة، تتمثل في سجلات دواوين محاكم التفتيش التي غطت تقريبا كل جوانب الإضطهاد المسيحي للمسلمين و نتائجه.

و لا توجد اليوم قرية و لا مدينة إسبانية، في الأندلس خاصة، إلا و لديها ملفات ضخمة عن الموريسكيين الأندلسيين.

و قد عمل المؤرخون الغربيون على استنطاق تلك الملفات، و اعتبروا موضوع الموريسكيين موضوعا أوروبيا قبل أن يكون موضوعا إسلاميا[1]. و كان من ذلك أن تنوعت الدراسات الموريسكية بأقلام أوروبية مسيحية [2].

تعد المأساة الموريسكية إحدى المعطيات الثابتة، التي سيطرت على أحداث القرن السادس عشر في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

و لاشك أن ارتباطها و تأثيرها على البلاد الإسلامية كان أشد وقعا مما كان عليه في البلدان الأوروبية.

لقد منح الموريسكيون لتاريخ الإنسانية و الأمة الإسلامية أروع الأمثلة في البطولة، دفاعا عن معتقداتهم الدينية و مقاومين سياسة الإندماج و التعميد القسري ببسالة. فمأساة الطرد الجماعي و غير الإنساني للموريسكيين، تشهد أنه لم يكن مجرد طرد أو تهجير حقيقي لمجموعة بشرية، و لكن يمكن اعتباره إبادة جماعية. و إنطلاقا من ذلك، فقد فرضت بالقوة سياسة الإحتواء الثقافي و الديني، و مارست محاكم دواوين التفتيش قمعا حقيقيا.

إن ما حل بالموريسكيين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة و حتى الطرد النهائي، يعد أبشع و أخطر اضطهاد عرفه التاريخ الأوروبي في العصر الحديث.

و كانت سياسة (المسخ) و الذوبان التي طبقت على المجتمع الإسلامي بالأندلس بعد سقوطها، وراء الهجرة التلقائية للمسلمين إلى شمال إفريقيا.

اقتصرت الدراسات التاريخية التي تناولت الحضور رالأندلسي بالمغرب العربي على تونس و المغرب الأقصى، في حين بقيت الأبحاث الأندلسية بالجزائر شحيحة

---

[1] أحصت الباحثة الفرنسية مارتيني رافيلار (M. Ravillard)، في بحثها عن البيليوغرافيا التحليلية للموريسكيين حتى سنة 1982. حوالي 2201 عنوانا (مصادر و دراسات). انظر أطروحتها:

- Martine (Nicole), Ravillard, Bibliographie commentée des Morisques, documents imprimes de leur origine à 1982, thèse inédite, Paris, 1983, 2 Tomes.

و نشر التميمي، بيبليوغرافيا هامة عن الدراسات الموريسكية شملت 3577 عنوانا: عبد الجليل، التميمي، البيبليوغرافيا العامة للدراسات الموريسكية الأندلسية، زغوان: سيرمدي، 1995.

[2] تعد مؤسسة التميمي من أنشط المخابر المعرفية على الساحة الدولية، لكل ما يتعلق بموضوع الموريسكيين، و قد نظم المركز ثمانية مؤتمرات عالمية، تنصب كلها في علم الموريسكولوجيا.

و سطحية، لم تقدم لنا معلومات دقيقة عن أماكن استقرار الجالية الأندلسية و تنظيماتها بالجزائر خاصة في العهد العثماني.

و من هذا المنطلق كان اختيارنا لموضوع الرسالة، و ذلك إسهاما منا في التعريف بالدور الذي لعبته إيالة الجزائر و بروزها كقاعدة خلفية للدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط؛ و تشجيعها لحركة انقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم، و العمل على إستقرارهم بالإيالات (المغاربية) الجزائر و تونس.

و لعل بتأسيس الحكم العثماني بمدينة الجزائر (1519م) و بروزها كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الإسباني –العثماني، و النشاط البحري الذي بذله الإخوة بربروسة **(عروج و خير الدين)**، في الحوض الغربي للمتوسط من حملات بحرية على السواحل الإسبانية، و العمل على إستغاثة الموريسكيين و نقلهم إلى بر الأمان. و هو الأمر الذي أعطى لمدينة الجزائر سمة و شهرة في المنطقة المتوسطية، إستقطبت حكومات **شارل الخامس** و **فليب الثاني**، و اللذين سيعملان جاهدين على تكثيف حملاتهم للحد من التوسع العثماني في المنطقة.

و كان اهتمامنا بنشاط الجالية الأندلسية في الجزائر في العهد العثماني، حيث ساهم استقرارهم في التأثير في التاريخ الجزائري عند مطلع العصر الحديث.

تناولنا موضوع هجرات الموريسكيين الأندلسيين و اسهاماتهم الحضارية في المغرب الأوسط خلال القرنيين 16 و 17م. من خلال مدخل تاريخي و أربعة فصول.

المدخل ضم ثلاثة نقاط:

1- ظهور الوحدةالإسبانية و بداية المشكل الموريسكي.

2- أوضاع شمال إفريقيا قبيل مجيئ الأتراك العثمانيين.

3- النشاط الإسباني في شمال إفريقيا و دخول العثمانيين منطقة غربي البحر الأبيض المتوسط.

و يشمل الفصل الأول من البحث مواجهة الأندلسيين للمد المسيحي بعد سقوط غرناطة، من خلال ثلاثة مباحث. في المبحث الأول تناولنا فيه وضعية الأندلسيين في عهد الملكين الكاثوليكيين (فرديناند و إيزابيلا)، و المبحث الثاني تناولنا فيه سياسة التنصير و الادماج التي جابهها الموريسكيون، و وضحنا مراحل المقاومة الموريسكية، من أجل إحباط سياسة الإحتواء الديني و الحضاري.

أما المبحث الثالث فدرسنا فيه المشكل الموريسكي بكل أبعاده في عهدي **فليب الثاني** و **فليب الثالث**، مركزين عن أسباب صدور قرار الطرد النهائي للموريسكيين و موقف هؤلاء من هذا النفي.

و قسمنا الفصل الثاني إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول درسنا فيه موضوع إنعكاسات طرد الموريسكيين من إسبانيا و ما ترتب عنه.كما تعرضنا إلى تطور مواقف السلطات العثمانية تجاه القضية الموريسكية. و خصصنا المبحث الثاني لأهم الهجرات التي سلكها الموريسكيون، و ظروف انتقالهم إلى الأراضي المهاجر إليها.

و ركزنا الحديث على مساعي الدولة العثمانية و إهتماماتها بخصوص الهجرة الأندلسية.

أما المبحث الثالث فخصصناه لموقف فقهاء الإسلام من حكم الهجرة الأندلسية، و ركزنا على الدور التكاملي لفتاوي كل من الونشريسي و المغراوي بشأن الهجرة أو البقاء.

أما فيما يتعلق بالفصل الثالث، فخصصنا الحديث فيه عن مراحل الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط من خلال أربعة مباحث.

المبحث الأول تطرقنا فيه إلى الهجرة الأندلسية قبل سقوط غرناطة.أما المبحث الثاني تناولنا فيه الهجرة بعد سقوط غرناطة و مميزاتها.

و في المبحث الثالث، تناولنا الهجرة الموريسكية الأخيرة، و ظروف إستقبالهم، و في المبحث الرابع إستعرضنا هجرة يهود شبه الجزيرة الإيبرية إلى المغرب الأوسط، و أشرنا إلى نشاطهم الاقتصادي و الاجتماعي، و تحدثنا عن دورهم في تنظيم الطائفة اليهودية بالجزائر العثمانية و تأطيرها سياسيا و دينيا.

أما الفصل الرابع، فقد حاولنا من خلاله تناول ميادين المساهمة الحضارية للأندلسيين في إيالة الجزائر و أهم الأنشطة التي مارسوها.

و قسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث، فذكرنا في الأول النشاط الاداري و العسكري للأندلسيين، و لا نبالغ إذا قلنا أنه كان لهؤلاء المهاجرين دورا فعالا في تثبيث قواعد الحكم العثماني بالجزائر، نظرا للمساعدات التي قدموها للأتراك العثمانيين، في التصدي للحملات الإسبانية من جهة، و القضاء على الإمارات المحلية المناهضة للنظام العثماني من جهة أخرى.

و تحدثنا في المبحث الثاني عن النشاط الأندلسي في الميدان الاقتصادي، و المبحث الثالث خصصناه للنشاط الاجتماعي، و تعرضنا لأوضاعهم الاجتماعية، و عن مساهماتهم في انشاء أوقاف خاصة بهم، رصدتها لنا سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري.

و في المبحث الرابع تناولنا النشاط الأندلسي في الميدان الثقافي و العمراني.

و ختمنا الفصل بظروف انكماش نشاط الجالية الأندلسية في المجتمع الجزائري مع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي.

و أنهينا البحث بخاتمة، أبرزنا فيها بعض النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة.

و لعل أهم المشكلات التي واجهتنا في بداية عملنا، هي قلة المصادر التي تعالج مضمون الرسالة، و تغطي جوانب خطتها، مما تطلب منا القيام بعدة سفريات إلى الخارج بحثا عن تلك المصادر.

و بصورة عامة كانت زيارتي لتونس مرتين، حيث وفدت على مؤسسة التميمي للبحث العلمي و المعلومات، و هو مركز يهتم بالدراسات العثمانية و الموريسكية الأندلسية. و استفدت من أرصدة المعلومات المتوفرة لديه، من كتب و مونوغرافيا و أطروحات تهم موضوع رسالتنا.

و انتقلت عدة مرات إلى الجزائر العاصمة، حيث زرت المكتبة الوطنية، و مركز الأرشيف الوطني، و إستفدت من الوثائق الموجودة فيه، و خاصة فيما يتعلق بالفرمانات التركية العثمانية المعربة، و سجلات المحاكم الشرعية التي رصدت نشاط الجالية الأندلسية في الجزائر في العهد العثماني.

و رجعنا في انجاز هذه الرسالة إلى مجموعة من الوثائق و المصادر باللغتين العربية و الأجنبية، فاعتمدنا كثيرا على الدراسات التي وردت في المؤتمرات العالمية المهتمة بالتاريخ الموريسكي الأندلسي.

أما بخصوص سجلات المحاكم الشرعية، فقد رجعنا إلى الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية للرصيد العثماني، و هذا بغرض العثور على الوثائق التي تهتم بنشاط الأندلسيين في الجزائر في العهد العثماني[1] .

و تصفحنا مخطوطين، الأول غزوات عروج و خير الدين، الذي تعرض إلى المساهمة الفعالة لإيالة الجزائر من أجل انقاد مسلمي الأندلس و هذا خلال فترة حكم **خير الدين** بربروسة. أما المخطوط الثاني، قانون أسواق الجزائر و الذي ينسب إلى **عبد الله بن محمد الشويحات** حسب اطلاعنا عليه، و الذي يرجع تاريخ تأليفه إلى عام 1116هـ/1703م.

---

[1] شهاب الدين، يلس و ناصر الدين، سعيدوني، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية، للرصيد العثماني، (1058-1279هـ / 1648-1862م)، الجزائر، 1981

فقد استفدنا من جرده لأهم الأسواق السائدة في الجزائر أثناء الفترة العثمانية، و حاولنا مقارنتها بما جاء ذكره في العقود الشرعية.

و من المصادر التي عرفت بدور الأندلسيين الجهادي في الجزائر، كتابات **هايدو** (Haedo) في (تاريخ ملوك الجزائر) و (طبوغرافيا و التاريخ العام لمدينة الجزائر). و قد اعتمد جل المؤرخين الذين كتبوا عن العهد العثماني على كتاباته، و يمتاز عمله بدقة الوصف و الملاحظة . ولم يكن هذا الراهب منصفا في معظم القضايا التي عالجها، إذا علمنا أنه كان سجينا في الجزائر ما بين سنوات 1578-1581م.

و قد أورد **الحسن الوزان** في كتابه (وصف إفريقيا) إشارات عن الجالية الأندلسية بالجزائر، و خاصة في مدينة شرشال، كما نوه **مارمول** (Marmol) المؤرخ و الجغرافي الإسباني في كتابه (وصف عام لإفريقيا) عن الدور العسكري للأندلسيين في إيالة الجزائر.

و كانت بعض الدراسات مادة أساسية في كتابة بعض المباحث، منها دراسات **ناصر الدين سعيدوني** :" الموريسكيون (الأندلسيون) بمقاطعة الجزائر، أثناء القرنين 16 و 17م" و كذا "صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر"، حيث تناول مراحل الوجود الأندلسي بالجزائر. و إلى جانب ذلك رجعت إلى دراسته القيمة حول "أوقاف الاندلسيين بالجزائر من خلال وثائق الأرشيف الجزائري".

و من بين المقالات التي تناولت موضوع الإسهام الحضاري الأندلسي في المغرب العربي و خاصة الجزائر، مقال **روبير لاندا** (R. Landa) حول: "الموريسكيون كممثلين للحضارة الأندلسية المغاربية".حيث ركز الحديث عن نشاطهم الاقتصادي و العمراني و اعتبرهم الوسيط الحضاري ما بين الغرب المسيحي و الشرق الإسلامي.

و بخصوص بعض الاصطلاحات، فقد استعملنا لفظة "الموريسكيون الأندلسيون" لكي يفهم القارئ أن الموريسكي هو إمتداد طبيعي للحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، و هذا ما جاء ذكره في توصيات جميع المؤتمرات العالمية للدراسات الموريسكية الأندلسية المنعقدة بتونس تحت رعاية مؤسسة التميمي. و مصطلح الموريسكيين، دون في محاضر محاكم التفتيش، و إتبع خطاهم الكتاب الغربيين، في نعت مسلمي الأندلس بهذه اللفظة و تجريدهم من كلمة أندلسي.

و استعملنا كلمة "إيالة الجزائر" لأن الوثائق العثمانية و هي الرسمية في الموضوع، كانت تستعمل هذه العبارة، و هذه الكلمة هي مجرد تعبير تاريخي، رأينا من المناسب إستعماله للدلالة على الدولة الجزائرية، القائمة وقتذاك، و علاقاتها الديبلوماسية مع الدولة العثمانية.

و استعملنا "الجزائر العثمانية" عندما تكلمنا عن تبعية الجزائر للسلطة العثمانية.

و لا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الذين قدموا لي يد المساعدة من قريب أو من بعيد، و أخص بالذكر الأستاذ الدكتور **عبد الجليل التميمي** (جامعة تونس)، و الدكتور **بلحاج معروف** (جامعة تلمسان) الذي ساعدني في ترجمة بعض النصوص التركية، و الدكتور **عبد القادر حلوش** (جامعة وهران) الذي طالما شجعني على مواصلة البحث.

و في الختام أقدم جزيل شكري و تقديري إلى أستاذي الفاضل الدكتور **عبد الحميد حاجيات**، لما بذله من مجهود في قراءة جميع الفصول و على رعايته العلمية و توجيهه المنهجي لهذه الرسالة خلال فترة انجازها.

و أشكر أيضا أساتذة قسم التاريخ و علم الآثار بجامعة وهران الذين وجدت عندهم كل التعاون و التجاوب، وكذا أقر بالعرفان الكبير إلى الأستاذ **أحمد الأزرق** على مساعدته القيمة.

و بالله التوفيق

سيدي بلعباس في 02 ديسمبر 1999م

الموفق لـ 25 شعبان 1420هـ

المدخـــل

1- ظهور الوحدة الإسبانية و بداية المشكل الموريسكي.

2- أوضاع شمال افريقيا قبيل مجيء الأتراك العثمانيين.

3- التدخل العثماني في منطقة الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط.

كانت الخريطة السياسة لشبه الجزيرة الإيبرية في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري)، تتألف من عدة كيانات سياسية، تمثلت في مملكة قشتالة، و مملكة الأرغوان، و مملكة النفار، و مملكة البرتغال، و هي ممالك مسيحية، و إلى جانب منها مملكة غرناطة الإسلامية.

مع العلم، أن هذه الممالك المسيحية، كانت ترغب في التوسع و الانتشار خارج حدودها من شبه الجزيرة الإيبرية، و ذلك ما نراه في سعي البرتغاليين إلى اكتشاف المحيط الأطلسي، و السيطرة على السواحل الغربية لإفريقيا، و تمكن الأرغوان من بسط سيطرته على جزء كبير من غرب البحر الأبيض المتوسط، و السيطرة على أغلب جزره، و أما مملكة النفار الصغيرة، فلم يكن لها شأن يذكر، كما أن قشتالة، كانت تمزقها عدة حروب داخلية.

و في سنة 1469م (874هـ)، تزوج **فرديناند**، ملك الأرغوان، **ايزابيلا**، ملكة قشتالة، و بهذا الزواج توحدت المملكتان في الأهداف و المسعى، اذ توسعتا داخل المحيط الإسباني و ذلك بالقضاء على مملكة غرناطة الإسلامية، و خارجه في البحر الأبيض المتوسط ببسط نفوذهما على ممراته.

1- ظهور الوحدة الإسبانية و بداية المشكل الموريسكي.

إن زواج **فرديناند** و **ايزابيلا** قد جمع بين مملكتين من الممالك الثلاث[1] (قشتالة، الأرغوان، البرتغال)، التي صارت موجودة تحت سلطة تكاد تكون مشتركة، رغم أنه لم يؤد ذلك إلى توحيد مملكتي قشتالة و أرغوان في دولة واحدة، لأن مملكة أرغوان استمرت في تكريس اهتمامها على جزر البحر الأبيض المتوسط؛ و على ايطاليا. التي كانت محكومة من قبل ديبلوماسيين و سياسيين ذوي اتجاه تجاري، بينما كانت لمملكة قشتالة -التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون- نظرة سياسية أكثر عدوانية، و لم تكد تسقط غرناطة - آخر مملكة في شبه الجزيرة - حتى مد رجال قشتالة عيونهم عبر مضيق جبل

---

[1] كانت المملكة الثالثة هي البرتغال، و قد استغرق قرار ايزابيلا، في هل تتزوج من أسرة الأرغوان أو من أسرة البرتغال؟ و كان قرارها الأخير مصيريا بالنسبة للممالك الثالث.

و كانت ايزابيلا تختار ما بين الزواج الأرغواني و البرتغالي، ما بين الأطلسي و المتوسطي، و من هنا اختمر مشروع الوحدة الإسبانية.

طارق إلى ميادين جديدة للنشاط العسكري. و قد أرسلت **إيزابيلا** جاسوسا ليتعرف على ما يجري في شمال افريقيا فكان تقريره كالتالي:" إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة"[1].

و تعود أصول الوحدة الإسبانية بالزواج الذي تم بين **فرديناند** و **إيزابيلا** سنة 1469م. و بعد القضاء على آخر قلعة إسلامية بغرناطة عام 1492م. و انضمام اقليم النفار إلى المملكة سنة 1512م. و على اثرها تحقق حلم الوحدة الإسبانية بسرعة فائقة، و من جراء ذلك تولدت أسطورة إسبانيا (الامبريالية)[2] .

و هكذا، تتجلى لنا قضية الوحدة الإسبانية مجسدة على أرض الواقع في عهد الملكة **إيزابيلا**، حيث جعلت من بين أهدافها إخراج العرب المسلمين و الاستيلاء على أراضيهم، و ضرب آخر معقل من معاقلهم لتتجه بعد ذلك إلى الوحدة مع أرغوان[3]، ممثلة في شخص ملكها **فرديناند** الذي كانت تحركه نفس الأهداف[4] .

و يرى المؤرخ الجزائري **أحمد توفيق المدني**، أن إسبانيا المسيحية الموحدة ظهرت سنة 1474م[5] .و باحتفالها حينئذ بنصرين هما: النصر على المسلمين بعد تحطيم مملكة غرناطة و اكتشاف العالم الجديد سنة 1492م[6]. و من أجل ذلك سعى **فرديناند** إلى توحيد السلطة و القضاء على نفوذ النبلاء و الاقطاعيين[7] .

---

(1) جون (ب)، و ولف، الجزائر و أوروبا (ترجمة و تعليق: د. أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص 24.

(2) F. Braudel, La Méditerranée et le monde méditerranéen a l'époque de philippe II, Paris, Armand colin, 2ed, 1966, T2, p. 19.

(3) تختلف أرغوان عن قشتالة من حيث بنيتها الاقتصادية. فقد كانت الأولى تعتمد على ازدهارها التجاري و نشاطها في الحوض الغربي للمتوسط، في حين كانت الثانية تعتمد على الفلاحة، أما الصناعة فكانت بيد المسلمين و التجارة كانت بيد اليهود.

(4) للمزيد من الايضاح عن حياة فرديناند و إيزابيلا، راجع:

Joseph, Pérez, ISABELLE et FERDINAND, Rois catholiques d'ESpagne, Paris, Arthère Fayard, 1988.

(5) بعد وفاة ملك قشتالة هنري الرابع يوم 2 ديسمبر 1474م، أصبحت إيزابيلا ملكة على قشتالة، أما فرديناند فتمكن من اعتلاء عرش أرغوان بعد وفاة جون الثاني سنة 1479م

(6) درج المؤرخون على اعتبار العصر الحديث أنه العصر الذي بدأ مع أحداث عالمية ثلاثة: سقوط القسطنطينية (1453م)، و اكتشاف رأس الرجاء الصالح (1497م)، و اكتشاف العالم الجديد (1492م).

و دلالات هذه الأحداث و نتائجها، ارتبطت معظم الأحيان في منهج المعالجة التاريخية السائدة بمركزية النظرة الغربية، التي ترى في هذه الأحداث جزءا من نهضة أوروبية كبرى أو سببا لها. و غالبا ما يطلق تعبير اكتشاف صفة لبداية هذا العصر.

(7) أحمد توفيق، المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص 48.

و مهما كان الأمر، فإن **فرديناند** و **إيزابيلا** اختارا لقب (الملكين الكاثوليكيين)، و هذا ما يفسر مدى التعصب الديني و الرغبة الجامعة في محاولة تنصير المسلمين، و أبعاد حدود الاسلام خارج شبه الجزيرة الايبرية. و كان هذا وراء التحرشات الاسبانية و البرتغالية على سواحل شمال افريقيا خلال القرن الخامس عشر و طوال القرن السادس عشر، في اطار الحرب الصليبية المقدسة، التي كان يغديها رجال الكنيسة الكاثوليكية[1].

و في هذا الصدد، بدأ ملوك إسبانيا وصف أنفسهم بالملوك الكاثوليك، فكل مراسلاتهم حول المسائل الافريقية و مطاردة الأندلسيين، تدل على الطابع الديني و الصبغة الصليبية لسياستهم.

فقد صرح **فرديناند** في الكثير من المرات أنه يعمل لأجل الرب، و من أجل الديانة المقدسة، و العمل على محاربة أعداء الايمان المسيحي الكاثوليكي[2].

كانت للوحدة الإسبانية نتائج على الصعيدين الداخلي و الخارجي:

- فعلى الصعيد الداخلي: تمكن الملكان الكاثوليكيان من تنظيم السلطة و اعادة النظام- حيث أصبحت الأوامر العسكرية مرتبطة بالعرش- و انشاء ميليشيات قوية و مسلحة و كل إليها محاربة السلب و النهب و أعمال اللصوصية السائدة آنذاك[3] .

- و على الصعيد الخارجي: اتجهت إسبانيا نحو مغامرات خارجية، قوت من وحدتها السياسية في الخارج أكثر من الداخل.

ظهر المشكل الموريسكي بإسبانيا - خلال عهد الملكين الكاثوليكيين - و ارتبط بمعطيات سياسية و اقتصادية و اجتماعية، حددت مسار السياسة الإسبانية تجاه الجالية الاسلامية بها. فإسبانيا كانت تبحث بقوة عن وحدتها السياسية متخطية بذلك كل الحواجز التي تعوق هذه الوحدة:

---

(1) F. Braudel, op, cit, T2, pp. 19-20.

(2) F. Braudel, « les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492-1577 », in, R.A (N) 69), 1928, p. 199.

(3) Jean, Descola, Histoire d'Espagne, Paris, 1979, p. 308.

- فالحواجز الطبيعية تتمثل في انعزال العديد ممن المناطق التي تتمسك بذاتيتها و استقلالها (كطالونيا، الباسك، الأندلس).

- و الحواجز الاقتصادية: تتمثل في التفاوت الطبقي بفعل وجود قوات إقطاعية ذات امتيازات كبيرة، و هي قوات تؤدي إلى التفكك أكثر مما تؤدي إلى الوحدة المركزية.

و في هذا السياق يذكر المؤرخ الفرنسي **بروديل (F. Braudel)**:" إن الدولة الحديثة كانت عدوة النبلاء و الإقطاعيين"[1].

ففي قشتالة مثلا، كانت الأسرة الحاكمة ضعيفة الامكانيات، بسبب وجود عدد من الإقطاعيين النبلاء الذين كانوا في صراع مع السلطة، فيضيقون الخناق على مشاريعها الوحدوية، إضافة إلى مدن لها حقوقها القديمة كما أن الإكليروس كان له دور حاسم في التدخل بسبب تبنيه لحرب الإسترداد (La Reconquista).

و في نهاية الأمر تمكن العرش القشتالي من التغلب على الصعاب، بفضل تحمسه للمسيحية و اخراجه للعرب المسلمين بالاستيلاء على أراضيهم؛ هذا العمل كان المحور الذي دارت حوله الوحدة القشتالية أولا، و الإسبانية ثانيا، إذ جعل من قشتالة مركز استقطاب لعدد من المتطوعين المتحمسين للمسيحية ظاهريا و الأطماع الاقتصادية باطنيا لأنها هي التي كانت تحركهم، و تدفعهم إلى الاستيلاء على الأراضي الجديدة المنتزعة من يد المسلمين، و العرش القشتالي جلب لذلك الجنود و الضباط، و أصبحت لديه الارادة الفعالة التي تسير به نحو الوحدة.

و كان أول عمل اهتم به الملكان الكاثوليكيان هو تصفية الوجود الاسلامي من شبه الجزيرة الايبرية، لذلك اعتبرهم جل المؤرخين الغربيين، النيّاة الحقيقيون للوحدة الإسبانية[2]. و قد أطلق الإسبان لفظة موريسكي على المسلمين الذين فرض علهم التعميد الاجباري، و كلمة (Moros) أي المسلمين الأصاغر، أطلقها الإسبان على سكان شمال افريقيا، و بالخصوص على سكان منطقة موريطانيا الطنجية[3]

---

(1) F. Braudel, op, cit, T2, p.54

(2) Ibid , p.19.

(3) للمزيد حول الموضوع راجع مادة Moriscos (Encyclopedie de L'Islam, Paris, N^elle éditions, 1993, T.VII, p. 243-245 :

و مادة (Maures) في:

Dominique et janine sourdel, Dictionnaire historique de L'Islam, Paris, P.U.F, 1996, 1^er, p. 1010.

و تتفق معظم الدراسات التاريخية على أن مصطلح الموريسك (Moriscos)، استعمل بعد سقوط غرناطة للدلالة على المسلم الذي دخل إلى المسيحية حديثا (المسيحيون الجدد)، لكن الباحث **سيمون الحايك** يرى أن الظاهرة برزت سنة 1463م[1].

و تذهب المؤرخة الفرنسية **إيفات هرموسيلا** (Y. Hermossilla) إلى أن التاريخي الموريسكي يبدأ مع سقوط غرناطة، و بداية حركة الاسترداد، حيث لوحظ استبدال لفظ مدجن (Mudéjares)[2]، بكلمة موريسكي في وثائق محاكم التفتيش، و التي نعتت الموريسكيين بالمسيحيين الجدد (Cristiano nuevo de moro)، و هذا خلال القرن السادس عشر[3].

و قد حدد المؤرخ الإسباني **ذي إيبالزا** (M. de Epalza)، وجود ثلاثة مراحل للاطار الديني و الاجتماعي للأندلسيين من وجهة نظر القانون الإسباني ،و تشمل المراحل التالية:

- مرحلة المدجنين: قبل التعميد القسري (1502-1525م).
- المرحلة الموريسكية: و التي اعتبر فيها المسلم منصرا أو مسيحيا رديئاحيث نعتهم رجال الكنيسة بالهراطقة (Mauvais chrétiens)
- مرحلة الطرد النهائي: (1609-1614م)، و هي مرحلة عودة الأندلسيين إلى ديار الاسلام[4].

---

(1) سيمون، الحايك:" الدراسات الموريسكية في الخمس و العشرين سنة الأخيرة في إسبانيا"، في أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية)، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1995، ص 25.

(2) عندما سقطت الحواضر الاسلامية بالأندلس و دب الضعف في دول الطوائف، ظهر عنصر المدجنين، و هم المسلمون الذين افتكت أراضيهم و اندمجوا في وسط و حياة الممالك المسيحية، و حافظوا على مساجدهم و تقاليدهم، و اعتبرت طليلة مركزا لهم.

(3) Cardaillac (Y), Hermossilla, la magie en Espagne morisques et vieux chrétiens XVIè et XVIIe siècle, Bordeaux, 1994, T1, pp. 33-36.

(4) M. de Epalza: « l'indentité onomastique et l'inguistique des morisques », in, Actes du II symposium international du C.I.E.M, sur (Religion, identité et sources documentaires sur les morisques Andalous), Etudes reuniés et présentés par A. Temimi, Tunis 1984, T1, pp.269-279.

درج المؤرخون على استعمال مصطلح الموريسكيين كدلالة تاريخية للتعريف بآخر مسلمي الأندلس أو العرب المتنصرين، الذين فرض عليهم التنصير القسري ما بين (1499-1526)، و بقي أحفادهم حتى عمليات الطرد النهائي (1609م).

و يعتقد المؤرخ الفرنسي **لـوي كارديـاك** (L. Cardaillac)، أن مصطلح الموريسك ظهر بهذا المفهوم حوالي سنة 1560م. ليشمل كل المسلمين الذين مكثوا بشبه الجزيرة بعد سقوط غرناطة، و الذي أرغموا على اعتناق الدين المسيحي الكاثوليكي[1].

وسعت إسبانيا إلى فرض العقيدة النصرانية على المسلمين، و هذا ما يفسر تعدد إنشاء محاكم التفتيش و ملاحقة الموريسكيين.

و قد باركت البابوية بروما مشاريع ملوك إسبانيا، و هذا من خلال المساعدات الاستراتيجية التي قدمها البابا **ألكسندر السادس** (ALEXANDRE VII) (1492-1503م) - يقضي الفرمان و المؤرخ في 15 ماي 1492 بدفع الضريبة الصليبية - و المتمثلة في الدعم المالي و الروحي للملكين الكاثوليكيين، حيثدعى البابا جميع المخلصين للمسيحية إلى تدعيم إسبانيا و دفع الضريبة كل خمس سنوات و تسمى بـ (La Crusada). و هي عبارة عن امدادات مالية تقدم إلى خزينة الملكين الكاثوليكيين، لتمويل مشاريع الحملة الصليبية، و تسهيل عملية القضاء على النفوذ الاسلامي بالأندلس، و استئصال جذور المسلمين الثقافية و الدينية، بلو ملاحقتهم إلى شمال افريقيا في اطار الصراع القائم بين الهلال و الصليب[2].

2- أوضاع شمال افريقيا قبيل مجيئ الأتراك العثمانيين.

يصور لنا المغرب الاسلامي في نهاية القرن الخامس عشر، حالته السياسية و العسكرية المنحطة، و وضعيته الاقتصادية المتدهور، في استقرائنا لأحداث تاريخ المنطقة - بعد انهيار دولة الموحدين (1130هـ / 1269م) - يتبين لنا سمة التفكك السياسي الغالب عليه و السائد في جميع بلدانه.

---

(1) لوي، كارديك،الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640)، (تعريب و تقديم:د. عبد الجليل التميمي)، الجزائر: الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 150.

(2) F. Braudel, les Espagnoles ... op, cit, pp. 200-201.

و كانت منطقة المغرب في بداية االقرن السادس عشر تتقاسمها نظريا ثلاث دول: بني مرين الوطاسيين في المغرب الأقصى، و بنو زيان في المغرب الأوسط و عاصمتهم تلمسان، و بنو حفص التي كانت قاعدة ملكهم مدينة تونس، و تضم كلا من الجزء الشرقي من المغرب الأوسط و افريقية حتى اقليم طرابلس.

و كان المغرب الأوسط في أغلب الأحيان مسرح صراع على النفود بين القوى السياسية الحاكمة في القطرين المجاورين، و نظرا لفقدانه وجود سلطة مركزية، مما جعله مسرحا لفوضى القبائل، و كان من جراء هذا التمزق أن أصبح المغرب الأوسط وحدة تتناحر فيه و تتصارع عليه عدة كيانات صغيرة، فانفقت في ذلك الأموال و استهلكت الحروب جزءا كبيرا من ثورة البلاد، كما أدت إلى عدم الاستقرار[1].

و من هذا المشهد السياسي نستخلص العناصر التالية:

- ليس هناك دولة مركزية موحدة، قوية و معترف بها في المغرب العربي.
- غياب شبه كلي للدفاع عن السواحل التي أصبحت مفتوحة لكل المغامرين و تحقيقهم لمشاريع توسعية.
- بروز البحارة الشرقيين و الموريسكيين، الذين اعتبروا قوة بحرية جديدة في الفضاء الجغراسياسي للبحر الأبيض المتوسط الغربي في بداية القرن السادس عشر؛ و هو الأمر الذي مكنها من مجابهة و محاربة إسبانيا، و مديد المساعدة للأندلسيين داخل إسبانيا، و من هذا المنطلق وضعت المملكة الإسبانية آلية احتواء و احتلال لسواحل و موانئ المغرب الأوسط[2].

و قد كانت خطة إسبانيا بعد – سقوط مملكة غرناطة عام 1492م– قائمة على غزو سواحل شمال افريقيا، و تصفية النفود الاسلامي نهائيا، من شبه الجزيرة الإيبرية.

---

(1) محمد خير، فارس، تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، بيروت: مكتبة الشرق 1979، ص 6-7.

(2) عبد الجليل، التميمي: " التشكل الاداري و الجغراسياسي للايالات العثمانية بالجزائر و تونس و طرابلس الغرب (1557-1588)"، في كتاب تقديري للأستاذ خليل الساحلي آو غلو (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1997، ج2، ص 451-452.

و قد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان المسيحيان ضد المسلمين، إلى انتعاش الروح الصليبية من جديد؛ و تعقب الأندلسيين الذين التجأوا إلى موانئ شمال افريقيا، فإسبانيا بدأت بانزال حملاتها على سواحل المغرب الأوسط، فاحتلت ميناء المرسى الكبير (911هـ /1505م)، ثم أخذ نطاق العمليات الإسبانية يتسع مند 1508م. حين تولى قيادة الأساطيل الملكية، **بدرو نافارو** (Pedro Navarra)، الذي تمكن من احتلال وهران (915هـ/ 1509م)، ثم بجاية (916هـ/1510م)، و تحت هذا الضغط الإسباني، اضطرت موانئ "دلس" و "الجزائر" إلى دفع جزية لإسبانيا، لأن الزيانيين أثبتوا عجزهم في حماية هذه الموانئ نتيجة للتفكك السياسي الذي أصاب دولتهم، و للثورات الداخلية التي تشبت ضدهم كرد فعل على كثرة الضرائب التي فرضوها في تلك الفترة على الأهالي، بحجة الغزو الخارجي.

و اضطرت السلطات الزيانية إلى عقد صلح مع إسبانيا سنة 1512م. اعترفت فيه باستيلاء إسبانيا على عدة موانئ في غرب الجزائر[1].

و بسبب ضعف المملكة الزيانية، استولى الإسبان على تنس و قلعة البنيون (الصخرة)، و مستغانم. و كان سقوط المرسى الكبير و وهران، خسارة عظمى لمملكة تلمسان، و لم يعد تجار البندقية يقصدون وهران لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين[2].

و هكذا، وضعت إسبانيا لنفسها موضع قدم في شمال افريقيا، كانت عبارة عن نقط ارتكاز أمامية منعزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة، كما شيدت سلسلة من القلاع على طول ساحل الشمال الافريقي. و عاشت القلاع و الحصون الإسبانية في حالة حصار طوال فترة الاحتلال، و كانت حياة الجند شاقة، و بلغ اليأس بالجند مبلغا جعلهم يفكرون في أن يتحولوا إلى مغاربة[3].

---

(1) حول موضوع الاحتلال الاسباني لموانئ المغرب الأوسط، أنظر:

يحي، بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500-1830، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985، ص 11-12.

(2) الحسن بن محمد، الوزان، وصف افريقيا (ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر)، الرباط 1982، ج2، ص9.

(3) شارل أندري، جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، (تعريب: محمد مزالي و البشير بن سلامة)، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، ج2، ص 325.

و نظرا للتدهور و التفكك الذي شهده المغرب الأوسط، ساعد على افساح المجال للفتن الداخلية و فتح الباب للهجمات الخارجية و الغارات الإسبانية؛ و في مقابل هذا التشتت، وقفت إسبانيا بعدما استكملت وحدتها – تعززها القوى الروحية التي منحتها اياها البابوية، أمام العالم المسيحي عندما باركت مشاريعها الصليبية – تعمل من أجل حل الخلافات التي كانت قائمة بينها و بين مملكة البرتغال. و لقد كللت المساعي البابوية بالنجاح حيث أبرمت اتفاقا بين الدولتين سنة 1499م. تم بمقتضاه تقسيم العالم الغير الأوروبي إلى منطقتي نفود بينهما، و كان المغرب الأوسط في هذه القسمة من نصيب الإسبان.

ففي ظل هاته الظروف السياسية و النفسية، حدثت تلك المبادرة التاريخية لسكان مدينة الجزائر، التي سوف تغير وجه المنطقة، و التي تتمثل في دعوة **عروج** لقيادة حركة الجهاد انطلاقا من مدينة الجزائر.

3- التدخل العثماني في منطقة الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط.

أرسل سالم التومي[1] باسم مجلس أعيان مدينة الجزائر[2]، رسوله إلى مدينة جيجل، طالبا المساعدة من **عروج** و أخيه **خير الدين** على تخليص مدينة الجزائر من الإسبان . فلبيا الطلب و جهز الأخوان حوالي ثلاثة آلاف من رجال القبائل، و اتجهوا لانقاذ مدينة الجزائر تحت قيادة **عروج**.

و تمكنوا من دخول المدينة، و عندما أدرك شيخ بني مزغنة، **سالم بن التومي**، أن عهد المشيخة قد ولى، بدأ في خلق المصاعب أمام **عروج**. مما أدى إلى القطيعة بين الرجلين، فكانت النتيجة اعدام **سالم التومي** و التخلص من مؤامراته[3].

---

[1] كان سالم التومي شيخ بني مزغنة، و هو ينتمي إلى احدى العائلات المتيجية الثرية.

[2] هذا المجلس هو عبارة عن برلمان يضم فقهاء و أثرياء مدينة الجزائر آنذاك.

[3] علي، أحقو:" الدولة الجزائرية الأولى 1514-1830: دراسة مؤسساتية " ، مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية، جامعة باتنة، العدد2، ديسمبر 1994، ص140-141.

و بعد وفاة **سالم بن التومي**، أخمدت نار الفتنة و فسحت المجال واسعا أمام **عروج** للتحكم في زمام الأمور، و اعداد نفسه لتحقيق مشروعه التحريري التوحيدي و الذي قام على أساس المبادئ التالية:

- تنظيم المؤسسة العسكرية، و ذلك باقامة التحصينات القوية و إنشاء حاميات عسكرية خارج المدينة.
- توسيع نفوذه و ذلك باخضاع القبائل إلى السلطة المركزية.
- تقسيم الأراضي التي تحت سيطرته إلى مقاطعتين شرقية و غربية. فالغربية عاصمتها الجزائر، كان يديرها بنفسه، أما الشرقية التي كانت عاصمتها دلس فقد عين لادارتها أخاه **خير الدين**.
- إنشاء مجلس الدفاع يضم كبار قادة الجيش[1].

و استطاع **عروج** من فتح مدينتي تنس و تلمسان، الشيء الذي أضر بالمصالح الإسبانية بوهران، مما دفع الملك **شارل الخامس** إلى أن يطلب من حاكم وهران المركيز **دي قوماز** (M. de Gomaz) بمجابهة تلمسان، و اعادة السلطان الزياني أبي حموا إلى السلطة[2].

و انتهت الحملة باستشهاد **عروج** و هو في طريق العودة إلى مدينة الجزائر سنة 924هـ/1518م.

تولى **خير الدين** القيادة بعد وفاة أخيه، و رفض طلبا تقدم به أعضاء مجلس الدفاع، يتضمن تعيينه ملكا على الجزائر، و لكنه اشترط على أعيان مدينة الجزائر الأستنجاد بالسلطان العثماني **سليم الأول** (1512-1520م). و بالفعل فقد أرسل السلطان ألفين من جنود الأنكشارية و أربعة آلاف من المشارقة، بالاضافة إلى إرساله لبعض المدافع و الدخيرة الحربية[3].

---

[1] علي، آجقو، المقال السالف الذكر، ص 142.

[2] عاد السلطان الزياني أبو حمو إلى الحكم سنة 1518، و أرغمه الاسبان على دفع ضريبة سنوية تقدر بـ 1200 دوكة ذهبية، للمزيد من التفاصيل راجع: جون (ب)، و ولف، المصدر السابق، ص 29-30.

[3] نفسه، ص 30-31.

و يعتبر هذا الاتصال بين **خير الدين** و الدولة العثمانية، بداية انضمام اقليم المغرب الأوسط إلى حوزة الدولة العثمانية[1] ، ظهرت شخصية **خير الدين** عندما كان يغير على السواحل الإسبانية، حاملا معه الغنائم و العبيد و الموريسكيين الراغبين في الفرار من الاستبداد الإسباني.

إن هؤلاء اللاجئين كانوا يشيدون بخصال **خير الدين**، على أنه بطل مسلم، يمكن أن يقود ذات يوم جيشا منصورا إلى إسبانيا نفسها[2] .

إن النجاح الذي حققه **خير الدين** قد أكسبه سمعة وهيبة لدى الجزائريين و الموريسكيين الأندلسيين على حد سواء، أما السلطان **سليمان القانوني** (1520-1566م). الذي اتصل بلائحة شكاوي من الموريسكيين، فقد سارع بارسال فرمان إلى **خير الدين** يأمره بالتحول إلى اسطامبول للمشورة و مناقشة موضوع إنشاء أسطول عثماني و امكانية تدخل الدولة العثمانية في غرب البحر الأبيض المتوسط[3] .

و أدرك السلطان **سليمان القانوني** جيدا خلفية و أهداف السياسة الإسبانية في المغرب العربي، و وضضع الموريسكيين، و وجوب العمل على تقوية الوجود العثماني في البحر المتوسط الغربي، و هذا وفقا للاستراتيجية العسكرية التي يسعى خير الدين إلى تنفيدها و تحقيقها.

و قد سلم السلطان **سليمان** إلى **خير الدين** شخصيا بتاريخ 6 ماي 1534م. علما و صولجانا و سيفا كعلامة تشريفية. و استجابة لهذه الرؤية اتخذت عدة قرارات منها: منح **خير الدين** لقب "بيلرباي" ثم بعد ذلك لقب "قبودان باشا" أي أمير البحرية العثمانية[4] .

عندما دعى السلطان العثماني خير الدين إلى اسطامبول سنة 1532م. كان السؤال المطروح هو، هل ستحدث حرب في البحر الأبيض المتوسط بين الدولتين، العثمانية

---

[1] حول انضمام المغرب الأوسط إلى الخلافة العثمانية، راجع:

عبد الجليل، التميمي:" أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 6، جويلية 1976، ص 116-120.

[2] جون (ب)، و ولف، المصدر السابق، ص 43-44.

[3] نفسه.

[4] حول هذا الموضوع، راجع مادة الجزائر عثمانية في دائرة المعارف الاسلامية:

Marcel, Colombre, « Algérie Turque », in, Encyclopedie de L'Islam, op. cit, T1, pp. 378-380.

و الإسبانية؟ و هل يتمكن العثمانيون من تحطيم الامبراطورية الإسبانية؟ و هل يمكن لقوة اسلامية أن تستعيد الأندلس و تصحح المطالم التي تكبدها الموريسكيون الأندلسيون.

و انطلاقا من سنة 1519م. عندما ارتبطت الجزائر بالامبراطورية العثمانية، يمكننا أن نتحسس على ضوء الأحداث، خلفية التدخل العثماني في منطقة غرب المتوسط.

و بعد استرجاع قلعة البنيون سنة 1529م. من يد الإسبان – و هو الأمر الذي كان وراء ارساء الوحدة السياسية و الادارية لايالة الجزائر العثمانية[1]، و النقطة المركزية في الصراع بين الدولتين، العثمانية و الإسبانية – أصبح يطلق على ايالة الجزائر اسم (مسرح الحروب)، و نعتها بالقاعدة الخلفية في الجناح الغربي المتوسطي للدولة العثمانية[2].

إن استقرار الحكم العثماني بالجزائر، و (عثمنة) فضاء المغرب الأوسط. و تزايد عمليات الجهاد البحري، أدى إلى تغيير الخارطة الجغراسياسية لمنطقة البحر المتوسط الغربي، ليصبح الصراع العثماني – الإسباني ذا أبعاد عالمية، و بموجبه أصبحت إيالة الجزائر محورها الرئيسي، و خاصة بعد تدفق تيار الهجرة الأندلسية على سواحل شمال افريقيا، و الدور الفعال الذي قامت به البحرية الجزائرية – العثمانية في عمليات الإنقاذ. و يرى المؤرخ الجزائري **سعد الله** أن الدولة العثمانية دخلت رسميا في الحرب ضد إسبانيا، بعد أن أصبحت الجزائر إحدى إيالاتها في شمال افريقيا[3].

و قدر للجالية الأندلسية التي بدأت هجرتها منذ سقوط دولة الموحدين ثم ازدادت بصورة ملحوظة منذ مطلع القرن السادس عشر، أن تلعب دورا بارزا في تاريخ المغرب الأوسط.

---

[1] عبد الجليل، التميمي، التشكل الاداري ... المقال السالف الذكر، ص 45.

[2] جون (ب)، و ولف، المصدر السابق، ص 60.

[3] أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981، ج1، ص 136.

الفصل الأول

الأندلسيون في مواجهة المد المسيحي (1492–1614 م)

1- الأندلسيون في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474–1516م)

1–1 سقوط غرناطة

1–2 الانتفاضات الشعبية

1–3 المواجهة الإسبانية

2- الموريسكيون في عهد شارل الخامس (1516–1556م)

2–1 سياسة التنصير و الإدماج

2–2 المقاومة الموريسكية

أ- دور الفقهاء

ب- دور المرأة

2–3 أسلوب التقية عند الموريسكيين

3- الموريسكيون في عهد فليب الثاني و فليب الثالث .

3–1 فليب الثاني و المشكل الموريسكي (1556–1598م)

3–2 ثورة غرناطة الكبرى .

3–3 الموريسكيون في عهد فليب الثالث (1598–1621م).

أ- أسباب الطرد النهائي للموريسكيين .

ب- موقف الموريسكيين من الطرد و تفسيرهم له.

واجه الموريسكيون في إسبانيا خلال القرن السادس عشر الميلادي أكبر مآساة وأشنع اضطهاد و إبادةعرفه تاريخ البشرية، ويمكن حصرذلك في ثلاث مراحل:

1- مرحلة الملكين الكاثوليكيين (إيزابيلا و فرديناند).

واجه الأندلسيون خلال هذه المرحلة تعسف السلطات الإسبانية بعد سقوط آخر معقل إسلامي في غرناطة. و تميزت هذه المرحلة بفرض التعميد الإجباري على المسلمين بغية وضع حد نهائي للإسلام العلني لتبدأ مرحلة "الإسلام السري" و دمج المسلمين في حظيرة المجتع المسيحي الإسباني.

2- مرحلة شارل الخامس.

تميزت هذه المرحلة بصدور مجموعة من المراسيم تمّ بموجبها ادماج الموريسكيين بإسبانيا، الشيئ الذي دفع بالأندلسيين إلى إستعمال أسلوب التقية، للدفاع عن الهوية الإسلامية.

كما برزت روح المقاومة الموريسكية التي تجسدت في دور المراة و الفقهاء وسط البيئة المسيحية.

3- مرحلة فليب الثاني و فليب الثالث.

خلال هذه المرحلة فشلت كل محاولات التنصير و الإدماج، و ارتأت المملكة الإسبانية أن الحل النهائي للأزمة هو إخراج المسلمين نهائيا من شبه الجزيرة الإيبرية.

و قد واجه الأندلسيون المد المسيحي، و قاوموا مخططات ملوك إسبانيا لفترة طويلة تمتد ما بين (1492-1614م) .

الفصل الأول

الأندلسيون في مواجهة المد المسيحي.

1- الأندلسيون في عهد الملكين الكاثوليكيين (879-922هـ/ 1474-1516)م.

كانت إسبانيا خلال القرن السادس عشر تهدف إلى السيطرة العالمية إقتصاديا وسعت من أجل ذلك إلى نشر المسيحية الكاثوليكية في أرجاء العالم بمساعدة الكنيسة، و أهم ما ميز إسبانيا خلال هذه المرحلة ثلاث مميزات:

- تأثير الماضي التاريخي لإسبانيا
- تأثير المصالح الروحية و الدينية
- تأثير المصالح الإقتصادية[1]

إن حركة الاسترداد التي انتهجها الملكين الكاثوليكيين كان لها الأثر البالغ في تاريخ إسبانيا الحديثة، من حيث الإعلان عن الوحدتين السياسية و الدينية.[2]

لقد تمكن الطرف الإسباني من تحقيق وحدته، ليتفرغ لمواجهة العرب المسلمين، لكن كيف كانت جهود المسلمين؟ ماذا فعل العرب لمواجهة هذا المد المسيحي الإسباني؟ وكيف حصلت الهزيمة بسقوط آخر معقل عربي إسلامي بالأندلس؟ هذا ما سنراه في بداية هذا المبحث.

1-1- سقوط غرناطة.

لقد كان سقوط غرناطة نهاية للحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، و انتصارا للحضارة الغربية المسيحية. ذلك أو وقيعة سقوط غرناطة كان له الأثر البالغ في نفوس الإسبان و العرب معا. فالإسبان جعلوا من سقوط غرناطة مؤشرا لحركة الاسترداد و توحيد إسبانيا دينيا و جغرافيا، بينما اعتبره المسلمون رمزا لسقوط قلعة الإسلام بالأندلس. فغرناطة كانت مرادفة لكل ما هو مسلم و أندلسي، فما هي أسباب سقوط غرناطة؟[3]

---

[1] عبد الجليل التميمي :"رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية – المغربية في القرن 16 م" المجلة التاريخية المغاربية، العدد 26-30 ، تونس، جويلية 1983،ص 72.

[2] Yvette Cardaillac , hermossilla, Op. Cit , T1,P27.

[3] حول موضوع سقوط غرناطة راجع:

واشنطون، آرفينج، سقوط غرناطة (ترجمة و تعليق : اسماعيل العربي)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1988.

و ما هي نتائجها على مستقبل العرب المسلمين؟[1] .

عالج الكثير من الباحثين سواء من الإسبان أو العرب موضوع سقوط غرناطة، نظرا لأهمية الموضوع، و علاقته بالمآساة الأندلسية، و التي استهدفت قلع جذور الثقافة الإسلامية، و تنفيد سياسة الاحتواء على المسلمين.

حاولت مملكة غرناطة الصمود في وجه الغارات المسيحية الإسبانية المتكررة مغتنمة تماسك جبهاتها الداخلية من جهة، و تنازع الممالك المسيحية في الشمال من جهة أخرى، و بسبب انقطاع المساعدات و الإمدادات المغاربة سواء من بني مرين أو من بني زيان – و ذلك راجع للأزمات الاقتصادية و السياسية التي عصفت بمنطقة شمال إفريقيا عصرئذ- بدأت جيوش إسبانيا الموحدة في تنفيد مشروعها التوسعي، فسقطت مالقة سنة 1487م، ثم بسطة 1489م، و لم تبق إلا غرناطة.

و قد شرع الملكان في بناء مدينة شنتفي (Santafe)[2] ، أي الإيمان المقدس. و كان في بناء المدينة إشارة واضحة على تصميم الملكين الكاثوليكيين على الإقامة في المنطقة و تنفيد سياسة الحصار حتى تسليم المدينة.

و في نفس الوقت تسبب الشتاء في قطع المؤونة عن المحاصرين في غرناطة، و أدرك الجوع كثيرا من الناس الموسرين، فاجتمع أعيان المدينة من الخاصة و العامة و الفقهاء، و تدارسوا الحال مع الأمير الغرناطي **محمد بن علي** الملقب بأبو **عبد الله الصغير**، و اتفقوا على مفاوضة النصارى.

و بدأت مراحل المفاوضات مع اتهام صريح للأمير **محمد بن علي** و وزرائه بأنهم كانوا ضالعين مع الإسبان في الصلح،لكنهم كانوا يخشون العامة[3] .

---

[1] **محمد عبد الحميد، عيسى صقر**: " المملكة ايزابيلا الكاثوليكية و دورها في اسقاط دولة الإسلام في الأندلس"، في كتاب تقديري للأستاذ **لوي كارديك** (جمع وتقديم : د عبد الجليل التميمي، زغوان:سيرمدي 1995 ، ج2،ص 121-124.

[2] رفضت الملكة إيزابيلا إطلاق إسمها على المدينة، و أسمتها بتلك التسمية، التي تنم عن مشارعها الدينية، و حسن إستغلالها للدين في رفع معنويات جنودها.

[3] محمد عبد الله، عنان، نهاية الأندلس، و تاريخ العرب المتنصرين، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي 1987، ص 241-242.

ملاحظة: هناك شهادة صريحة، تفيد بأن تسليم غرناطة إنما كان قد سبق الإتفاق عليه في لوشة (Loja)، و أن ذلك ظل سرا خافيا حتى لا يعلم به العامة في غرناطة – بخصوص الموضوع، راجع:محمد عبد الحميد، عيسى صقر، المصدر السابق، ص 121-122.

و خلال عمليات الحصار، أرسل الملكان (**فرديناند و إيزابيلا**) رسالة إلى الأمير أبي عبد الله الصغير، يطالبانه بتنفيد ما جاء في الإتفاق السري في لوشة[1] (**Loja**) سنة 1483م.

سقطت غرناطة و أبرمت معاهدة التسليم، و كان تاريخ التوقيع عليها من الجانبين يوم 25 نوفمبر 1491 الموافق ل 21 محرم 897هـ و تضمنت نصوص المعاهدة[2] حقوقا و امتيازات تتعلق بالأمير **عبد الله**، و بمسلمي غرناطة، كما تضمنت المعاهدة حرية التجارة وحق الهجرة إلى المغرب و ضمان ممارسة شعائر الدين الإسلامي.

لكن الملكين الكاثوليكيين عمدا على اتباع سياسة المراوغة و التضليل، حينما كلفوا الكاردينال خيمينث سيسنيروس (**Cisneros Ximenez**) أسقف طليلة و الأب **إيرناندو دي تالافيرا** (**Hernando de Talavera**) أسقف غرناطة، على تنفيد سياسة قمعية تجاه سكان مملكة غرناطةالمسلمة. و اعتقدت بعض الأوساط الإسبانية و قتئذ أنه بسقوط غرناطة سيدخل المسلمون أفواجا إلى الديانة المسيحية. و لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، حيث أدت في نهاية المطاف إلى إستعمال سياسة العصى الغليظة لفرض التعميد الإجباري على المسلمين[3] .

و مع تلك السياسة بدأ الإسبان في خرق اتفاقيات تسليم غرناطة بعد أيام قليلة من دخول المدينة. ففي اليوم الخامس من يناير 1492م، و هو اليوم المخصص

---

[1] راجع نص المعاهدة السرية عند:

- محمد عبده، حتاملة، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1471-1516)، ط1، عمان: منشورات الجماعة الأردنية 1980، ص 46-56.

[2] وردت نصوص المعاهدة في الدراسات التالية:

- محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 215-251.

- أسعد، حومد، محنة العرب في إسبانيا، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1980، ص 127-128.

- احمد، رائف، و تذكروا من الأندلس الإبادة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1991، ص 107-116.

[3] A Domingnez (ortiz) et B (vincent), Historia de los moriscos, viday Tragedia de una minoria, Madrid, Binlioteca de la revista de occidente, 1978, pp.18-19.

رسميا لدخول الملكين **فرديناند** و **إيزابيلا** لغرناطة. قام الإسبان بالاستيلاء على مسجد الطيبين، أحد المساجد الجامعة في غرناطة، و حولوه إلى كنيسة:

و أدرك المسلمون أن لا فائدة من الإحتجاج[1] ، و لم يكن هناك من شك في أن الملكة إيزابيلا هي التي كانت تقف وراء تلك الأحداث. و ينقل **أسعد حومد** عن **(الكونت سيركور)** قوله "أن الملكة **إيزابيلا** كانت هي الدافع و المحرك لكل ما تم من خرق لنصوص المعاهدة، ويرى أن الإنسان مضطر لأن يلقي بالمسؤولية في جميع هذه الأعمال و التصرفات التعسفية الجائرة على عاتق الملكة **إيزابيلا**، فهي المرأة العاطفية القاسية التي لا تعرف اللين و لا الاعتدال، و قد أعمى بصيرتها الكره العنصري و الديني الذي تكنه للعرب و دينهم، و لذلك فإنها في سبيل ارواء غليلها و شفاء حقدها، لم تحترم كلمتها و لا العدالة، و حتى مصلحة عرشها"[2] .

و بهذا كانت سياسة الملكين الكاثوليكيين تدعي إلى تشجيع و استقرار العنصر المسيحي في مملكة غرناطة. ففي سنة 1495م، استقر حوالي 35 ألف مسيحي في غرناطة، فكان ذلك عاملا رئيسيا لتمرير بساط تمسيح كل المقاطعة الغرناطية، و تطبيق إجراءات من شأنها تهجير الموريسكيين[3] .

و تعمقت روح الكراهية عندما أصدرت السلطات الإسبانية الأوامر بحرق المصاحف و الآلاف من الكتب العربية الحاملة للعلوم و الثقافات، و التي قدرها المؤرخون بعشرات الألوف[4] . و كان الهدف من وراء هذه العمليات الإقصائية، هو طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، و ضرب كل ما هو عربي تحت غطاء أمن و وحدة إسبانيا.

---

[1] أسعد، حومد، المصدر السابق، ص 220.

[2] المصدر نفسه، ص 221.

[3] خوزي، سز ملكا كلاريس: " بدايات التعايش المستحيل: غرناطة المدجنة 1492-1502"، في كتاب تقديري للأستاذ لوي كارديك ... المصدر السابق، ج2، ص 162-163.

[4] يقدر بعض المؤرخين عدد الكتب التي تعرضت للحرق بمليون و خمسمائة ألف كتاب، بينما يرى البعض أنه تمّ إحراق حوالي مائة و خمسمائة و عشرين ألفا. و فريقا يردها إلى 80 ألفا.

للمزيد من التفاصيل راجع:

محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 60.

و قارن عند: محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 316.

و كان فريدناند يؤمن بالوحدة العقائدية لإسبانيا، و أنها الأساس الأول الذي يمكنه من توحيد البلاد المجزأة، كما أنه كان يخشى بأس المسلمين، و يرى مع الكنيسة أن احتفاظهم بدينهم يقوي أواصر الصلة بينهم و بين إخوانه في شمال إفريقيا و في العالم الإسلامي، و من تمّ فإن تنصير المسلمين، أو إخراجهم من البلاد، هو الضمان الوحيد لسلامة إسبانيا و وحدتها. فمهما قيل إذن حول الخلاف بين الكنيسة و **فرديناند**، فإن عمل **سيسنروس** يبقى من عمل الملكين الكاثوليكيين و مسؤولية من مسؤوليتهما[1] .

و مما لا شك فيه، فإن الملكين الكاثوليكيين كانا على اتفاق مع الكاردينال **سيسنروس** للقيام بهذا الإجراء، على الرغم من الادعاءات بأنهما قد فوجئا بعملية التنصير القسري[2] . و بسبب هذه الأعمال التعسفية، أعلن مسلموا الأندلس الثورة ضد الطغيان المسلط في حقهم.

1-2- الانتفاضات الشعبية

بعد سقوط غرناطة، بدأت السلطات الإسبانية في تطبيق عمليات مصادرة الأملاك و الأراضي، و توزيعها على النبلاء و الاقطاعيين[3] ، و كان من نتائج هذه السياسة، هو التفرقة بين المسلمين و النصارى، و إقصاء العناصر المسلمة عن المجتمع الإسباني، و العمل على تجميعهم في أماكن خاصة، بغرض السيطرة عليهم و سهولة مراقبتهم، و هذا خلال عام 1499م.

و كان الكاردينال **خيمينث** مصرا على قيامه بتعميد مسلمي غرناطة بسرعة كبيرة، و قد ساعده على ذلك ما أصدره الملكان الكاثوليكيان من قرارات، بفرض ضرائب جديدة على المسلمين، و ذلك خلال الفترة الممتدة ما بين عامي 1495-1499م، مما وضع مسلمي الأندلس ضمن إطار ضيق لا يملكون فيه حرية الحركة، فزادت معاناتهم مع اشتداد ضغط الكنيسة على الملكين الكاثوليكيين

---

(1) ليلى، الصباغ :" ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568م، و الدولة العثمانية"، مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، سبتمبر - أكتوبر، 1975، ص 119.

(2) F. Braudel, op. cit, T2, pp.19-20.

(3) محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 63.

للقضاء على كل ما هو إسلامي، و تصوير المسألة على أنها ضرورة روحية يجب الالتزام بها لصالح هؤلاء المسلمين.

بذل الكاردينال **خيمينث** جهودا كبيرة في الضغط على المسلمين، مما ترتب عليه قيام المسلمين بالثورة في حي البيازين، و ذلك في ديسمبر 1499م، و قد تم اختيار أربعين رجلا من مسلمي غرناطة لقيادة هذه الثورة التي كانت محاولة صريحة للإستقلال عن المملكة الإسبانية[1] .

و قد سارع حاكم غرناطة إلى إرسال حامية عسكرية لتأديب الثائرين، لكن الثروة امتدت إلى أماكن أخرى من قرى مملكة غرناطة، و تمكن الثائرون من إيقاع الهزيمة بجنود الملكين الكاثوليكيين، و شكا الناس إلى الملكين مما يتعرضون له، مماحدا بالملكة **إيزابيلا** و زوجها إلى إصدار مرسوم في 27 يناير 1500م، ينفيان فيه سياستهما القائمة على تشجيع تحويل المسلمين إلى المسيحية قسرا. و يبدو أن هذه التصريحات أو غيرها لم تكن إلا محاولة لإمتصاص الغضب من الصدور، أو تهدئة للأوضاع.

انتهت المعارك بين الطرفين بعقد اتفاقية ثنائية، نصت على احترام الفئات المسلمة، لكن بنهاية الثورة و تصفية عناصر مدبريها، عمدت السلطات الإسبانية إلى إصدار قرار يقضي بمنع المسلمين من الدخول إلى مملكة غرناطة[2] .

و استمر المسلمون في المقاومة تحت حركة الجهاد، فكان نتيجتها اندلاع ثورة البشارات (**Alpujarras**) عام 1501م، في منطقة تقع جنوب غرناطة.

و قد جوبهت هذه الانتفاضة بردع و قمع شديد من طرف القوات الإسبانية، و مع ذلك فقد بقي لهيب الثورة في الإشتعال إلى غاية 1502م.

و كان من نتائج انتفاضة المسلمين في منطقة للبشارات، أن حولت الكنيسة الإسبانية مسجد غرناطة، و مسجد البيازين إلى كنيستين و مدرسة، بالإضافة إلى التعميد القسري في حق خمسين ألف مسلم، مع تحويل شامل لجميع المساجد المتبقية إلى كنائس.

---

(1) محمد، رزوق، الأندلسيون و هجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق 1991، ص59.

(2) نفسه.

و أشار المؤرخ الإسباني **بورنات (Bornat)** على أنه بعد عام 1502م، أرغمت السلطات الإسبانية جميع المسلمين المتبقيين على قبول النصرانية كراهية، و تظاهر المسلمون بقبول الدين المسيحي دينا جديدا[1] . مما أدى بإصرار مسلمي غرناطة على التمسك بالإسسلام و ممارسة الشعائر الدينية خفية عن أعين محاكم التفتيش[2] .

إن عملية إخماد ثورتي البيازين و البشارات كلفت الخزينة الإسبانية في عهد الملكين الكاثوليكيين حوالي 80 مليون مرافدي[3] ، و تجنيد حوالي 13 ألف فارس و 50 ألف من المشاة، و ألفى قطعة مدفعية[4] . و بسبب هذه الأعمال كلها. أصر المسلمون على التمسك بتعاليم الإسلام؛ و لعبت محاكم التفتيش دور الحارس الأمين على المصالح الإسبانية و هي تلاحق الموريسكيين و تطاردهم أينما كانوا، حتى شبه أحد المؤرخين أعمال محاكم التفتيش، بأنها تمارس بيداغوجية الخوف و القهر[5] .

---

(1) Pascual Boronat y Barraclina, los Moriscos espanioles y su espulsion, Espania, ed Earsimil, 1992, p.116.

(2) أشارت المؤرخة السورية، ليلى الصباغ في بحثها عن تمسك الموريسكيين بدينهم في إطار (الإسلام الخفي) إلى وجود ثلاث وثائق عربية، تشير إلى نشبت الأندلسيون بالإسلام.

أولا: نداء الاستغاثة الموجه من الأندلسيين إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني، و هي عبارة عن رسالة وجهت عقب سقوط غرناطة والمرجح أن تكون سنة 1502م.

راجع نص الرسالة عند:

- محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 346-347

ثانيا: رسالة إستغاثة، وجهت إلى السلطان العثماني، سليمان القانوني عام 1541م. أنظر نص الرسالة:

عبد الجليل، التميمي:" رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 3، تونس، جويلية 1975، ص 37-47.

ثالثا: رسالة كتبها مسلم منصّر، هو محمد بن عبد الرفيع الأندلسي (ت 1052هـ/ 1652م)، وصاحب الرسالة يدافع عن المهاجرين الأندلسيين ضد من يتهم بالتقاعس عن دينهم.

راجع:

ليلى، الصباغ، المقال، السالف الذكر، ص 122-124.

(3) مرافيدي (Maravedes)، عملة إسبانية قديمة، تشير إلى عصر المرابطين، و هي دينار مرابطي من الذهب.

(4) محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 91-103.

(5) Bartolomé, Bennassar, L'inquisition Espagnole Xvc XIXe Siècle, Paris, Hachette, 1979, pp.72-101.

1-3- المواجهة الإسبانية:

ظهرت فكرة تأسيس محاكم التفتيش[1] منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، حيث كان البابوات يعهدون إلى الأساقفة بمعاقبة المارقين و الملحدين. و تذكر بعض المصادر على أن الباب **ألكسندر الثالث (ALEXANDRE III)**، أمر بمصادرة ممتلكات الخارجين عن الدين المسيحي و اسسترقاقهم[2] .

تأسست محاكم التفتيش في إسبانيا خلال عهد الملكين الكاثوليكيين. فكانت أول محكمة في إشبيلية التي مارست الضغط على اليهود المتنصرين (**Conversos**). كما أنشأت محاكم أخرى منذ 1482م بقرطبة، و جيان، و بلد الوليد، و في سنة 1483م، أصدرت البابوية بروما براءة تقضي بإنشاء مجلس أعلى لمحاكم التفتيش (**Suprema**) تشرف على شؤون الدين المسيحي الكاثوليكي[3] .

و تؤكد الوثائق المكتشفة في أرصدة محاكم التفتيش أن الإسبان لم يحترموا بنود معاهدة تسليم غرناطة، و حاربوا كل ما هو غير كاثوليكي، و وزعت محاكم التفتيش بيانا كاشفا عن مظاهر اتباع الدين الإسلامي للوشاية بالمسلمين[4] .

و قد تسبب هذا البيان في محاكمة الآلاف من المتهمين الذين وقعوا في فخ الوشاية و الحقد و الإنتقام، و حكم على الباقين منهم بالسجن و الجلد و الاسترقاق أو التهجير أو التنكيل. و كانت البداية بالعلماء ثم الأغنياء بإعتبارهم عناصر القوة في الجماعات المسلمة.

---

[1] بلغت البيبليوغرافيا الخاصة بدراسة محاكم التفتيش سنة 1963، حوالي 1950 عنوانا، و صدرت على شكل دراسات عديدة و متنوعة للمزيد راجع:

B. Bennasser, op. cit.

[2] Guy, Testas et jean, Testas, L'inquisition, Que Sais-je? Paris, P.V.F, ed, 1983, p.7.

[3] تأسست محكمة سانت أفيتيو (S. Oficio)، بقرطبة سنة 1482م.

[4] لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 114-115.

والقضاء على هذه النخبة القيادية كان معناه تفويض نظام الأندلسيين و استئصال جذورهم الحضارية. فلا غرابة أن يكون نصف المحكوم عليهم بجهة داميال الإسبانية (**Damiel**) من الموسرين[1] .

و كان لابد أن تعاضد الكنيسة محاكم التفتيش سواء بتشويه صورة الموريسكيين باعتبارهم "السم، و الحشرات الطفيلية، و النبتة السيئة في حقل الكنيسة الإسبانية، أو أنهم الذئاب المخربة، و الثعابين و العقارب و الحيوانات البشعة السامة"[2] .

أصدر الملكين **فرديناند** و **إيزابيلا** مراسيم التعميد القسري في حق المسلمين سنة 1502م، و طلبا من المشرفين على محاكم التفتيش متابعة الموريسكيين، حتى أصبحت هذه الأخيرة عبئا أثقل كاهل الموريسكيين اقتصاديا. و كان العقاب بانتزاع الممتلكات العقارية و المنقولة في حالات الهرطقة أو الخروج عن التعاليم المسيحية.

و قد ساهم الموريسكيون في تمويل جهاز محاكم التفتيش الذي أوكلت له مهام مراقة و ملاحقة المسلمين في شبه الجزيرة الإيبرية، لذلك سنت سنوية جباية تسوية اجبارية يدفعها الموريسكيون المقيمون في المناطق الخاضعة لسيطرة محاكم التفتيش[3] .

و قد حمل الموريسكيون مسؤولية إنشاء محاكم التفتيش إلى الملكين الكاثوليكيين "إن إيزابيلا قد دخلت جهنم، لأنها أنشأت محاكم التفتيش..."[4] و هذا التعبير كان شائعا لدى الموريسكيين خلال حكم **إيزابيلا**.

---

(1) Rafeal, carrasco; " le refus d'assimilation des morisques, aspects politiques et culturels d'après les sources inquisitoriales," in,les Moriſques et Leur Temps, Paris, 1983, p.183.

(2) لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 100.

(3) حول التوزيع الجغرافي لمراكز محاكم التفتيش، و تاريخ تأسيسها في إسبانياراجع:

Henry, Karmen, Histoire de L'inquisition espagnole, Traduction, Tanette et Hélène DE Lattre, Paris, 1966, p.153

(4) محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 62.

و تشير بعض المصادر الأوروبية أنه خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر، كانت غالبية الأمة الإسبانية تقف وراء قرارات الملوك و القضاة و الرهبان، و تؤيد ممارساتهم القمعية الصادرة في حق الأقليات الموريسكية انذاك[1] .

و قد لجأت السلطات الإسبانية إلى تأسيس مراكز أخرى لمحاكم التفتيش، تجاوزات حدود شبه الجزيرة الإبيرية إلى جزر الباليار و صقلية و بالرمو[2] و أمريكا، و حتى على متن السفن الإسبانية[3] .

و بفضل هذا الجهاز أضحى الموريسكيون عبيدا بدون سيادة، بعد أن صودرت أملاكهم و انتزعت أحباسهم، و بدأت عمليات الإستيلاب الثقافي و التغريب تمارس في حقهم. و تؤكد الوثائق و المستندات التي هي بأيدي الباحثين و التي وظفها المؤرخون الإسبان أنها لم تحترم روح المعاهدة التي وقعت مع الطرف العربي، بل سرعان ما تنكر لها الطرف المسيحي، و بدأ المسؤولون السياسيون و الدينيون الإسبان، و هم المنغلقون دينيا و حضاريا على أنفسهم، و المؤمنون بوجوب محاربة كل ما هو غير كاثوليكي، في عملية جديدة، تقضي بإسترداد ليس المدينة فقط، بل أيضا باسترداد روحي و حضاري لكافة سكان المملكة، و على الخصوص العرب المسلمين[4] .

هذا وقد وزعت محاكم التفتيش قائمة مفصلة لكل المظاهر التي تنبىء عن إتباع الدين الاسلامي من طرف الموريسكين، و طلب من كل المواطنين الإسبان الاخبار لمحاكمة أصحابها[5] .و معنى هذا، نرى كيف أن الباب كان مفتوحا للوشاية

---

(1) H. Karmen, op. cit, p. 61.

(2) R. Carrasco et A. Gonzalez:" le problème morisque dans les: Les de la Méditerranée", in, R.H.M, N° 35-36, Tunis, Juillet 1984, pp. 37-70.

(3) Monique Coste: « Le morisque et le Tribunal de la Mer, un Procés exemplaire », in, les Morisques et Leurs Temps ... op.cit , pp. 463-473.

(4) عبد الجليل، التميمي:" واقع و مستقبل الدراسات التاريخية عند مآساة الموريسكيين الأندلسيين"، في كتاب الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين، زغوان: سيرمدي 1991، ص 54.

(5) لقد نشر المؤرخ الفرنسي لوي كارديك محتوى البيان، الذي يخبر عن مظاهر اتباع الموريسكيين للتعاليم الإسلامية، كالاحتفال بالجمعة، و أركان الاسلام الخمسة، و الاختتان، و استعمال الموسيقى و الأغاني العربية ...الخ.للمزيد، أنظر: لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 114-115.

و الحقد و الانتقام؛ على أن وثائق محاكم التفتيش، تضم مئات الآلاف من القضايا التي رفعت إليها، وقضت فيها بأحكام السجن و الغرامة أو التهجير أو الإستيلاء على الأملاك و سلب الحقوق المدنية. و لعل العقوبة الشنيعة التي مارستها محاكم التفتيش هي الحرق حيا.

و عليه فإن أملاك الكنيسة، و محاكم التفتيش قد تأسست أساسا من الأحباس و الاستيلاء غير الشرعي للأملاك.

لقد أصيبت الملكة **إيزابيلا** بالمرض لعدة شهور وأدركها الموت في 23 نوفمبر 1504م، و ذلك في ماديناديل كامبو (**Madinadel Campo**) ثم دفنت في مدينة غرناطة في الكاتدرائية التي احتلت مكان المسجد الجامع، بعد أن وضعت الأساس للقضاء على الإسلام و المسلمين في الأندلس، و هي سياسة ظلت ثابتة، سار عليها حكام اسبانيا بعد **إيزابيلا**[1].

[1] محمد عبد الحميد، عيسى صقر، المصدر السابق،ص 129.

2- الموريسكيون في عهد شارل الخامس (925-963هـ/1519-1556م).

بادر الملك الإسباني **شارل الخامس** على فتح الملف الموريسكي في مملكة غرناطة، ذلك أن سكان المملكة قد رفعوا عرائض و شكاوي يشرحون فيها المظالم التي لحقتهم من جراء التعسفات و الإضطهاد المسلط من طرف رجال الكنيسة و محاكم التفتيش. و كان من نتائج تلك المفاوضات التي جرت بين الموريسكيين و ممثلي الملك، أن يدفع الموريسكيون لخزينة المملكة ما قيمته 80000 دوكات (Ducados)[1] ، و كان ذلك سنة 1526م، لبناء القصر الملكي في جانب من قصر الحمراء بغرناطة، و إضافة إلى ذلك فرض على الموريسكيين دفع أضعاف الجباية لاتمام ترميم القصر[2] .

2-1- سياسة التنصير و الإدماج.

اعتمدت السياسة الإسبانية خلال عهد **شارل الخامس** على محورين أساسيين، هما التنصير و الإدماج في حق الموريسكيين الأندلسيين.

و سنعالج كلا المحورين في هذا المبحث، نظرا لأهميتهما في التعريف بسياسة شارل الخامس خلال هذه المرحلة الحاسمة. ففي سنة 1524م، تحصل الملك على براءة صدرت من البابا **(كليمانت السابع)**، يكلف أعضاء محاكم التفتيش بالعمل و السهر على تنفيذ عمليات تعميد المسلمين، مما دفع بالموريسكيين إلى اختيار باب الهجرة الجماعية، و التي تواصلت زمن **شارل الخامس** نحو سواحل الشمال إفريقيا.

لقد رفع الموريسكيون تقارير مختلفة إلى الملك، تكشف عن تلك المظالم التي لحقتهم، و بعد الاطلاع عليها من طرف مستشاري الملك، تبين أن الموريسكيين كانوا يرغمون على اعتناق النصرانية دون تلقينهم مبادئ الإيمان المسيحي، لذلك اجتمع رجال الدين في إطار لجنة خاصة، و قضوا بأن الطريقة السابقة في تنصير الموريسكيين قسرا لم تعد مجدية، فلجأو إلى أساليب أكثر دهاءا و عنفا منها:

---

[1] محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 80.

[2] عبد الجليل، التميمي، واقع و مستقبل ... المصدر السابق، ص 59.

- نقل محاكم التفتيش من بلدة جيان إلى غرناطة.
- تغفر للموريسكيين كل (**الشرور و المغالطات**) المرتكبة حتى عام 1526 ضد الإيمان الكاثوليكي.
- منع الموريسكيين من إستخدام اللغة العربية، سواء في الخطاب أو الكتابة، و عليهم أن يتعلموا اللغة القشتالية (**الإسبانية**).
- على كل موريسكي أن يبدل ملابسه حتى تصبح متفقة مع ملابس الإسبان.
- حظر عليهم إستعمال الحمامات.

و قد نصح الباب (**كليمانت السابع**) الملك – في إطار سياسة التنصير و الإدماج – بأن يكلف أعضاء ديوان محاكم التفتيش باتمام عملية التنصير.

و إذا أصر أحد المسلمين على التمسك بالإسلام، فيحسن إخراجه من المملكة تحت طائلة إسترقائية مدى الحياة[1] .

و بالرغم من قساوة الأوامر الملكية و جميع المخاطر، كان الموريسكيون يتسللون باستمرار إلى شمال إفريقيا بمساعدة إخوانهم المغاربة، إذ يسجل المؤرخون سلسلة من الهجرات المتتالية:

أول هجرة مؤرخة سنة 1526م: 2200 موريسكي غادر مملكة بلنسية، و في سنة 1529م: 200 موريسكي من بلدة أوليفا (**Oliva**)ن و في سنة 1552م: 2000 موريسكي غادر منطقة كولييرا (**Cullera**)[2] .

و كانت المملكة الإسبانية زمن **شارل الخامس** قد انتهجت سياسة اللين و التسامح مع الموريسكيين، من أجل إدماجهم في حظيرة المجتمع الإسباني المسيحي، و لكن الجماعة الموريسكية قاومت سياسة المسخ و الإدماج، بالرغم من تلك الاجراءات الرامية إلى العفو و الغفران، فقد ترجم رفض الموريسكيين المطلق لسياسة الإحتواء الإسبانية[3] .

---

[1] محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 79-81.

[2] Henri, Lapyre, Géographie de L'Espagne morisques, Paris, S.E.V.P.E.N, 1959, pp. 29-30.

[3] لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 50.

و نسجل في هذا الصدد، أول مظهر في هاته المعاناة (فتح باب الوشاية و الحقد و الانتقام)، هو أن رجال العلم و الفقهاء، لم يعودوا يسمون بأسماء عربية، في محاولة من محاكم التفتيش قتل الانتماء إلى الضمير الإسلامي و كل ما هو متعلق بتراث الأجداد[1] ، و حتى النساء كن يلقبن بغير الأسماء العربية، إلى درجة أن **لويزا الأزرق** كانت تجهل حتى الأسماء اللاتينية لوالديها و زوجها و أطفالها السبع[2] .

و قد أقرت محاكم التفتيش قطع الموريسكيين عن جذورهم و هويتهم الثقافية، و ذلك بالقضاء النهائي على نظامهم الاجتماعي انطلاقا من قمة الهرم، أي سحق الزعماء و المتضلعين في شؤون شعائر الإسلام، و حيث ذكرت المصادر أن نصف المحكوم عليهم بمنطقة داميال كانوا من الأغنياء كما سبقت الإشارة إليه[3].

اهتمت السلطات الإسبانية خلال هذه المرحلة بموضوع اعتناق الموريسكيين للدين المسيحي، إلا أنها فشلت في عملية التنصير. و يرى **جان القلي** أنه من أسباب فشل سياسة تنصير المسلمين في عهد **شارل الخامس**، هو عدم اقناع رجال الدين للموريسكيين في اعتناق النصرانية، و عدم قدرتهم على تغيير عقلية الموريسكيين، و تحويلهم عن عقيدتهم الإسلامية الراسخة[4] . و توسع إجراء القمع من خلال قوانين استثنائية كرست سياسة الإدماج، تمثلت فيما يلي:

- تظل أبواب منازل الموريسكيين مفتوحة أيام الأعياد و الجمعة.
- التخلي عن العادات و التقاليد الإسلامية[5] .

---

(1) B. Vincent: " les morisques et les prénoms chrétiens", in, Les Morisques et Leurs Temps ...op. cit, pp. 59-69.

(2) Ibid , p. 66.

(3) R. Carrasco, op. cit, p .189.

(4) جان مونيك، القلي:" تنصير الموريسكيين أو أسباب الفشل"، (تعريب: د. عبد الجليل التميمي)، في أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (مهن الموريسكيين الأندلسيين و حياتهم الدينية و إشكالية التاريخ الموريسكي، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1990، ص 29-30.

(5) بدرو، لونقا، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين، (تعريب: د. جمال عبد الرحمان و مراجعة: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1993، ص 40.

و تخوف سكان غرناطة من مصادرة المزيد من أملاكهم، فدفعوا مقابل ذلك ضرائب باهضة بلغت حسب السنوات التالية:

1543م: 120000 دوكة.

1555م: 200000 دوكة.

1558م: 30000 دوكة.[1]

و بالرغم من هذه الأعمال التعسفية، فإن الجماعات الإسلامية، قاومت محاكم التفتيش من خلال اللجوء إلى المفاوضات من أجل التحقيق عن عقوبة السجن أو مصادرة الأملاك، مقابل تقديم عروض اقتصادية. و كانت هذه العملية احدى طرق العمود الموريسكي، بل هي أداة إستراتيجية دفاعية ضد محاكم التفتيش و الكنيسة. و قد عبر عنها أحد الكتاب الغربيين بأنها :" تطور سياسي جديد للموريسكيين"[2]

و بسبب تعنت الموريسكيين و تشبتهم بهويتهم الإسلامية، و رفضهم لكل محاولات الادماج جعل **بروديل** يصر على :" أن المشكل الموريسكي صراع ديني، و بمعنى آخر صراع حضاري، يصعب حله، فهو مدعوا لأن يستمر..."[3] .

و ظل الموريسكيون في عهد **شارل الخامس** موضع شك و عرضة للمطاردة، فقد طلب **شارل الخامس** من الملك **الحفصي** -إثر احتلال إسبانيا لتونس سنة 1535م- تطبيق ما جاء في معاهدة تنص في أحد بنوذها :" أن مولاي **الحسن** لن يقبل في مملكته أحدا من الأندلسيين الموريسكيين الذي اعتنقوا الدين المسيحي أخيرا، باعتبارهم رعايا جلالته الإمبراطور (إسبانيا)، سواء كانوا من بلنسية

---

(1) B. Bennassar, op. cit, p. 178.

(2) رفائيل بنيتار، سانساش بلانكو :" المفاوضات بين محاكم التفتيش و الجماعات الإسلامية"، (تعريب: رضا مامي)، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ج2، ص 267.

(3) F. Braudel, La Méditerranée ... op. cit, T2, p. 118.

او غرناطة، أو أي مكان آخر في مملكته، و أن الملك الحفصي لن يسمح لهم بالقدوم و بالإقامة (في تونس)، بل على العكس من ذلك يطردهم من مملكته..."[1]

و كانت سياسة **شارل الخامس** تتأرجح أحيانا بالاعتدال و أحيانا بالتطرف. و يمكننا تشبيهها بسياسة التذويب، و لكنها مع ذلك فشلت بسبب الرفض الصريح للموريسكيين، لكل محاولات التنصير و الادماج.

2-2- المقاومة الموريسكية.

تبنت الجماعة الموريسكية المقاومة ضد حملات الإندماج الثقافي الموجه ضدهم، بهدف الحفاظ على الهوية الدينية و الثقافية؛ و عملت على تعطيل برامج و مخططات محاكم التفتيش، و لكن هذه الأخيرة عرفت كيف تتأقلم قضائيا و اجتماعيا مع الجالية الإسلامية. و ظل المسلمون بالأندلس يمارسون الجهاد بصبر و عزيمة.

نعت الإسبان المقاومة الموريسكية على أنها من الأعمال اللصوصية (**El Dandolerismo**) و هي ظاهرة شهدتها إسبانيا بعد سقوط غرناطة، أما بالنسبة للعناصر الموريسكية، فهي تمثل نوعا من الصراع الحضاري الدائر ما بين المسلمين و المسيحيين في إسبانيا و قتذاك، أما في نظر العامة فهي إمتداد للحروب التحريرية و المقاومات الشعبية التي شهدتها الأندلس، مع بداية حركة الاسترداد ضد سياسة التنكيل و القمع الإسباني.

و قد إعتبر كارو باروخا (**Carro baroja**) العمليات الجهادية التي قام بها المغاربة و الموريسكيون على حد سواء، أنها من مظاهر القرصنة البحرية خلال القرن السادس عشر[2] . و شبهها **بروديل** بأنها أخت القرصنة البحرية[3] .

و مهما يكن فإن الكتاب الغربيين ينعتون عموما الجهاد البحري خلال هذه الفترة بالقرصنة، و خاصة على المجاهدين المغاربة.

---

(1) Elie, de la primandie , « Documents inédits sur l'histoire de L'occupation espagnoles en Afrique (1506-1574 », in, R.A (N° 20), 1876, p. 136.

(2) Julio Caro, Baroja, Los Moriscos del reino de Granada, Madrid, 1976, pp. 159-166.

(3) F. Braudel, op. cit, T2, pp. 83-123.

أما المنفي (**Monfiés**) فمعناه في المصطلح الإسباني، المغربي او الموريسكي الذي يشكل جزءا من عصابات (**Solteadores**)، بمنطقة الأندلس.

و ظهرت أعمال هؤلاء بعد حركة الاسترداد المسيحي، وهي في نظر القانون الإسباني إجرام لا غير[1] . أما في نظر الموريسكيين فالمنفي يرمز للاصلاح و الشجاعة و البطولة.

إن مسألة استعمال هذه المصطلحات التاريخية تثير الإستغراب، من ذلك مثلا: " قطاع الطرق الموريسكيين في القرن 16م"[2] . و قد ذهب المؤرخون الأوروبيون على أنه بعد الطرد النهائي للموريسكيين سنة 1609، اختفت ظاهرة اللصوصية من إسبانيا، و هذا راجع حسب اعتقادهم إلى القضاء على العناصر الموريسكية و ترحيلها، و قد عدهم البعض قتلة و مجرمين، و لكن الحقيقة هو أن الموريسكيين مارسوا الجهاد دفاعا عن النفس و حفاظا على هويتهم و ثقافتهم المهددة بالطمس و المسخ، و إخلاصهم لانتمائهم الثقافي للحضارة العربية الإسلامية، و لم تكن هذه الموجة من الأعمال، سوى شكلا من أشكال التحرير.

أ- دور الفقهاء.

إن معظم الدراسات التاريخية الغربية حول موضوع الموريسكيين، ركزت على قضايا في منتهى الأهمية عندما سلطت الأضواء على دور الفقهاء في هاته المقاومة العنيدة و الثابتة لسياسة الطمس و الإدماج[3] .

إن سياسة المسخ و الذوبان التي طبقت على المجتمع الإسلامي بالأندلس بعد سقوط غرناطة، قد أعطت للفقهاء دورا رائدا و مثاليا في شد و أزر الموريسكيين، و هذا من خلال تلقينهم و تذكيرهم بقواعد دينهم الحنيف و تعاليمه السمحة، و تنظيم الاجتماعات السرية[4] .

---

(1) B. Vincent, " Les bandits morisques en Andalousie au XVIe siècle ", in, Revue d'histoire moderne et contemporaine, T.XXI, Juillet - Septembre 1974, pp. 390.

(2) Ibid, pp. 389-409.

(3) للمزيد من التفاصيل راجع:
R. Carrasco, op. cit, pp. 169-216.

(4) Ibid , pp. 184-185.

بل ان عددا من هؤلاء الفقهاء تزعموا الثورات مثل الفقيه لورنزو الذي قاد ثورة غرناطة سنة 1570م[1] .

و قد تناولت كتابات الفقهاء و العلماء و الأدباء و الشعراء مواضيع دينية و تشريعية ذات طابع جدلي و قصصي، و تميزت بشكلها العامي و الشعبي، مما سهل انتشارها بسرعة بين صفوف الموريسكيين، خاصة بامتناع مؤلفيها عن التنصيص على أسمائهم تقية و تحررا، لا سيما إذا اشتدت اللهجة في نعت المسيحيين و الاقتصاص منهم[2] .

ب- دور المرأة

كان دور المرأة الموريسكية أساسيا في رفض اندماج مجتمعها في المجموعة المسيحية، فقد لعبت دورا مشرفا، و وقفت موقفا بطوليا في مواجهة محاكم التفتيش، ذلك أنها مثلت الحارس الأمين للقيم و التقاليد الاجتماعية منها و الدينية، و كانت بمثابة التجانس الاجتماعي الذي عمل على صمود المسلمين.

فايزابال كالافار (Isabel Calavara) -مثلا- أحرقت لأنها لم تخبر عن والدتها و أختها، و هي في العشرين من عمرها[3] . و من النساء من شنقن أنفسهن[4] أو رمين بأنفسهن في البئر[5] ، أو قطعن ألسنتهن كي لا يبحن بأسرار العائلة عند الإستنطاق و التعذيب[6] .

---

(1) عبد الجليل، التميمي، واقع و مستقبل ... المصدر السابق، ص 56.

(2) عبد الله، حمادي، الموريسكيون و محاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب و الدار التونسية للنشر 1989، ص 115.

(3) Jacqueline Fourne, Guérin « la femme morisque en Aragon », in, les morisques et Leur Temps ..., op.cit, p. 533.

(4) Jeanne, Vidal, Quand on brûlait les morisques, (1544 -1621), Nimes, 1986, p. 165.

(5) idem - R. Carrasco, op. cit ,p. 208.

(6) J. Vidal, idem

و في البيت، كانت المرأة الموريسكية ضامنة للأطعمة الحلال، و إحياء الأعياد الدينية، و متكلفة بتعليم أبنائها تعاليم الإسلام[1] ، و في بعض الأحياء كانت تعقد إجتماعات سرية في بيتها لتعليم القرآن و قواعد الإسلام لغير أفراد العائلة، مثلما كانت تفعل **خوانا لوبيز** (**Juana lopez**) في داميال سنة 1541م، و **برياندا سواريز** (**Brianda Suarez**) في وادي الحجارة سنة 1546م[2] . بل إن من النساء من اجتزن الحدود في زي الرجال، فقد تحولت **كاتالينا هوندارا** (**Catalina Hondarra**) إلى بابوية روما كإلغاء حكم مصادرة أملاكها، إلا أنها أحرقت عند رجوعها سنة 1585م[3] ، و كانت **آنادوا لينان** (**Ana de linan**)، تقوم بدور الداعية في دارها سنة 1570م[4] . و قد بينت الدراسات الإحصائية أن نسبة النساء اللائي أحرقن، قد ارتفعت من 34% من حالات الإحراق قبل سنة 1571م إلى 40,5% بعدها أي أنها نسبة فاقت نسبة حرق الرجال، بل أن 70% ممن أحرقن في منطقة لوقورنو (Logorno) أواخر القرن 16م، كانّ من النساء[5] . و هذا يدل على المتابعة الصارمة من قبل محاكم التفتيش للعنصر النسوي، و العمل على تعذيبهن، ثم إحراقهن، نظرا للدور الإيجابي الذي كانت تقوم به النساء داخل الجماعات الإسلامية.

و كانت المرأة الموريسكية على يقين من أن إعدامها يتجاوز الدين إلى الهوية. لهذا أصرت على المقاومة و الصمود في وجه محاكم التفتيش. فعندما شتم أحد المسيحيين **أنادوا فيقورا** بقوله :" إنها كلبة عربية" ردت عليه :" نعم أنا عربية و أبي و أمي كانا و ماتا عربيين، و أنا عربية و سأموت عربية". على قول **خوان كوياثيرو** السرقسطي المحروق سنة 1582م[6] .

---

(1) J. I . Vidal, Op.Cit, P 165.

(2) لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 72-73.

(3) J.F. Guerin, op, cit, p. 165.

(4) لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 76.

(5) R Carrasco, op, cit, p. 208.

(6) عبد الجليل، التميمي، واقع ... المصدر السابق، ص 56.

و لاشك أن تقارير محاكم التفتيش نعتت المراة الموريسكية بالمسلمة المثالية[1] ،لأنها أكدت على استمرارية و ديمومة المجتمع الموريسكي و تماسكه[2] داخل الجماعات المسيحية الضاغطة، و اعتبرت كمثال للافتخار و الاعتزاز.

و قد عرفت المرأة الموريسكية أزمة خطيرة في مواجهة القمع الإسباني لها، و يمكن حصر هذه المحنة في ثلاث مراحل:

- مرحلة الشتات و التهجير.
- مرحلة التعذيب و الانتقام.
- مرحلة الغربة الروحية و الإستيلاب الثقافي[3] .

و شملت كل مرحلة تطبيق مجموعة من القوانين التعسفية أهمها:

أ- المجموعة الأولى من القوانين: 1492-1599م:

- يحرم على المرأة القيام بشعائرها الدينية.
- يمنع عليها الزواج طبقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.
- يمنع النساء من التنظيف و دخول الحمامات.
- يمنع النساء من اقامة حفلات الرقص و الموسيقى العربية.

ب- المجموعة الثانية من القوانين: 1599-1609م:

- القضاء على الجنس العربي.
- إعدام الشباب و الكهول، بما في ذلك النساء.
- نفي الرجال و النساء.

---

(1) J.F. Guérin, op. cit, p. 529.

(2) العروسي، الميزوري:" الطفل الموريسكي و أزمة هوية"، في أعمال المؤتمر العالمي السابع للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (العائلة الموريسكية: النساء و الأطفال)، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1997، ص 54.

(3) المصدر نفسه، ص 55-56.

ج- **المجموعة الثالثة:** و تمثلت في قرارات الطرد النهائي[1]

و ستصبح محاكم التفتيش رمزا لضمان السلامة و وحدة الأمة الإسبانية دينيا، فهي تترجم صرامة الدولة و الكنيسة في احترام الوحدة الدينية. و هكذا فإنها مثلت ركيزة المجتمع الإسسباني خلال القرن السادس عشر[2] .

و المتتبع لمسار سياسة محاكم التفتيش تجاه الجالية الإسلامية، سيستنتج تطبيق قوانين صارمة منها:

- منع الآباء من تلقين أبنائهم الشعائر الإسلامية.
- إجبار الصغار و الكبار على حضور الحفلات الدينية المسيحية في الكنائس.
- تحويل المساجد إلى كنائس.
- إنشاء مفتشية، تدقق في أموال و مداخيل الموريسكيين.
- مصادرة الكتب الدينية و العلمية[3] .

كذلك منع الموريسكيون من ختان أبنائهم، حيث أصدرت محاكم التفتيش الأمر التالي :" نطالب من الآن فصاعدا كل الجراحين و الأطباء و الأشخاص المرخص لهم بأن لا يقوموا بقطع مقدمة عضو أي شخص دون إذن من الأسقف أو المحاكم، و من يخالف ذلك يعرض إلى النفي من المملكة"[4] .

و قد ذكر أحدهم، أنه قبل ختان ابنه لارضاء والد خطيبته الذي اشترط ذلك لموافقته على الزواج، و هذا حرصا منهم لإبراز الهوية العربية الإسلامية[5] .

و صدرت عدة اجراءات و تراتيب، تتعلق بمحاولة إدماج الطفل الموريسكي في المجتمع الإسباني، و هي محاولات لقطع صلة الأطفال الموريسكيين عن هويتهم الإسلامية، و تتمثل في الأساس من:

- منع الموريسكيين من ختان أطفالهم.

---

(1) لوي، كارديناك، المصدر السابق، ص 43.

(2) بلقاسم، درارجة:" الأندلسيون المسلمون و محاكم التفتيش"، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (الذكر الخمسمائة لسقوط غرناطة (1492-1992)، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1993، ج2، ص 69.

(3) B. Vincent: « Les morisques et la circoncission", in, Actes du II symposium international du C.I.E.M... op, cit, T2, p. 191.

(4) Ibid, pp. 190-191

(5) العروسي، الميزوري، المصدر السابق، ص 66.

- منع تسميتهم بأسماء عربية.

- تسليم الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات و خمسة عشر سنة إلى السلطات الإسبانية قصد تلقينهم مبادئ الدين المسيحي[1] .

و هذا الموقف الإجرائي أثر على وضعية الطفل الموريسكي و مستقبله، حيث وجد الطفل الأندلسي نفسه في محيط حتم على والديه، توجيهه نحو الامتثال للواقع الإسباني، و الانصهار في مجتمعه، مما سيحدث له حالات من التمزق النفسي، و الاضطراب الاجتماعي[2] .

2-3- أسلوب التقية عند الموريسكيين.

بعد عمليات التنصير القسري، لجأت الجماعات الموريسكية إلى تأسيس جمعيات سرية، و استمر الفقهاء في تأطير تنظيماتهم الاجتماعية. و كانت محاكم التفتيش في مقابل ذلك ترفض كل أشكال الحوار و الجدال مع المسلمين، لذلك رخص الإسلام للمسلمين بعدم أداء الواجبات الدينية في ظروف قاهرة أو خشية مضرة كبيرة للشخص[3] .

و ابتدع الموريسكيون أسلوبا جديدا لمواجهة المد المسيحي، يعتمد أساسا على مبدأ التقية، و قد عبر بهذا الصدد الشهاب الحجري الأندلسي :" و كانوا يعبدون دينين : دين النصارى جهرا، و دين المسلمين في الخفاء (خفية) من الناس و إذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين، يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، يحرقون بعضهم كما شهدت... من عشرين سنة قبل خروجي منها..."[4].

---

[1] العروسي، الميزوري، المصدر السابق، ص 66-69.

[2] لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 90.

[3] هذا ما جاء مطابقا للآية الكريمة، قوله تعالى:

" من كفر بالله من بعد ايمانه إلا من أكره و قلبه مطمئن بالايمان و لكن من شرح بالكفر صدر فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم" سورة النحل / 106.

[4] أحمد بن قاسم، الشهاب الحجري، ناصر الدين على القوم الكافرين (تحقيق: محمد رزوق)، الدار البيضاء، 1987، ص 21.

إن التقية (الاحتياط و الكتمان)[1] ، و هو أيضا الحذر و السرية، يستعملها المسلم عند شعوره بأنه في وسط بيئة إجتماعية عدائية. ظهر هذا المذهب في بداية تاريخ الدعوة الاسلامية، خلال مرحلة الدعوة السرية على عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

و قد احتار الموريسكيون في بداية الأمر في الكيفية التي يمارسون بها الشعائر الدينية وسط المجتمع الإسباني الضاغط، و تحت المراقبة الشديدة و المستمرة من طرف محاكم التفتيش. لهذا أجاز فقهاء الإسلام للموريسكيين ممارسة العبادات سرا، ففي سياق الرد الذي جاء به الونشريسي عن تساؤلات أهالي غرناطة، الذين سألوه عن احتمال رجوعهم إلى أرض الإسلام أو البقاء في دار الكفر (إسبانيا) مما جعل الفقيه يبيح العودة إلى دار الإسلام، و كأنه واجب ديني[2].

و قد استغرب **لوي كارديك** من هذا التصريح و ألح على أنه خطأ كبير صدر من الفقيه[3] . و هذه الفتو ى كانت ور اء تصاعد التوتريين الموريسكيين و المسيحيين ، و خاصة فيما يتعلق باستعمال أسلوب التقية في ممارسة العقائد[4] .

و بقي الإسلام الخفي جاثما على أرض الأندلس يحمله جيل بعد جيل، على الرغم من وسائل الإرهاب و الإقصاء إلى غاية سنة 1614. و هذا يعني أن سياسة التنصير قد فشلت. و حاول المؤرخ الإسباني **بدرو لونقا** (**Pedro Longas**) من خلال منهجه في محاولة دراسة عقيدة الموريسكيين مع تحليل أركان الإسلام الخمسة، و علاقة هذه القواعد بالممارسة الفعلية من طرف الأندلسيين. كما حاول تحديد الأطر العامة للاسلام الخفي المتبع في اسبانيا خلال القرن السادس عشر، و ركز على أربع نقط هامة:

- الخط السياسي المتبع مع الموريسكيين في المجال الديني ما بين 1492-1614.
- تمسك الموريسكيين بممارسة شعائر الإسلام.
- اختلاف وضعية الموريسكيين زمانا و مكانا.

---

[1] حول مفهوم التقية و استعمالها من طرف الموريسكيين، راجع: B. Bennassar, op, cit, pp. 187.

[2] للمزيد من التفاصيل حول أسلوب التقية و رأي فقهاء الإسلام، راجع مبحث موقف فقهاء الاسلام في الفصل الثاني.

[3] لوي، كارديك، المصدر السابق، ص 93.

[4] المصدر نفسه، ص 92.

♦ عدم فعالية الوسائل المستعملة (محاكم التفتيش) لتحويلهم إلى الدين المسيحي تحويلا صارما[1] .

لقد اعتبر الموريسكيون مبدأ التقية كموقف سياسي يواجهون به الظروف التاريخية الصعبة، و هذا ما أشار إليه الباحثون، و حينما استعمل هذا الأسلوب اعتقد المؤرخون، و خاصة الغربيون منهم، أن التقية شوهت الإحساس الأخلاقي لدى الموريسكيين، و هذا بفعل اخفاء الممارسات العقائدية[2] .

و مما يجدر الإشارة إليه، أن هناك دراسة قيمة حول مفهوم التقية عند الموريسكيين، و أسباب ظهورها بإسبانيا بعد سقوط غرناطة، و من عناصرها الأساسية:

♦ تعنت محاكم التفتيش و رفضها لأسلوب الحوار و التسامح.

♦ بداية الممارسة الفعلية للتقية، كان مع ازدياد الضغط الكنيسي خاصة مع بداية مراسيم التنصير القسري.

♦ نقض بنود اتفاقية غرناطة التي تعهد فيها الملكان الكاثوليكيان باحترام الحريات و قواعد الإسلام

♦ الصفات القبيحة و الذميمة التي ألصقتها الكنيسة بالموريسكيين.

♦ تسامح الإسلام لأتباعه بالتستر في أداء الواجبات الدينية عند الشعور بالخطر.

♦ ظهور فتاوي من طرف الفقهاء بجواز استعمال التقية في الأندلس[3] .

أصر الموريسكيون على إستعمال التقية كأسلوب للدفاع عن الهوية الثقافية و الدينية، و هذا انطلاقا من التوجيه القرآني الذي يراعي اليسر و الأمان للمسلم و عدم الالقاء بنفسه إلى التهلكة.

و من بين أساليب التقية المستعملة عند الموريسكيين:

♦ التحايل على رجال محاكم التفتيش و عيونهم.

♦ رفض العمل بالشعائر المسيحية.

---

[1] بدرو، لونقا، المصدر السابق، ص 40.

[2] لوي، كارديناك، المصدر السابق، ص 95.

[3] جمال، يحياوي:" دور التقية في الحفاظ على الشخصية الموريسكية بالأندلس (1492-1610)"، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية... المصدر السابق، ج2، ص 263-265.

♦ التمسك بالحياة الإجتماعية الإسلامية.

و هذا ما يفسر مدى فعالية أسلوب التقية في تسهيل حياة الموريسكيين وسط المجتمع الإسباني المعادي.

هل كان الموريسكيون مسلمون حقا أم لا؟ مسألة كانت تناقش كثيرا في مداولات محاكم التفتيش. و أضحت محور جدال في شمال افريقيا و خاصة بعد وصول الأندلسين ما بين 1492-1614م. ما هي الديانة الحقيقية لهذه المجموعة؟

بكل اختصار، و بناء على وثائق محاكم التفتيش و شهادات المعاصرين، فإن الموريسكيين الأندلسيين كانوا راسخي الإيمان، يقومون بشعائر الإسلام حسب استطاعتهم، و هذا طبقا لما جاء في فتوى المغراوي[1] .

و ابتكرت العناصر الموريسكية لغة جديدة في التخاطب -تدخل ضمن أسلوب التقية- تتمثل في (الالخميادو)، الذي إعتبره العديد من المؤرخين بمثابة الإجابة على نتيجة الإنقلاب الإجباري الذي وقع للموريسكيين في نهاية القرن الخامس عشر و بداية القرن السادس عشر. كما اعتبرت المخطوطات الإلخمياديـة كمصدر تاريخي بالنسبة لأحداث القرن السادس عشر، و لا يمكن الإستغناء عنها لفهم حقيقة الصراع الدائر ما بين الموريسكيين و المسيحيين[2] .

---

[1] باتريك، هارفي:" الموريسكيون و أركان الاسلام الخمسة"، (تعريب: نجيب بن جميع)، في أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسكية الأندلسية حول (تطبيق الموريسكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية في القرن السادس عشر)، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي 1989، ص 145-149.

[2] في أواخر القرن 16م. افتكت كل عناصر مقومات الثقافة الموريسكية، مما جعل الأندلسيين يجهلون اللغة العربية تدريجيا. و يتكلمون اللغة القشتالية، و هذا ما يفسر وجود ثلاثمائة مخطوط في العالم، حررت بالأحرف العربية، و لكن تنطق باللغة الإسبانية. و هو ما يطلق عليه اليوم بالالخميادو. و قد ترجمت هذه المخطوطات عن معاناة الموريسكيين اليومية.

و يرى البعض أن اللغة الأعجمية هي تعبير عن الإيمان بالدين الإسلامي بإسبانيا إذا اعتبرنا أن اللغة هي عبارة عن جهاز دفاعي، و مرجع كل هوية مهدت بالزوال[1] .

لذلك فإن الأفق الثقافي و اللغوي و السياسي للموريسكيين، اعتبر اللغة العربية في إسبانيا عرضة للإسقاط و التهميش الفكري لذلك " جاءت اللغة الإلخميادية كنتاج للشعور مقلق و حالة ضمير معارض"[2]

و ارتبط ظهور نصوص الكتابات الالخميادية بإسبانيا خلال القرن السادس عشر، على إثر إستحالة التعايش بين المسلمين و المسيحيين على المستويين الديني و الاجتماعي، و قد استعمل الموريسكيون الأدب الالخميادي للوقوف في وجه سياسة الادماج و التنصير، حيث ركز أدبهم على الكتابات الدينية و الجدلية. و كان الهدف الأساسي لهذه الكتابات تعليمي ، و العمل على انعاش الايمان بالدين الإسلامي و التمسك بتعاليمه[3] .

---

[1] حول الثقافة الموريسكية و الآداب الالخميادو، راجع: عبد الله، حمادي، المصدر السابق، ص 103-126.

[2] نجيب، بن جميع:" الخط العربي: كتعبير لرمز مقدس في النصوص الالخميادية و الموريسكية"، (تعريب: عبد الجليل التميمي)، في أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ص 29.

[3] شهرزاد، بن دمراد:" تربية الموريسكيين الدينية من خلال الكتابات الالخميادية"، (تعريب: د. عبد الجليل التميمي)، في أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ص 25-26.

3- الموريسكيون في عهدي فليب الثاني و فليب الثالث.

3-1- فليب الثاني و المشكل الموريسكي 963-1006 هـ/1556-1598م.

حاول **فليب الثاني** تغيير سياسة إسبانيا الخارجية، من خلال عقد معاهدات صلح مع بعض الدول الأوروبية (**فرنسا و أنجلترا**) و التي انتهت بالتوقيع على معاهدة **كاتوكمبريسيس** (**Cateau-cambreses**) بتاريخ 2 و 3 ابريل 1559م[1] .

مما سمح للبحرية العثمانية في التفكير بالتفرغ للتوسع نحو الحوض الغربي للمتوسط، الأمر الذي اقلق إسبانيا و الدول المسيحية و ذلك خلال القرن السادس عشر[2] .

و تكررت المراسلات ما بين إسبانيا و الممالك الأوروبية في إطار الصراع الإسباني - العثماني، حيث ذكر **بروديل** مثل هذه المراسلات في بحثه عن **فليب الثاني** و العالم المتوسطي. و كان من بين المراسلات الديبلوماسية، رسالة **فليب الثاني** إلى **دوق فلرونسا**[3] ، و رسالة السفير الإسباني في البندقية **غارسي هرناندیز** (**Garcia Hernandez**) إلى الملك الإسباني **فليب الثاني**، يخبره عن انتقال الموريسكيين إلى القسطنطينية مرورا بالبندقية، و هذا سنة 1560م، و استعمال السلطات العثمانية لهم كبنود و جواسيس و مترجمين، بالإضافة إلى التقارير السرية الواردة من الجزائر إلى المملكة الإسبانية، مفادها أن مدينة شرشال قد عمرها الموريسكيون[4] .

إزدادت حدة المشكل الموريسكي في عهد **فليب الثاني**، الذي أرغم على تغيير سياسة أبيه **شارل الخامس**، فأصدر عدة مراسيم، من شأنها التأكيد على إستمرارية سياسة التنصير و الإدماج في حق الموريسكيين.

---

(1) F. Braudel, op. cit, T2, p. 279.

(2) عبد الجليل، التميمي:" الخلفية الدينية للصراع الإسباني - العثماني على الايالات المغاربية في القرن السادس عشر". المجلة التاريخية المغربية، العدد 10-11، تونس، جويلية 1978، ص 13.

(3) F. Braudel, op. cit, T2, p. 282.

(4) Ibid, p. 301.

و في عام 1560م، أصدر **فليب الثاني**، قرارا يمنع الموريسكيين من اقتناء العبيد. و في شهر ماي 1563م، أحي الأمرين الصادرين عامي 1526 و 1552م، و القاضية بتحريم حمل الموريسكيين للسلاح دون رخصة، كما فوضت السلطة إلى حاكم غرناطة أمر معاقبة كل من حمل السلاح دون إذن من السلطات[1] .

و بالإلحاح من البابا أصدر **فليب الثاني** قرارات ذات تدابير صارمة في حق المسلمين، منها توصيات اقترحها رجال الكنيسة، جاءت مكملة للأوامر الملكية الصادرة عام 1526م، و شملت:

- منع استعمال الألبسة العربية.
- اجبار النساء الموريسكيات على كشف وجوههن.
- إجبار الموريسكيين على ترك أبواب بيوتهم مفتوحة أيام الجمعة و الأعياد.
- منع الموريسكيين من امتلاك العبيد.
- تسليم الكتب العربية[2] .

و استمر الضغط الملكي على الموريسكيين، حينما أعلن **فليب الثاني** سنة 1587م قرارا يهدف إلى تنصير الموريسكيين، و دفن موتاهم في مقابر النصارى[3].

و كانت هذه القرارات كافية لحمل المسلمين على العصيان، فقد تسلح هؤلاء و حاولوا أخذ غرناطة على حين غفلة، و اتصلوا بمسلمي شمال إفريقيا، كما حاول البعض الهجرة إلى البلاد الإسلامية، هروبا من الحياة القاسية التي فرضت عليهم، إلا أن هذه الهجرة كان الإسبان و قد عملوا على منعها مند عام 1541م. فأصدروا مرسوما يحرم على المسلمين تغيير أماكن سكناهم، كما حرموا عليهم النزوح إلى بلنسية التي كانت طريقهم المفضل لركوب البحر، ثم صدر قرار يحرم عليهم الهجرة إلى الثغور إلا بترخيص ملكي نظير رسم فادح[4] .

---

(1) أسعد، حومد، المصدر السابق، ص 178.

(2) صدرت هذه المراسيم بتاريخ 17 نوفمبر 1566م، للمزيد من التفاصيل، أنظر:

Catherine, Gaignard, Maures et chrétiens à Grenade 1492-1570, Paris, L'harmattan, 1997, p. 49

(3) B. Bennassar, op, cit, p. 382

(4) محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 92.

و في عهد **فليب الثاني** اشتدت حالة المسلمين سوءا، لأن الملك كان يخضع لوحي الرهبان و الكنيسة، و يرى الموريسكيون ما تصورهم به الكنيسة عنصرا بغيضا و خطرا دخيلا على المجتمع الإسباني. و بمجرد اعتلائه العرش ظهرت مجموعة من القوانين التي زادت من تدهور الحالة السياسية و الدينية و الاجتماعية للموريسكيين، فكل القوانين الصادرة في عهد **شارل الخامس**، لم تنفذ إلا في عهد **فليب الثاني**.

و نظرا لإفراط الأوامر الملكية الجائرة، اندلعت ثورة مسلحة كبيرة بغرناطة، سماها البعض بالثورة الموريسكية الكبرى، هزت العرش الإسباني، و تحدت جميع القرارات الملكية.

3-2- ثورة غرناطة الكبرى

ذهب وفد من الموريسكيين في ربيع 1567م إلى إسطامبول لطلب المساعدة. و استقبل هذا الوفد من طرف مختلف الشخصيات، و منها العلماء، و استقبال هؤلاء لهم، أبرز الطابع الديني للحرب بالأندلس، فهي حرب بين الهلال و الصليب، و قد فكر السلطان **سليم الثاني** في الإستعانة بفرنسا للقيام بعمل مشترك ضد إسبانيا، إلا أن الظروف لم تسمح بذلك، كما ذكر السلطان في استغلال الظروف الدولية و هي: حياد انجلترا في هذا الوقت، و المشاكل الداخلية للبلاد المنخفضة، و كذلك الانشقاق[1] الذي حدث بإيطاليا بسبب تسلط إسبانيا، و بسبب الغارات الكثيرة على شواطئها من طرف البحارة المغاربة و العثمانيين، و كذلك الثورات الدينية بألمانيا بسبب اللوثريين بشكل خاص[2] .

عندما تولى **قليج علي باشا** حكم إيالة الجزائر، كانت فكرة الثورة قد خرجت من مرحلة التفكير إلى مرحلة التطبيق و كانت مساهمة حاكم الجزائر و مساعدته للثوار، قد أعطى بعدا جديدا لهذا الصراع في كافة أنحاء الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

---

[1] قيام بعض الحروب على ضفاف البحر الأسود و على الحدود الإيرانية و كذلك في البحر الأحمر.

للمزيد راجع: جون (ب) و ولف، المصدر السابق، ص 82.

[2] Henri, Hauser, la préponde reine espagnole 1559-1660, Paris, Libs Felix Alcan, 1933, pp. 86-78.

كما أرسل الموريسكيون أحدهم و هو المسمى **بارتال (Partal)** من مدينة فاريلا **(Narrilla)** إلى الجزائر مرتين لمقابلة **قليج علي**، و إحاطته علما بالوضعية الحقيقية للموريسكيين، و نوع الإعانات التي يحتاجون إليها[1] . و قد أبدى **قليج علي** اهتماما بالثورة في الأندلس، و كانت من بين اهتماماته الرئيسية.

و كان من المقرر أن تقوم ثورة غرناطة[2] يوم الخميس المقدس لدى الإسبان، و الموافق ليوم 15 أبريل 1568م، إذ ينشغل النصارى يومئذ باحتفالهم و صلواتهم، و كان من المقرر أيضا أن يتزعمها أحد الصباغين و هو المسمى **فرج بن فرج**، إلا أن المشروع اكتشفته السلطات الإسبانية، فاضطر الموريسكيون إلى تأجيله إلى فرصة أخرى[3] . كما أن الإيالات المغاربية في هذا الوقت كانت مشغولة بمشاكلها، باستثناء إيالة الجزائر التي كانت متحمسة لمساندة الثوار في محنتهم.

و في هذا الاطار، طلب السلطان العثماني -عن طريق بعض عملائه- ، من الملك الفرنسي أن يسمح له بإستعمال ميناء طولون، لأنه لا يوجد في شمال إفريقيا ميناء يسمح لقوة بحرية عثمانية كبيرة باستعماله. و لكن ميناء طولون سيكون مناسبا لمثل هذه القوة[4] ، و لكن هذه الفكرة لم تطبق، و لذا لم تنتظر الدولة العثمانية رد الملك الفرنسي، مع العلم أن هذا الملك كان يرحب دائما بأي عمل مشترك ضد الدولة الإسبانية في هذا الوقت، رغم إمضاء معاهدة كاتاو كامبريسس.

---

[1] عبد الجليل، التميمي:" الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين": المجلة التاريخية المغربية، العدد 23-24، تونس، نوفمبر 1981، ص 196.

[2] تناولت ثورة غرناطة عدة دراسات أهمها:

- Mercedes, Garcia Arenal, los Moriscos, biblioteca de visionarios, Madrid, 1975, pp. 63-65.
- Julio caro, Baroja, op. cit, pp. 175-236.
- Catherine, Gaignard, op. cit, pp. 229-263.
- F. Braudel, op. cit, T2, pp. 124-126.

- محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 364-376.
- محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 92-101.
- ليلى، الصباغ، المقال السالف الذكر، ص 147-163.

[3] محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، 267.

[4] جون (ب) و ولف، المصدر السابق، ص 84.

اختار المسلمون فصل الشتاء هذه المرة لإعلان الثورة لطول الليل الذي يسمح لهم بالتنقل تحت جناح الظلام و الإقتراب من المدن دون اكتشافهم من طرف الإسبان. و قد حددوا يوم عيد الفصح من سنة 1568م يوم إنطلاق الثورة، لأن في هذا اليوم سيكون المسيحيون مجتمعين إما في الكنائس، أو في بيوتهم بدون سلاح.

و في هذه المرة اختير زعيم آخر للثورة، ينحدر من بني أمية، و يدعى **فرناندوا دي فالور** (**Fernande de valor**) و كان يبلغ من العمر عشرين سنة، و كان قبل انضمامه إلى الثورة مستشارا في بلدية غرناطة[1] .

و كانت قوة الثوار تتكون من عشرين ألف رجل مسلح، كما أن هناك مائة رجل قادرين على حمل السلاح[2] ، و كانوا قد استلموا بعض الأسلحة بالفعل من إيالة الجزائر، و بعد أن إشتعلت الثورة، بعث مسؤولها الذي تسمى باسم **محمد بن أمية**، أخاه **عبد الله** إلى القسطنطينية يطلب منها العون، و مر **عبد الله** هذا بالجزائر حيث استقبله **قليج علي** بحفاوة، و عامله معاملة حسنة، و قدم له بعض الهدايا، ثم أرسله إلى اسطامبول و اعطاه رسالة توصية للسلطان العثماني[3] .

و يرى الباحث المغربي **محمد رزوق** أن من أسباب ثورة غرناطة، لم تكن مطالب آلية كرجوع الحكومة الإسبانية عن قراراتها التعسفية، أو رفع المظالم عن الموريسكيين، و إنما كان الهدف الحقيقي للثورة، هو محاولة إعادة تكوين مملكة غرناطة الإسلامية.و بهذا كان إعلان الثورة رمزا للإستقلال[4] ، و يمكننا ترجيح هذا الاحتمال و خاصة أن الثورة الموريسكية في منطقة البشارات سنة 1568م، كانت بمثابة حرب أهلية انعكست آثارها في جميع ميادين حياة سكان الجنوب الشرقي لاسبانيا[5] .

---

(1) محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 268.

(2) F. Braudel, op. cit, T2, p. 362.

(3) محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 69.

(4) محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 93.

(5) خوان خيسوس، برافوكار:" عواقب طرد الموريسكيين في مملكة غرناطة"، (تعريب و مراجعة: د. عبد الجليل التميمي)، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 69-70، تونس، ماي 1993، ص 309-310.

و كان **فليب الثاني** حريصا على كتمان أمر الثورة الإسلامية بغرناطة، تخوفا من وصول أصدائها إلى الباب العالي، فقد كتب إلى **الدوق دولكادا (Duc d'alcade)** نائب الملك بنابولي بتاريخ 20 يناير 1569م، " أنه من المفيد أن نحافظ على سرية قضية غرناطة حتى لا يصل الخبر إلى القسطنطينية، و أن تسرع في تحريك أسطولها..."[1]

و سارعت السلطات الإسبانية في إرسال الإمدادات العسكرية و الدخيرة للقائد العام بغرناطة، و أشعرت سفنها لتشديد الحراسة على الشواطئ الإسبانية، لعزل الثوار عن الاتصال بإخوانهم في شمال إفريقيا[2] .

و مهما كان الحجم الحقيقي للثورة الغرناطية في الخارج، و استغلالها على المستوى الدولي، فإنها هزت عظمة إسبانيا، و بينت حجم الخطر الإسلامي في منطقة الأندلس، و أن القوى الجهادية للمسلمين لا تزال في عنفوانها.

و ظلت الثورة بين مد و جزر، و ظل الموريسكيون يقاومون بكل ما لديهم. كما حاول القادة الإسبان الذين تعاقبوا على قيادة الجيوش المحاربة للموريسكيين من ستخدام كل وسائل العنف و البطش و التشريد.

دب اليأس في نفوس الثوار، و مع نقص المدد تراجع الموريسكيون و قرروا الاستسلام بدل المقاومة، و قبلوا بشرط الصلح مع المركيز **دي مندخار (M. de Mandejar)** و القائد **خوان النمساوي (D. Juan d'autriche)**[3] .

كان رد الفعل الإسباني على الثورة عنيفا، و كانت القيادة الإسبانية في يد دون خوان النمساوي. فضرب الثوار بكل عنف و استعمل الوسائل البربرية للقضاء على الثورة، و تمكن من تصفيتها في جهات كثيرة من إسبانيا خلال سنتي 1569-1570م.

---

(1) F. Braudel, op, cit, T2, p. 398.

(2) ليلى، الصباغ، المقال السالف الذكر، ص 149-152.

(3) محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 34-43.

و إبتداءا من شهر جوان 1569م، بدأت عمليات الترحيل الجماعي للموريسكيين. فتم نقل حوالي 3500 منهم عن غرناطة إلى المناطق البعيدة عن المدينة. و في 28 أكتوبر 1570م، أعطيت الأوامر لطرد كل المسلمين و في يوم 1 نوفمبر من نفس السنة تم جمعهم في قوافل ثم حولوا إلى منطقة قشتالة[1] .

و ترى بعض الدراسات أن أعداد من شملهم قرار قدر بـ 80.000 موريسكي، رحلوا إلى قشتالة و غيرها من المناطق في ظروف سيئة للغاية مما سبب المرض و الموت للكثير منهم أثناء الطريق[2] ، كما يقدر **هنري لابير** عدد المهجرين بنحو 115 ألف[3] .

لقد كانت عمليات التهجير القسري إلى قشتالة و جليقة ، وبعد عملية التنصير القسري السابقة لا تدل في الواقع على نتاج صراع حضارتين فحسب، كما أشار إليه المؤرخ الفرنسي **بروديل** ، و إنما دلت على صراع التخلف و الهمجية مع كل ما هو عربي مسلم .

و أشارت بعض الدراسات على أن نسبة الوفيات في أوساط المهجرين قدرت بـ 20% نتيجة الجوع و البرد و المرض ، و فتك النصارى بهم أثناء الترحال[4] .

و تسجل بعض الدراسات أن الثورة تم القضاء عليها من الخارج، و ليس من الداخل و ذلك بهزيمة الأتراك العثمانيين في معركة ليبانت سنة 1571م[5] .

---

(1) F. Braudel, op. cit, T2, p. 126.

(2) محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 95.

(3) H. Lapyre, op. cit, p. 122.

(4) Ibid, p. 124.

(5) عبد الجليل، التميمي، رؤية منهجية ... المقال السالف الذكر، ص 96-102.

ملاحظة: تعد معركة ليبانت البحرية التي جرت يوم 7 أكتوبر 1571م، بين الأسطول العثماني بقيادة قليج علي باشا، و الأسطول المسيحي بقيادة دون خوان النمساوي من أعظم المعارك البحرية التي عرفتها منطقة البحر الأبيض المتوسط خلال الفترة الحديثة. و اشتراك البابا بيوس الخامس (Pie V) فيها، يدل على المحرك الديني الصليبي لهذه التألبات على الدولة العثمانية. كما تعد هذه المعركة نقطة تحول في الصراع الإسلامي – المسيحي في البحر المتوسط خلال القرن 16 م.

و يشير بعض المؤرخين إلى أن موقف حاكم الجزائر **قليج علي باشا** كان فاترا و أنه اهتم بتحصين مدينة الجزائر أكثر من اهتمامه بمساعدة الثوار[1] ، و أنه استغل الثورة لتحقيق مطامحه الشخصية في توسيع حدود إيالة الجزائر بفتح تونس[2]

و تذكر الوثائق العثمانية أن السلطان العثماني **سليم الثاني** وجه رسالة بتاريخ 24 شوال 977هـ الموافق ليوم 1 أبريل 1570م إلى والي الجزائر **قليج علي باشا**، يقول أنه منشغل كثيرا بسبب ما يجري في الأندلس، إلا أنه في الوقت الحالي منشغل بجزيرة قبرص القريبة من ممالكه، لأن الكفار نقضوا العهد و أخذوا في التعدي على التجار و الحجاج، لذا فقد تقرر فتح هذه الجزيرة خلال شهر ربيع الثاني من عام 978هـ الموافق لشهر سبتمبر 1570م، لذا فإن إرسال الأسطول إلى الأندلس سيتأخر ريثما يتم فتح الجزيرة؛ و في إنتظار ذلك فقد أرسل أوامره **لقليج علي** بايلباي الجزائر لإرسال النجدات و المعونة لهم. و في هذا الوقت كان حاكم الجزائر قد أرسل بالفعل العتاد و السلاح و الرجال[3] .

و في الوقت الذي أرسل فيه السلطان رسالته إلى الثوار بالأندلس، أرسل رسالة أخرى تحمل نفس التاريخ إلى **قليج علي**، أعطى له فيها الأوامر بإرسال الجند و العتاد و المعاونة لأهل الأندلس، و تقديم ما تيسر تقديمه من المساعدة، و قد أحيط الأندلسيون علما بالأوامر المرسلة **لقليج علي**. كما أحيط هذا الأخير علما بالرسالة التيي بعثها الأندلسيون إلى إسطامبول[4] .

بالنسبة لإسبانيا المسيحية كانت تعيش في خوف كبير من تدخل الدولة العثمانية في الأندلس. و قد سمعت بأن المشروع قد طرح للنقاش في اسطامبول، و تخوفت كثيرا من خطر الإسلام، سواء قبل عام 1568م أو بعده[5] .

---

(1) محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 368.

محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 38.

(2) F. Braudel, op. cit, T2, p. 364.

(3) Idem.

(4) محمد، سي يوسف، قليج علي باشا و دوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1988، ص 99.

(5) المصدر نفسه، ص 100.

إن تخوفات إسبانيا كانت في محلها، فإيالة الجزائر كانت قد قررت مساعدة الموريسكيين سواء على المستوى الشعبي، أو على المستوى الرسمي. فعلى المستوى الشعبي، نجد أن السكان – و بدافع الحماس الديني – هبوا لنجدة إخوانهم بما يملكون من الوسائل، و قد حمسهم خاصة المهاجرون الأندلسيون الذين كانوا يعيشون بينهم.

و هؤلاء كانوا شديدي الحقد على الإسبان، ففي عام 1569م، قام سكان الجزائر بجمع الأسلحة في أحد المساجد، و يبدو أن هذه الأسلحة كان البعض يتاجر فيها، إلا أن **قليج علي** منع ذلك و جعلها صدقة و مساعدة لإنقاذ الإسلام.

و قد جمعت من هذه الأسلحة كمية كبيرة تثير الدهشة **(حسب قول هايدو)**، و أرسلت إلى الأندلس[1] .

أما على المستوى الرسمي، فقد طبق **قليج علي** الأوامر التي تلقاها من إسطامبول. و الرسالة التالية تكفي للدلالة على ذلك، و هي موجهة إلى **لويس التاسع** من طرف **م. دي لوز** (**M de Luz**) مبعوث فرنسا إلى مجلس المنتخبين، يقول فيها :" ... إن السيد **مونتيز** (**Montéze**)، حاكم وهران كتب بأن ملك الجزائر، يحضر بعزم لمهاجمته، و سيكون معه أربعة عشر ألف تركي مسلحين بالأسلحة النارية، و أكثر من ستين ألف رجل من الأهالي، و أرسل 400 جملا محملة بالبارود الخاص بالمدفعية نحو مدينة مزغران و هي على طريق الجزائر وهران"[2]

و بالفعل، فإن كل المراجع و المصادر تجمع على أن **قليج علي باشا** كان على استعدادا لتقديم المساعدة، و تذهب بعض الدراسات إلى أنه كان يريد الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد هناك[3] . لكن ما أشيع من تجمع أساطيل المسيحية

---

(1) F. Braudel, op. cit, T2, p. 125.

(2) Haedo (F.D), Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par DE Grammont (H.D), Alger, Jaﬀdan, 1881, p. 140.

(3) محمد، سي يوسف، المصدر السابق، ص 100-101.

و استعدادها لاجراء معركة حاسمة مع المسلمين، و أمر السلطان له بالإستعداد للمشاركة في هذه الحملة العظمى، اضطره للبقاء في الجزائر، منتظرا للحوادث[1] .

و مع عدم تمكنه من المشاركة بنفسه، فإنه سارع إلى إرسال ست سفن محملة بالأسلحة. تمكنت من النزول قرب مدينة المرية، و في نفس الوقت أرسلت 32 سفينة محملة بالرجال، إلا أنها لم تتمكن من إنزالهم بسبب عاصفة هوجاء في نفس اللحظة التي كانت ستنزل فيها هذه القوة من الجيش. و في شهر أكتوبر 1569م، نجحت الجزائر في تقديم 400 بندقية و كمية من الدفاتر، فضلا عن مئات من الإنكشاريين الذين يملكون خبرة، ليكونوا عونا و قوادا للموريسكيين[2] .

و السؤال الذي يطرح نفسه هو هل قام **قليج علي باشا** بدوره في هذه الثورة؟ إن الكثير من المؤرخين يتهمونه بالتقصير كما سبق ذكره. و في الحقيقة فإن ثورة غرناطة كانت تمون من إيالة الجزائر بالرجال و السلاح و الدخيرة، و من خلال مواقف المؤرخين حول حدود المساعدة الجزائرية للثوار، فإن هناك سؤالين يلفتان الانتباه حول المسألة:

ما هو الهدف من تقديم إيالة الجزائر المساعدات للموريسكيين؟.

هل هو غزو الأندلس و استرجاعها؟ أم الضغط على السلطات الإسبانية لتغيير مواقفها السياسية تجاه الجالية المسلمة؟.

من خلال الهدف الأول فإن إيالة الجزائر لم تكن قادرة بمفردها من تخليص الموريسكيين الأندلسيين دون مساعدة الدولة العثمانية عسكريا.

أما إذا كان لعامل الضغط، فإن إسبانيا بواسطة جهاز محاكم التفتيش، قد تمكنت من قمع الموريسكيين الذين اتصلوا بحكام الجزائر بواسطة رسائلهم المتكررة أثناء تفكير الدولة العثمانية في غزو إسبانيا و مساعدة ثوار غرناطة[3] .

ما هي نتائج هذه الانتفاضة (**الثورة**) على الإيالات المغاربية؟ و على وضع البحر الأبيض المتوسط؟.

---

(1) Haedo (T.D), Topographie et Histoire générale, Traduction (Monnereau et A. Berbruggh), in, R.A, (N°14), 1871, p. 404.

(2) عبد الجليل، التميمي، الدولة العثمانية ... المقال السالف الذكر، ص 198.

(3) محمد، سي يوسف، المصدر السابق، ص 101.

أولا: ان الآلاف من الموريسكيين إلتجأوا إلى الجزائر و المغرب و الدولة العثمانية، بفعل إخفاق هذه الثورة، و عملوا على التصدي للاسبان من خلال مساعداتهم للقيادات العثمانية، و بفضل معرفتهم اللغة القشتالية و الأماكن الجغرافية، و الطرق البحرية، و هذا ما يبرر مساعدة **قليج علي** في تقديم المساعدات للثوار و تسهيل عبورهم إلى الساحل الجزائري.

ثانيا: أن سياسة **فليب الثاني** أصبحت مهتمة جدا بسواحل شمال إفريقيا، و العمل على تصفية إيالة الجزائر الخطيرة على أمن السواحل و السفن الإسبانية في الحوض الغربي للمتوسط.

ثالثا: كان رد فعل **قليج علي** هو التخطيط لضرب النفوذ الإسباني في تونس و القضاء على الحفصيين المتعاونين مع الإسبان و تم له ذلك.

رابعا: إن خنق الثورة الموريسكية أعطى بعدا جديدا لحركية الإسبان و حتم عليهم خلق أرضية جديدة، تتجلى في النشاط التي تزعمته إسبانيا.و البابوية، و الذي كان وراء الحلف المقدس، و معركة ليبانت. مما أدى إلى إحتلال تونس 1573م[1] ، و هذا ما يؤدي إلى ترابط الأحداث بالبحر الأبيض المتوسط[2] .

إن إسبانيا التي تقدر حق التقدير، الوزن العسكري للعثمانيين و على الأخص من تلك التحرشات البحرية للإميرال **قليج علي** في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، و مدى فعالية ذلك تجاه الموريسكيين. قد قررت إيفاد مبعوث لها هو **جيوفاني مارلياني** (**Giovani Margliani**) إلى إسطامبول، و قد عرف عن هذا المبعوث أنه يتكلم اللغة التركية و هو محنك و يعرف جيدا الدولة العثمانية بحكم إقامته فيها طيلة سنتين. و كانت وظيفة هذا المبعوث إنطلاقا من سنة 1579م، هو الوصول إلى عقد هدنة مع الباب العالي. و قد أعطيت للمبعوث الإسباني التعليمات من أن إسبانيا مستعدة للقبول ببعض الشروط المتعلقة بالممتلكات العثمانية بشمال افريقيا. و تبعا لذلك قام السلطان العثماني (**سليم الثاني**) بإستقبال المبعوث الإسباني

---

(1) F. Braudel, op. cit, T2, p. 370.

(2) كان انتصار قليج علي باشا في تونس و حلق الوادي سنة 1574، باهض الثمن في الرجال و المال بالنسبة للدولتين، العثمانية و الاسبانية. للمزيد من التفاصيل ر اجع: جون (ب) و ولف، المصدر السابق، ص 92.

بتاريخ 21 مارس 1580م، و قبل إقرار هدنة تمتد صلاحيتها إلى شهر جانفي 1581.[1]

3-3- الموريسكيون في عهد فليب الثالث (1006هـ-1030هـ /1598-1621م).

عندما اعتلى **فليب الثالث** عرش إسبانيا حاول القيام بإصلاحات جذرية، كاصداره مراسيم العفو في حق الموريسكيين، لكن شريطة التخلي عن الدين الإسلامي، و قبولهم فكرة التنصير. كما طالب الملك من رجال الكنيسة و الرهبان إلى العمل من أجل تلقين مبادئ المسيحية و بكل صرامة للموريسكيين. و في سنة 1599م أصدر **البابا بولو الخامس** (**Paulov**) عفوا تامّا لمدة سنة للموريسكيين، إذا ما اقتنعوا مبدئيا بفكرة التمسيح، لكنهم أصروا على البقاء على دينهم و استمروا في مقاومة التنصير و الإدماج، خاصة في منطقة بلنسية.

زار **فليب الثالث** منطقة بلنسية عام 1599م، و درس مشاكلها مع أعيان المدينة، للخروج بحلول نهائية من شأنها إجبار الموريسكيين، على قبول التعميد[2] .

و وجد في الفترة ما بين 1566م 1585م، 669 ملف ضد الموريسكيين في بلنسية وحدها، و أن القمع قد وصل مداه في الفترة ما بين 1566 و 1596م، حيث سجل 1084 ملف محاكمة للموريسكيين؛ و كان من بين من حكم عليه بالإعدام، الطائفة الموريسكية التي تمثل نسبة 50,1 في المائة[3] ، و هو ما يبرر كيف أن " الخوف من هذا الإسلام المناضل و المنظم قد برز جليا في ملفات محاكم التفتيش"[4]

و هذا ما نتج عنه حتما غضب الموريسكيين الذي وصل مداه سنة 1583، و أن سجون محاك التفتيش قد امتلأت بالموريسكيين رجالا و نساءا و هم الذين تحملوا كل أنواع القمع و التعذيب حتى الموت. و يفسر أن جزءا منهم حاول

---

[1] عبد الجليل، التميمي:" مناورات لخطة عصيان بالأندلس سنة 1582، و دور الجالية الموريسكية باستانبول في سياسة هولندا حيال طرد الموريسكيين سنة 1610"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 95-96، زغوان: سيرمدي، ماي 1999، ص 681.

[2] P. Bornart y Barrachina, op. cit, pp. 2-8.

[3] عبد الجليل، التميمي، مناورات ... المقال السالف الذكر، ص 673.

[4] J. Vidal, op. cit, p. 65.

الإلتجاء سرا نحو المغرب العربي أو الدولة العثمانية أو الحدود الفرنسية الإسبانية، و التي كانت مسرحا لحركة هجرة نشطة للهروب من جحيم إسبانيا. و هو ما يترجم مدى المناخ النفسي الحرج جدا و الذي عرفه هؤلاء الموريسكيون أمام مأساتهم طيلة القرن السادس عشر[1] .

و قد إكتشفت الإستخبرات الإسبانية عن مؤامرة جرت ما بين السفير الفرنسي **باينصول (Panissaulat)**، و الموريسكيين بخصوص القيام بالثورة، الشيئ الذي ألزم نائب الملك بمنطقة بلنسة على إصدار أمر يقضي بإلقاء القبض على كل موريسكي يحاول الهرب من بلنسية برا أو بحرا[2] .

و اقترح أسقف بلنسية استبدال طرق تعذيب و محاكمة الموريسكيين بفكرة التهجير، حيث لقي هذا الإجراء قبولا حسنا من طرف الملك الإسباني[3] .

و في عهد **فليب الثالث** ظهرت فكرة اقصاء العناصر الموريسكية خارج إسبانيا و العمل على تصفية وجودهم نهائيا من أراضي المملكة.

و تمكنت الحكومة الإسبانية من عقد اتفاقيات مع إنجلترا عام 1604م و هولندا عام 1609م مستغلة الظروف الدولية[4] ، و هو الأمر الذي سيسمح لها بالتفرغ كلية للمشكل الموريسكي. و قد تمكن المجلس الملكي الإسباني من المصادقة على القرار التاريخي الصادر في يوم 4 أبريل 1609 و الخاص بطرد جميع الموريسكيين من المملكة الإسبانية[5] .

---

(1) عبد الجليل، التميمي، المصدر السابق، ص 674.

(2) A. Dominguez ortiz y B. Vincent, op. cit, pp. 173-174.

(3) محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 118.

(4) F. Braudel, op. cit, T2, p. 182.

H. Lapyre, op. cit, p. 51.

(5) محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 119.

لقد اتخذ المشكل الموريسكي أبعادا سياسية في ظروف دولية، لم يستطع فليب الثاني حلها خلال القرن السادس عشر، فترك بذلك لإبنه **فليب الثالث** عبئا سياسيا ثقيلا، إذ عرفت إسبانيا في عهده أزمة مالية حادة (1605م) زادت المسألة الموريسكية تعقيدا لها[1].

و ذكر المؤرخ الفرنسي **هالبين (D. Halpinne)** أن المشكل الموريسكي الذي بدأ في شكل صراع مابين الجماعات الموريسكية و المسيحيين القدامى، قد تحول إلى صراع وطني، حيث التزم الموريسكيون بالحفاظ على دينهم و ثقافتهم و هويتهم العربية الإسلامية[2].

كيف يمكننا التحدث عن العصر الذهبي لاسبانيا؟فبالرغم من تطور الأدب الإسباني في شتى مجالات الإبداع،غير أنه قد سجل تصاعدا أفقيا للأعمال الإجرامية و التعذيب الإنساني المسلط قامت بها محاكم التفتيش ضد المسلمين لأن المشكل الموريسكي في حقيقة الأمر، ما هو إلا قضية سياسية و انسانية عاشتها إسبانيا آنذاك.وقد حاول مفكرو القرن التاسع عشر تبرير عمليات الطرد إلى المساس بأمن الدولة الإسبانية حينذاك، بينما ذهب مفكرو القرن السابع عشر إلى إعتبار عمليات الطرد كارثة إقتصادية حلت بالبلاد[3].

كان نواب الملك –خاصة **الكونت إيتونو(Conte d'aytona)** الذي حكم بلنسية ما بين عامي 1581م و 1594.– يسعون إلى تجريد الموريسكيين من السلاح، و بابعادهم عن الشواطئ، و منع الاتصال بعضهم عن بعض أو مع العثمانيين. لكن تطبيق سياسة السلطة المركزية هذه كانت تحول دونها عدة حواجز من بينها انعدام الأمن بالمنطقة، بسبب الأعمال الفدائية التي يقوم بها الموريسكيون[4]، و التي تنسف دائما أي مخطط أمني بالمنطقة. و أمام هذه الوضعية إزدادت وحشية محاكم

---

(1) B. Bennassar, op. cit, pp. 309-370

(2) Donghi, Tulio, Halperin: (Recouvrement de civilisation, les morisques du Royaumme de valence au XVIè Siècle), in, A.E.S.C, (N° 2), Avril - Juin 1956, pp. 154-182

(3) M. Ravillard, op. cit, T2, p. 212

(4) R. Carrasco, «Péril morisque et Solidarité ottomane»,in, R.H.M, N° 25-26,Tunis, Juin 1982, pp.33-34

التفتيش، فاستخدمت وسائل القمع البوليسية ضدهم إنهم -كما يقول **رفائيل كراسكو(R.Carrasco)** " تهدف بكل بساطة إلى التصفية النهائية للموريسكيين بالمنطقة "[1] .خاصة و أن فكرة الطرد بدأت تفرض نفسها منذ الثمانينات، فقد اجتمع مجلس الدولة الإسباني في لشبونة سنة 1582م وقرر" أن هل ممكن في هذا الشأن إجلاء الموريسكيين". فكل الدلائل تشير إلا أنه بدأ الحديث عن فكرة الطرد انطلاقا من سنة 1582م، و أن السلطات الإسبانية كانت تنتظر الظروف المناسبة[2]

ما هو موقف الموريسكيين من كل المخططات التي كانت تحاك ضدهم؟ هل كانوا واعين بخطورة المرحلة، و بحقيقة المشاريع المدبرة؟ ما هو أسلوبهم في مجابهتها؟

منذ البداية كان الموريسكيون واعين بهذه المرحلة و أن مقاومتهم تعددت، و أحيطت بالكثير من المخططات التي كانت تستهدف طمس حضارتهم، و لكن الحكومة الإسبانية جعلت من فكرة الطرد حلا نهائيا للأزمة.

أ- أسباب الطرد النهائي للموريسكيين:

كان من أسباب تصفية الموريسكيين الأندلسيين من إسبانيا، هو أن العنصر الإسلامي بالأندلس ظل متماسكا بذاتيته، و هوعبارة عن وحدة اجتماعية متجانسة، تسيطر بفضل عبقريتها و خبراتهاعلى الاقتصاد، و دواليب التجارة، مما أزعج النبلاء من فقدان مكانتهم الإقتصادية، إلى جانب العامل الديني و الحضاري الذي عمق استحالة التعايش بين الفئتين المسلمة و المسيحية.

و بالرغم من هذا، فإن إسبانية كانت دائما ترفض هجرة الأندلسيين إلى الأراضي (المغاربية)، وذلك للأسباب التالية:

- أن لا يكون الأندلسيون المهاجرون قوة في بلاد المغرب، لتمنعها من احتلالها أو الهجوم على سواحلها.

---

(1) R.Carrasco, Op.Cit. , p. 34.

(2) J. Fournel, Guérin, Les morisques a ragonais et l'inquision de saragosse (1540-1620), Thèse inédite, Montpellier, 1980, p. 311.

♦ تخوف إسبانيا المسيحية من نقص اليد العاملة الماهرة في الصنائع و الزراعة و تشييد العمران .

♦ اشعار إسبانيا للدول المسيحية بأنها تهاجم المسلمين في اطار تجدد الروح الصليبية.

♦ محاولة توسيع مجالها الحيوي في إطار النزعة الاستعمارية[1] .

و كان القانون الإسباني قبل الطرد ينظر إلى الجماعات الموريسكية من خلال ثلاث وجهات نظر:

♦ الموريسكي المغربي عن المجتمع الإسباني.

♦ الموريسكي الخطير و عدو الأمة الإسبانية و الدين المسيحي.

♦ الموريسكي الذي يرفض التنصير و الإندماج[2] .

و مما سلف ذكره يمكن اجمال الأسباب التي أدت إلى نفي الموريسكيين إلى ما يلي:

- **السبب الأول:** تمسك الموريسكيين بعقيدتهم الإسلامية، و رفضهم لسياسة الإدماج، رغم محاولات التنصير الفاشلة التي قامت بها المملكة الإسبانية بمساعدة محاكم التفتيش.

و جاء تبرير الملك حول هذا الطرد :" ... لقد حاولت منذ سنين طويلة على تنصير موريسكي هذه المملكة (بلنسية) و موريسكي قشتالة، و اصداري لقرارات العفو المتتالية في شأنهم، و مساعدي رجال الدين في تحويلهم إلى ديانتنا المقدسة لكنهم أصروا على التمسك بدينهم..."[3] .

- **السبب الثاني:** إتهام الموريسكيين بالثورة على الدولة الإسبانية، و بالإتصال المستمر بإخوانهم في المغرب و بالدولة العثمانية، و محاولتهم استرجاع الأندلس عن طريق الغزو :" إنهم يريدون الشر و الفساد لمملكتنا عن طريق سفرائهم..."[4] .
و يقصد شمال إفريقيا و الدولة العثمانية و فرنسا.

---

[1] بلقاسم، دراجة، المصدر السابق، ص 68.

[2] M. Ravillard, op. cit, T2, pp. 189-190.

[3] M. Garcia Arenal, op. cit, pp. 251 -252.

[4] Ibid, p. 253.

- **السبب الثالث:** تخوف مملكة إسبانيا من النمو الديمغرافي للموريسكيين، بحيث سجل المؤرخ الفرنسي **بيار شانو** (P. Chaunu) من خلال عمله الإحصائي لسكان إسبانيا ما بين سنوات 1656م و 1572م، و إلى غاية الطرد النهائي (1609م)، أن نسبة النمو السكاني في إسبانيا كانت تقدر بـ 44,7%، في الوقت الذي سجلت فيه نسبة 69,7% خاصة بالموريسكيين، و هذا في حد ذاته يشكل خطرا على تواجدهم بإسبانيا[1] .

و قد أوضح **الشهاب الحجري** من خلال مساءلته في هولندا عن سبب الطرد الإسباني للموريسكيين، فكان جوابه: "...أن الأندلسيين كانو مسلمين في خفاء من النصارى... و لما تحقق منهم ذلك لم يأمن منهم و لا كان يحمل منهم أحد إلى الحروب... و أيضا في النصارى كثيرون قسيسون و رهبان و مترهبات، و بتركهم الزواج ينقطع فيهم النسل... و يزداد عددهم (الموريسكيون)، بالأولاد و بترك الحروب و ركوب البحر ..."[2] .

يفهم من سياق هذا الحديث أن الموريسكيين، لم يشاركوا الأمة الإسبانية في اتجاهاتها السياسية و الاستكشافية، و لا يقومون بالخدمة العسكرية.

و الجدير بالملاحظة، أن الموريسكيين ظلوا متمسكين بشعائر الإسلام حتى اللحظات الاخيرة من صدور مراسيم الطرد النهائي في 9 ديسمبر 1609م[3] .

---

[1] Pierre, chaunu:," Minorités et conjonctures, L'expulsion des morisques en 1609" , in, R.H, Paris, 1961, CCXXV, N° 1, p. 90.

[2] الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 103-104.

[3] بدرو، لونقا، المصدر السابق، ص 43-44.

و في غرناطة و مرسية و جيان كانوا لا يزالون يمارسون عادة ختان أبنائهم و يحافظون على ممارسة العبادات الإسلامية. أما موريسكو أرغوان فتؤكد بعض وثائق محاكم التفتيش، أنهم تمسكوا بتعاليم الإسلام حتى و هم يغادرون إسبانيا[1] .

و يمكن القول ان فكرة الطرد النهائي للموريسكيين، هي فكرة قديمة، إستقرت في أذهان الملكين الكاثوليكيين، و بالضغط المتزايد من الكنيسة و البابوية.

ب- موقف الموريسكيين من الطرد و تفسيرهم له.

ذهب فريق من الموريسكيين إلى اعتبار عمليات الطرد و ما نتج عنها، "فرج من الله"، و ذلك ما جاء على لسان إحدى المصادر الموريسكية :"... و بعد ذلك بإثني عشرة سنة، فرج الله تعالى على مسلمي الأندلس الذين كانوا فيها تحت قهر سلطان البلاد (إسبانيا) المسمى **بفليب الثالث**..."[2] .

و يذكر ابن **عبد الرفيع** الأندلسي في هذا الصدد :" حتى جاء النصر و الفرج من عند الله سبحانه، و حرك القلوب للهروب، و كان ذلك سنة ثلاث عشرة و ألف لهجرته صلى الله عليه و فخرج منا بعض للمغرب، و بعض للمشرق خفية، مظهرا دين الكفار..."[3] .

و أورد ابن **عبد الرفيع** في كتابه الانوار النبوية في آباء خير البرية:

" و لا ينفى أن هذا الأمر عظيم و محال عادة، لما كنا فيه معه من الشدة و الضيق في الدين و النفس و المال، فسبحان رب السماوات و الأرض الذي أراد

---

[1] هناك عوامل أخرى ساهمت في تصفية الموريسكيين من اسبانيا:

- يشكل المجتمع الموريسكي المسلم، وحدة اجتماعية متماسكة، مسيطرة على الاقتصاد. وجدت مضايقات من طرف أثرياء إسبانيا.

- العامل الديني و الحضاري عمق الخلافات.

- الولاء المطلق للتعاليم المسيحية الكاثوليكية، و الحرص على الوشاية و مراقبة المسلمين.

- خوف الإسبان من ازدياد العدد الديمغرافي للمسلمين. للمزيد من التفاصيل راجع: عبد الجليل، التميمي، رؤية منهجية ... المقال السالف الذكر، ص 93.

[2] الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص2.

[3] محمد، رزوق و آخرون، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، الدار البيضاء: شركة النشر و التوزيع و المدارس 1991، ص 284.

أمرا فقال له كن فيكون ! فيا لها من أعجوبة، ما أعظمها ! و من فضيلة ما أشرفها..."[1] .

و سئل فقيه موريسكي عن سبب اعتباط الموريسكيين أثناء الهجرة فأجاب : " أنهم كثير ما سعوا إلى شراء قارب أو سرقته للفرار إلى المغرب، مستهدفين لكثير من المخاطر، فكيف إذا عرضت لنا فرصة السفر الأمن مجانا، ألا ننتهزها للعودة إلى أرض الأجداد، حيث نستظل بحماية سلطاننا، سلطان الترك، و هناك نعيش أحرارا مسلمين لا عبيد كما كنا"[2] .

و لا يفهم من هذا الموقف أن الموريسكيين كانوا قد استسلموا لعمليات الطرد، بل اعتبروا ذلك موقفا مرحليا، الغرض منه الالتجاء إلى الأتراك العثمانيين، كاسترجاع ما ضاع منهم، و هذا ما سجله أحد رهبان إسبانيا بعد عمليات التهجير القسري، إذ صرح **أزنار كاردونا** (**Aznar Cardona**) :" بأن الموريسكيين كانوا يخرجون و هم يهددون بأنهم سيرجعون بمساعدة الأتراك لإعادة الإسلام إلى إسبانيا"[3] .

---

[1] محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 125.

[2] محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 398.

[3] J.F. Guérin, Les morisques aragonais, ... op. cit, p. 314.

و في ختام هذا الفصل، نسجل كيف واجه الأندلسيون المد المسيحي و ملوك إسبانيا؟ و ما هي الطريقة التي تم فيها تصفية المسلمين من الأندلس؟ لقد تبنت إسبانيا سياسة التنصير و الإدماج، كمرحة أولى مما ترتب عنه من نقض الملوك الكاثوليك للعهود و المواثيق التي قطعوها على أنفسهم، من خلال احترام الإسلام و المسلمين في شبه الجزيرة الإيبرية.

هذه العوامل ساهمت في إصرار الموريسكيين الأندلسيين على التمسك بالعقيدة الإسلامية، و الرفض المطلق لكل محاولات المسخ و الإندماج.

و قد ترجم الأندلسيون ذلك من خلال القيام بثورات عارمة متكررة، ضد سياسة التنكيل و الإقصاء و هذا منذ عهد الملكين **فرديناند** و **إيزابيلا**. كما حاول الموريسكيون أن يصارعوا مصيرهم بإسبانيا، و ظلوا لسنوات عديدة يعيشون تحت وطأة جهاز القمع الإسباني (محاكم التفتيش)، لكنهم لم يستسلموا قط لمصيرهم المحتوم، بل ظلوا معتزين بتراثهم الحضاري، يقاومون في سبيل المحافظة عليه، و هذا من خلال استعمالهم لأسلوب التقية.

و في عهد **فليب الثالث** جاء الحل النهائي للأزمة الموريسكية، و المتمثل في سياسة الطرد النهائي للموريسكيين خارج الأندلس، و اعتبر الموريسكيون هذا القرار التعسفي بمثابة نصر من الله و فرج من عنده.

الفصل الثاني

الأندلسيون خارج شبه الجزيرة الإيبيرية

1- انعكاسات طرد الموريسكيين من إسبانيا

أ- ديمغرافيا

ب- اقتصاديا

2- الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين

3- الهجرات الموريسكية المختلفة

3-1 الهجرة إلى شمال افريقيا

أ-الهجرة إلى المغرب الأقصى

ب-الهجرة إلى تونس

3-2 مرور الموريسكيين بفرنسا و بعض الدول الأوروبية

3-3 انتقال الموريسكيين إلى أراضي الدولة العثمانية

4- موقف فقهاء الإسلام من الهجرة الأندلسية

4-1 فتوى الونشريسي .

4-2 فتوى المغراوي .

استغاث الأندلسيون بالدولة العثمانية وبإخوانهم في شمال إفريقيا وتكررت مراسلاتهم مع السلاطين العثمانيين من أجل ايجاد حلول لمحنتهم وانقادهم من التعسف و الظلم الذي تحملوه وهم في الأندلس تحت مراقبة جهاز محاكم التفتيش .

و شهدت إجراءات الطرد انعكاسات خطيرة على مستقبل إسبانيا، حيث تباينت المواقف تجاه طرد الموريسكيين و خاصة من طرف الدولة العثمانية .

و انتقل الموريسكيون عبر هجرات مختلفة، إلى شمال إفريقيا و أراضي الدولة العثمانية، و اتخذوا جنوب أوروبا (فرنسا) كمحطة للعبور و الانتقال إلى سواحل شمال إفريقيا.

و كانت تجربة الهجرة و ظروف الانتقال صعبة و شاقة، و صدرت بخصوص الهجرة الأندلسية فتاوي من طرف فقهاء الإسلام، كان لها أبلغ الأثر في تطور تاريخ الموريسكيين الأندلسيين على الصعيدين: السياسي و الديني.

الفصل الثاني

الأندلسيون خارج شبه الجزيرة الإيبرية

كم بلغ عدد الموريسكيين المطرودين من إسبانيا؟ لنا أن نتساءل عن مجابهة الموريسكيين الأندلسيين لهذه السياسة التكتيكية التي خططت لتصفيتهم واجتثاثهم من الأندلس أو تذويبهم في المجتمع الإسباني. و الجواب على ذلك، أن الموريسكيين طوال القرن السادس عشر، و أوائل القرن السابع عشر، قاموا بعشرات الثورات ضد سياسة التنكيل و التنصير و الإدماج.

اختلف المؤرخون في عدد المطرودين، و الجداول التالية تبين لنا بوضوح اختلاف المؤرخين[1] حول أعدادا الموريسكيين المهجرين حسب الفترات التاريخية

المؤرخون الذين عاصروا الأحداث	
المؤرخون	التقديرات
Bleda	340.672 موريسكي
Penalosa	310.000
Salazar de Mondoza	[2]313.000
مؤرخو القرن السابع عشر	
Moncada	400.000
Escolando	600.000
Rodrigo Mendez Silva	[3]900.000
المصادر الموريسكية	
الشهاب الحجري	800.000
إبن عبد الرفيع	[4]600.000

[1] سوف يلاحظ من خلال الأرقام الواردة في الجدول أن التقديرات التي وضعتها المصادر الإسبانية، تقترب من المصادر الموريسكية.

[2] محمد، رزوق، المصدر السابق، ص 126.

[3] H. Lapyre, op. cit, p. 206 - P. chaunu, op. cit, pp. 87-88.

[4] الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 41.

و الحقيقة أنه بالرغم من هذه التقديرات، إلا أنه ظهرت دراسة جدية، استندت على الوثائق الإسبانية، جعلت المؤرخ الفرنسي **هنري لابيير (H. Lapyre)**، يستبعد الأرقام الواردة في الجداول السابقة، و ذلك استنادا على وسائل النقل المستعلمة خلال القرن السابع عشر[1] ، و يرجح رقم 300.000 موريسكي كانوا موجودين بإسبانيا، و أن عدد المطرودين بلغ حوالي 275.000 موريسكي[2] ، أي أن 25 ألفا موريسكي استطاعت البقاء في إسبانيا بعد الطرد.

و يظهر جليا مما عرض في الجداول السابقة، و خاصة عندما يتعلق الأمر ببقاء الآلاف من الموريسكيين بإسبانيا، أن المستضعفين هم الذين عجزوا عن الهجرة.

و الجدير بالذكر أنه بالرغم من الالتزامات التي قطعتها السلطات الإسبانية بخصوص ترحيل الموريسكيين، فإن الآلاف منهم بقي بالأندلس بعد الطرد الجماعي سنة 1609م، و ذلك للأسباب التالية:

- إستحالة إجتثات كل المسلمين الأندلسيين (اتخاذهم التقية كشعار للصمود)
- منع الآلاف من الأطفال الموريسكيين من مغادرة الأندلس، و عملت الحكومة الإسبانية على تذويبهم في المجتمع الإسباني.

فقد قرر مجلس الدولة الإسباني اتخاذ تدابير في حق الأطفال البالغين سبع سنوات -و ذلك بتاريخ 4 أبريل 1609م- ترمي إلى ابعاد الطفل عن والديه و تلقينه مبادئ النصرانية.

- البعض تخوف من الغارات البحرية، ففظلوا البقاء مع محافظتهم على بعض ممتلكاتهم
- أسباب عائلية و مهنية و اجتماعية[3] .

---

(1) H. Lapyre, op, cit, p. 206.

(2) P. chaunu, op. cit, pp. 87-88.

F. Braudel, op. cit, T2, p. 129.

J. Monlau, les Etats Barbaresques, Paris, Que Sais-je? , 1964, p.73.

(3) عبد الجليل، التميمي، واقع و مستقبل ... المصدر السابق، ص 49.

و من خلال رسالة بعث بها أهل غرناطة إلى السلطان العثماني **سليمان القانوني**، عام 1541، تذكر أن سكان غرناطة الذين لم يتمكنوا من الهجرة إلى بلاد الإسلام ناهز 364 ألف نسمة[1] .

1- إنعكاسات طرد الموريسكيين من اسبانيا.

أدت سياسة الطرد النهائي (1609-1614م)، إلى حدوث إنعكاسات على المستويين الاقتصادي و الديمغرافي، و هذا بفعل نتائج الوحدة الدينية و السياسية الذي ناشدها ملوك إسبانيا منذ بداية حركة الاسترداد.

و لنا أن نتساءل عن الانعكاسات التي أدت إلى الطرد النهائي للموريسكيين من الأندلس؟ فإسبانيا في القرن السادس عشر أرادت أن تكون دولة أوروبية مسيحية، مما سيؤدي إلى حدوث أضرار كبيرة على مستقبلها السياسي و الاقتصادي.

أ- ديمغرافيا

إن هجرة الموريسكيين القسرية من الأندلس ما بين سنوات (1609-1614م)، أي بعد صدور قرار التهجير الإجباري، يعتبر كارثة ديمغرافية و اقتصادية حلت بإسبانيا، ذلك أن عدد المهاجرين قد وصل إلى حوالي 300 ألف نسمة، أي ما يعادل حسب التقديرات الإحصائية بـ 4% من مجموع سكان إسبانيا آنذاك، كما تضررت مناطق مثل قشتالة، و أرغوان و بلنسية، من جراء التفريغ السكاني، فنتج عنه أزمة ديمغرافية حادة[2] .

و سجلت إحدى الدراسات أنه في سنة 1634م، أي بعد طرد الموريسكيين، وصلت مذكرة مرفوعة من قائد الوحدات العسكرية بمملكة بلنسية، إلى الملك الإسباني **فليب الرابع** (1621-1665م)، تتضمن التفاصيل الكاملة حول نتائج إخراج المسلمين من مملكة بلنسية، و يظهر جليا من خلال هذا الجدول.

---

[1] عبد الجليل، التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة ... المقال السالف الذكر، ص 45.

[2] M. Ravillard, op. cit, T2, p. 105.

قبل الطرد	عدد المنازل	عدد السكان
الموريسكيون	28.700	453 ألف
المسيحيون القدامى	63.700	302 ألف
المجموع	92.400	775 ألف
بعد الطرد	50.000	550 ألف[1]

و يلاحظ من خلال الجدول السابق، أن معظم القرى التي هجرها الموريسكيون في مملكة بلنسية، قد تم تعميرها من قبل المسيحيين الإسبان، و أن هناك قرى بقيت مهجورة و خالية من السكان، مما أثار قلق السلطات الإسبانية على عهد **فليب الرابع**.

ب- اقتصاديا

كان للطرد آثار سلبي في الميدان الاقتصادي، فالخراب السكاني الذي شهدته إسبانيا، أدى إلى تقهقر الصناعة التعدينية و ذلك، بذهاب 5000 حداد موريسكي، و تضاءل حجم التجارة، و نقص مردود انتاج الحبوب[2] .

فالنشاط الزراعي تراجع بفعل نقص اليد العاملة الماهرة، حيث عرفت اليد العاملة الفلاحية الموريسكية بمهارتها في ممارسة الزراعة الأساسية و المتمثلة في الزراعة الثلاثية المتوسطية (الكروم، الحبوب، الزيتون)، بالإضافة إلى الزراعة المروية.

---

[1] عبد الله محمد، جمال الدين، المسلمون المنصرون أو الموريسكيون الأندلسيون، ط1، القاهرة: دار الصحوة 1991، ص 285-287.

[2] H. Lapyre, op. cit, pp. 70-73.

و بفعل هذا الانحسار الزراعي الذي شهدته إسبانيا، اهملت الضياع و تخلى الفلاح الإسباني عن زراعة قصب السكر، و القطن و تربية النحل، و دودة القز، و تراجعت مما كانت عليه في السابق[1] .

و حاول الباحثون الذين كتبوا عن الطرد النهائي للموريسكيين، إلصاق هذا الجلاء بأحد الأسباب الرئيسية للخراب الإقتصادي الذي عرفته إسبانيا، خلال القرن السابع عشر الميلادي، و مؤشرا لتدهور الحياة الاجتماعية بها.

لقد عرف الفلاح الموريسكي بنشاطه و مهارته في الميدان الزراعي، فكان بمثابة العنصر الإيجابي في الفلاحة الإيبرية. و قد شبهه المؤرخ الروسي **روبير لاندا** (R. Landa) :" إن المجتمع الموريسكي في إسبانيا كان يمثل البروليتاريا الريفية المنتجة"[2] .

و تؤكد الدراسات المنصفة، أن الموريسكيين كانوا رجالا مهرة و فنيين في العديد من المهن، مثل صناعة الحرير، و الذهب، و الفضة، و النقش، و اللوح، و البناء، و الفلاحة، و أساليب السقي الفنية. كما كانوا وراء تعميم زراعة الأشجار المثمرة، كالبرتقال، و الحوامض، و قصب السكر، و مختلف الأشجار، كالتوت، و العديد من المنتوجات النباتية كالحناء.

إن المكانة التي احتلها الموريسكيون على المستوى المهني تؤكد على أن الحياة الاقتصادية تضررت من جراء تخليهم عن هذه المهن بعد الطرد، و أن كسادا عم.

---

[1] أثبتت الدراسات التاريخية، أن خروج الموريسكيين، كان بمثابة نكبة اقتصادية، أضرت بإسبانيا خلال القرنين 16 و 17م. و استمرت آثارها بشكل عام مع بداية القرن 18م. و ليس صحيحا ما يشاع أن سقوط غرناطة، كان عصر إسبانيا الذهبي. للمزيد حول الموضوع راجع: - عبد الرحمان عبد الله، الشيخ:" دور المسلمين في انهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر و بداية القرن 17م"، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب و العلوم الإنسانيةن الرياض 1408هـ/ 1988م، ص 121-146.

[2] R. (G). Landa: « Les morisques comme les représentants de la civilisation Andalouse au Maghreb », in, Actes du IV Symposium international du C.I.E.M... op. cit, p. 210.

إن الأغلبية الساحقة لهؤلاء الموريسكيين في أواخر القرن السادس عشر، امتهنوا أشق المهن اليدوية و أقساها، و تحولت أعداد كبيرة منهم إلى عبيد في بلاد النبلاء الإسبانيين، أو حمالين، أما النساء في البرتغال فهن غسالات، و نساء بيوت، و خادمات[1] ، و هذا شيئ طبيعي إذا أخذنا بالاعتبار طبيعة القرار القاضي بأن لاحق للموريسكيين أن يملكوا محلات عمومية و لا دينية، أو أن يصبحوا مقدمين، أو صاحبي مزارع، و صيادلة، و أصحاب محلات تجارية، و جراحين، و مضمدين[2] .

كان ترحيل الموريسكيين وراء التحطيم الآلي للاقتصاد الإسباني، و خاصة في مناطق جنوب الأندلس و ساحلها الشرقي. فقد تلاشت الحركة التجارية في المدن الكبرى مثل طليطلة، و أغلقت متاجر الحرير في إشبيلية و سيقوفيا (Segovie)، و طليطلة، و غرناطة. كما اختفت متاجر الكتان في كوينكا (Cuenca)، و نقص المنتوج الخزفي و الحرفي[3] . و تجدر بنا الاشارة إلى عرض النتائج العامة التي حدثت بفعل قرارات الطرد، و انعكاساتها على إسبانيا من خلال الأحداث التالية:

- انحطاط الإنتاج الزراعي الإسباني.
- كساد التجارة.
- ركود النشاط المهني الصناعي.
- تناقص عدد السكان.
- تضاؤل موارد عائدات الخزينة العامة الإسبانية.
- فشل جهود الإصلاحات الإسبانية

---

(1) Ahmed, Boucharb: « Spécifité du ptoblème morisque au portugal: une colonie étrangère refusant l'assimilation et souffrant d'un sentiment de déracinement et de mostalgie », in, les morisques et leur ... op. cit, p. 206 .

(2) جاكلين فورنال، فارين:" الصيدلية الموريسكية و ممارسة الطب لدى المجموعة الموريسكية بمنطقة أرغوان 1540-1620"، (تعريب: د. عبد الجليل التميمي)، المجلة التاريخية المغربية، العدد 15-16، تونس، جانفي 1979، ص 50.

(3) R. (G), Landa: « Le rôle économique et sociale des morisques en Espagne », in, Mélanges Louis Cardaillac ..., op. cit, T1, p. 406 .

- تدهور ايراد الضياع و ايراد الكنائس و الأديرة.

انتشار الفقر و الخراب و حدوث الأزمات النفسية.

2- الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين

لقد تعرض الباحثون إلى خلفية الأجواء التي كانت وراء قرار الطرد النهائي للموريسكيين من الأندلس، و الذي اتخذته حاشية الملك **فليب الثالث**. و قد لعب **دوق دولرم** (**Duc de Lerme**) المقرب من الملك، دورا رئيسيا و حاسما ليس فقط على مستوى أخذ القرار، بل على مستوى إجراء عملية الطرد، و وضع المخططات لتنفيذها بكل حزم. و قد تبنت عدة قرارات و قوانين جائرة و غير قانونية ليتم تطبيقها بدون شفقة على الموريسكيين.

تكررت مراسلات الموريسكيين من أجل انقاذهم، وهذا منذ سقوط غرناطة، وقد اتجهت هذه المراسلات في ثلاث اتجاهات، ذكرها الباحث الأردني **محمد حتاملة**[1] و هي كالآتي :

- مراسلة الموريسكيين إخوانهم بالبلاد المغاربية .
- الاستغاثة بالسلطان العثماني بايزيد الثاني.
- الاستغاثة بالملك الأشرف قانصوة الغوري[2] .

تابعت الدولة العثمانية الملف الموريسكي منذ بدايته، وهذا من خلال المراسلات التي كانت ترد إليها سرا، و بواسطة الوسطاء أمثال **جيرونيمو أنريكي** (**Jeronimo Anriquez**)[3] ، كما كان الموريسكيون هم الآخرون على علم بكل ما يجري في الدولة العثمانية من تطورات واهتمامات، كما تحرك الأسطول العثماني في عرض البحر الأبيض المتوسط، إلا و قوّى أملهم في النجدة و المساعدة.

---

(1) محمد عبده، حتاملة، المصدر السابق، ص 91-103.

(2) قانصوة الغوري، سلطان دولة المماليك البرجية، حكم بلاد مصر و الشام ما بين 1501-1516م. و قد هدد السلطان ملوك أوروبا (فرديناندو الأول ملك نابولي و الملكين الكاثوليكيين)، بالاضافة إلى البابا أنومان الثامن.أنظر : محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق،ص 220.

(3) H. Lapyre, op. cit, p. 178.

ونلتمس ذلك في تحركهم السري، بل إن الموريسكيين الذين أمكن لهم النجاة و الهجرة خارج إسبانيا، كانوا يعتقدون أن ذلك قد تم بفضل إلتدخل العثماني، و يرى بعض الباحثين أن موقف الدولة العثمانية من الملف الموريسكي قبل و بعد سقوط غرناطة، أصبح يتعدل و يأخذ مكانه الحقيقي بعد ظهور الوثائق العثمانية حول الموضوع[1] .

و انطلاقا من فتح القسطنطينية (1453م)، و الانتصارات العسكرية العثمانية التي تحققت في أوروبا الشرقية، أصبح الأتراك العثمانيون يتمتعون بوزن عسكري و سياسي ذي أهمية في توازن القوى بالبحر الأبيض المتوسط، و يرجع الفضل إلى قوتهم البحرية و البرية، خاصة أثناء حكم بايزيد الثاني[2] .

و قد وجهت إلى السلطان **بايزيد** سفارة أندلسية سنة 1487م، و هي عبارة عن رسالة[3] يشتكي فيها الأندلسيون عن المعاناة التي يتكبدونها، و هم يتساءلون عن سقوط الإسلام في الأندلس الذي أصبح حقيقة، حيث بادر السلطان بإرسال أسطول عثماني إلى الشواطئ الأندلسية في أواخر القرن الخامس عشر مما أقلق الدول المسيحية[4] .

ألم يصرح مفتي وهران **أبي جمعة المغراوي** في رسالة وجهها إلى مسلمي الأندلس سنة 1503م، قائلا:" إني أدعوا المولى سبحانه و تعالى أن يغير الأحداث لصالح دين الإسلام، و حتى تتمكنوا من عبادة الخالق دون لوم أو أي خوف، و هذا بفضل التحالف مع الأمراء الأتراك"[5] .

---

[1] شكيب، بن حفري:" موقف الدولة العثمانية من الجالية الموريسكية الأندلسية بالجزائر ما بين سنتي 1571-1573"، في أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ج1، ص 31.

[2] حول حياة هذا السلطان، راجع:

U.S, Parry : « Bayazid », in, Encyclopédie de L'Islam, op, cit, T1, pp. 1153-1155 .

[3] حول نص الرسالة، راجع:

محمد عبد الله، عنان، المصدر السابق، ص 377.

[4] عبد الجليل، التميمي:" الدولة العثمانية و قضية الموريسكيين الأندلسيين"، في كتاب الدولة العثمانية ... المصدر السابق، ص 11.

[5] J. Cantineau, « Lettre du Moufti d'oran aux musulman d'Andalousie », in, journal asiatique, CCX, Janvier - Mars 1927, p.13.

و أصبحت اسطامبول منذ بداية القرن السادس عشر (الأرض الموحدة) بالنسبة للمضطهدين، سواء أكانوا مسلمين أو يهود، حيث تحول عدد كبير من الموريسكيين إليها؛ إلا أن الأغلبية الموريسكية كانت تفضل مجيء الأتراك العثمانيين إلى إسبانيا[1].

إن مختلف المعلومات التي كانت تصل إلى مركز الإمبراطورية العثمانية عن الموريسكيين، ابتداءا من النصف الثاني من القرن السادس عشر، تؤكد على أن السلطات العثمانية، كانت تراقب و تتابع عن كثب معطيات المشكل الموريسكي. و قد استمر العثمانيون طوال القرن 16م، يستقبلون سفراء و مبعوثي الموريسكيين الذين كلفوا بطلب النجدة و المساعدة، و انطلاقا من سنة 1591م، بدأت القوات البحرية العثمانية في تحضير 300 سفينة بالقسطنطينية، و أشيع أنها لغرض مساعدة موريسكي إسبانيا الثائرين[2] .

و أصبحت سياسة **سليمان القانوني** ملزمة حيال الإيالات المغاربية و الموريسكيين، و قد وجه هؤلاء رسالة استغاثة سنة 1541م[3] . و تشير الدراسات التاريخية على أن الصدر الأعظم **محمد صوقللي** -الذي عرف بورعه و تقواه، كان على علم بمحنة الموريسكيين عن طريق العديد من الرسائل التي وجهت إلى الباب العالي- و قد قرر إنجاد الأندلسيين، عندما اتخذت اجراءات تمثلت إحداهما في توجيه فرمان سلطاني إلى بيلرباي الجزائر **قليج علي**، يأمره بتقديم المساعدات إلى الجماعات الموريسكية. أما الإجراء الثاني فقد تمثل في ارسال فرمان موجه إلى الأندلسيين أنفسهم، و يبدو أن الصدر الأعظم كان يخطط للهجوم على إسبانيا، لغرض مساعدة مسلمي غرناطة الثائرين، و اقترح على السلطان القيام بحملة على إسبانيا بدل غزو جزيرة قبرص[4] .

---

[1] عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية ... المصدر السابق، ص 12.

[2] F. Braudel, op. cit, T2, p. 480.

[3] عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة ... المقال السالف الذكر، ص 27 38.

[4] عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، 1980، ج2، ص 925.

إن الفرمانات السلطانية الموجهة، و خاصة الفرمان المرسل إلى الموريسكيين، يعدان هامين لتقييم موقف الدولة العثمانية تجاه المسألة الموريسكية، ففي الفرمان الأول الذي وجه إلى **قليج علي** بيلر باي الجزائر بتاريخ 16 أبريل 1570م، أظهر فيه المسؤولون العثمانيون معرفتهم لمسألة أهالي الاندلس، و قد طلبوا من **قليج علي باشا** أن يقدم جميع المساعدات الممكنة، و هذا في انتظار قدوم الأسطول العثماني[1]. أما الفرمان الثاني فقد أثار الإنتباه، كيف أن عدد الثوار بلغ العشرين ألفا، و أن مائة أخرى تنتظر السلاح و الدخيرة[2] .

و جاء في سياق الفرمان الثاني، أنه بعد فتح الدولة العثمانية لجزيرة قبرص، فإن الأسطول العثماني سوف يتحول إلى إسبانيا لمساعدة الموريسكيين[3] . إن تعليمات الباب العالي الموجهة إلى بيلربايات الإيالات المغاربية، تصف عموما إسبانيا بأوصاف عدائية مثل :" أعداء الدين أو الكفار خذلهم الله، ثم وجب أخذ الحذر منهم مع وجوب تحصين المدن و القلاع و الموانئ، و أخذ كل الإحتياطات اللازمة من حيث توفير المؤون و الدخائر العسكرية"[4] .

---

(1) عبد الجليل، التميمي، الدولة العثمانية ... المصدر السابق، ص 18.

(2) F.Braudel, op.cit, T2, p. 362.

(3) راجع نص الفرمان في:

عبد الجليل، التميمي، رسالة من مسلمي غرناطة ... المقال السالف الذكر، ص 23-25.

(4) عبد الجليل، التميمي، الدولة العثمانية ... المصدر السابق، ص 23.

و ذكر **ميكال دي إيبالزا** أن المساعدات العثمانية الفعالة للموريسكيين، و من خلال إيالة الجزائر، كانت بمثابة الدعم المعنوي و التضامن الديني، وتعد من الأسباب الاستيراتيجية التي أدت إلى تفاقم شدة الصراع و التنافس بين القوتين، العثمانية و الإسبانية[1] .

كما أكد **لوي كارديناك**، أن الأتراك كانوا يمثلون- في أواخر القرن السادس عشر و أوائل القرن السابع عشر-، أمل الموريسكيين الأول و الأخير، و لذلك كان الإسبان متخوفين من الطائفتين، خاصة بعد استرجاع العثمانيين لتونس و خلق الوادي سنة 1574م.

و كان اللإسبان على علم بالاتصالات و المراسلات المتبادلة بين الموريسكيين و الدولة العثمانية بخصوص النجدة، إلا أن ثقة الموريسكيين الكاملة في الأتراك، لم تحقق لهم الأمل المرجو منهم كما تصوروه للإنتقام من الإسبان في عقر دارهم، فكانوا حتى آخر لحظة ينتظرون إخوانهم العثمانيين لمنع الهجرة أو تأمينها، و ظلوا يعتقدون و هم يغادرون الأندلس، أن العثمانيين هم الذين هددوا الإسبان حتى يخلوا سبيل المسلمين، و إلا أحرقوا المسيحيين الذين يعيشون في القسطنطينية[2] .

و في مقابل هذه المواقف الإيجابية من طرف الدولة العثمانية تجاه القضية الموريسكية، فإن المؤرخ المصري **عنان** يرى أن سياسة سلاطين الدولة العثمانية إنشغلت عن بذل أي مجهود يذكر في سبيل انقاذ الموريسكيين، مقابل اهتمامهم بالأمجاد العسكرية و الفتوحات المخربة لمصر و بلاد المشرق.

---

(1) M. de Epalza, « Les ottomans et L'insertion au Maghreb des Andalous expulsés d'Espagne au XVIIE Siècle », in, R.H.M, N° 13-14, Tunis, Juillet 1979, p. 168.

(2) L. Cardaillac, « Le Turc suprême espaire des morisques », in, M. de Epalza et R. petit, Etudes sur les « morisques », andalous en Tunisie, direccion general de relation, Madrid, 1973, pp. 45-55.

فموقف الباب العالي قبل و بعد سقوط غرناطة إزاء الأمة الأندلسية، لم يكن متسما بأية مبادرة مشكورة أو موقف مشرف.[1]

كانت ثورة البشارات سنة 1569م بغرناطة، ثم معركة ليبانت 1571م، أو الأحداث التي كانت تونس مسرحا لها، ثم موجة الموريسكيين الهاربين الذين تحولوا إلى عاصمة الدولة العثمانية، كلها من العوامل المباشرة و الحاسمة، التي دفعت بالسلطات العثمانية إلى الإهتمام بمصير الموريسكيين، على أن ردود فعلها تجاه قضيتهم وجب وضعها ليس فقط في الإطار الديني، و لكن أيضا في إطار جدلية الخلافة الإسلامية[2] ، و التي كانت السلطة العثمانية تمثلها بالنسبة للعالم الإسلامي. و هو الأمر الذي يفسر تلقائيا مدى إلحاح الموريسكيين الاندلسيين على الباب العالي من خلال تدخلاتهم المتكررة.

و قد تناول المؤرخ التونسي **عبد الجليل التميمي** بالتفصيل مواقف الدولة العثمتية من عمليات الطرد الجماعي للموريسكيين سنة 1609م، و هذا بفضل اكتشاف رسالة هامة من السلطان العثماني **أحمد الأول** (1609-1612م)، بعث بها إلى دوق البندقية سنة 1614م[3] .

و من خلال هذه الرسالة تظهر جليا السياسة العامة، و مساعي الدولة العثمانية لدى معظم الدول الأوروبية و قتئذ في مساعدة الموريسكيين و تقديم كل عون لهم، مع تمكينهم من الالتحاق بأراضي الدولة العثمانية في ظروف الأمن و السلم و الطمأنينة.

و الذي يلفت الانتباه هو أن المساعي المتكررة التي قام بها السلطان العثماني **أحمد الأول** لدى البلاطات الإنجليزية و الفرنسية و البندقية، لمساعدة الموريسكيين، و تسهيل مرورهم إلى الولايات العثمانية، جعلته يكلف **الحاج براهيم آغا** للتحول إلى لندن لمقابلة ملكها **جاك الأول** (**Jacques1er**)، و طلب المساعدة في تسهيل نقل

---

[1] محمد عبد الله، عنان:" موقف القسطنطينية و باقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس، و آخر مسلميها و أمام الغزو الأوروبي للعالم الاسلامي عموما »، مجلة الأصالة، العدد 27، الجزائر، أكتوبر 1975، ص 101-115.

[2] عبد الجليل، التميمي، الخلفية الدينية ... المصدر السابق، ص 5-44.

[3] عبد الجليل، التميمي:" رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول إلى دوج البندقية حول الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8. تونس، جانفي 1977، ص 7-14.

الموريسكيين إلى أراضي الدولة العثمانية، إلا أن إنجلترا لم تستجب لهذه المطالب نتيجة معاهداتها السابقة الذكر مع إسبانيا سنة 1604م[1].

أما مساعي الدولة العثمانية مع فرنسا، فقد تعددت من خلال إرسال عدد من المبعوثين الذين كلفوا بإبلاغ دعوات الدولة العثمانية، إلى البلاط الفرنسي لتسهيل مرور الموريسكيين عبر التراب الفرنسي، و التحول بعد ذلك إلى الإيالات (المغاربية) أو إسطامبول، و مدهم بالمساعدة اللازمة لذلك[2].

و أرسل السلطان العثماني **أحمد الأول** سفارة إلى البندقية، و ناشد دوقها في رسالة يطلب منه فيها تقديم كل الإعانات الممكنة للموريسكيين، و أن لا :" يتدخل في أمورهم أو يتعرض لهم و لأرزاقهم و أموالهم، و هذا أثناء مرورهم بالمنازل و المراحل ليصلوها آمنين سالمين..."[3].

و كتب **أحمد الأول** كتابا إلى بيلرباي الجزائر قليج علي، يأمره، بمساعدة ثوار مسلمي الأندلس، و مدهم بالسلاح و الدخيرة، و المتطوعين، كما أرسل فرمانا إلى أهالي الأندلس، لإعلامهم بالإجراءات المتخذة و شد أزرهم، و واضح من خلال هذه الأعمال أن العثمانيين فضلوا استقبال المهاجرين من باب القيام بواجب الخلافة الإسلامية تجاه المسلمين.

و إذا حاولنا دراسة العقلية الأندلسية بكل أبعادها الحضارية و السياسية و الاجتماعية، فإن الأندلسي هو هو، أينما حل و ارتحل، سواءا كان بإسبانيا أو شمال إفريقيا، إنه يحمل تراث قرن من الزمان (1502-1609م)، كان متابعا فيه من طرف محاكم التفتيش، فتكونت لديه عقلية خاصة يواجه بها العقلية الإسبانية[4].

---

[1] عبد الجليل، التميمي:" رسالة من السلطان العثماني أحمد الأول ... المقال السالف الذكر ،ص 10

[2] راجع بخصوص هذا الموضوع:

M. Francisque: « Les morisque en France », in, R.H.M, N° 55-56, Zaghonan, Décembre 1989, pp. 149-169

[3] أنظر نص الرسالة في:

عبد الجليل، التميمي، رسالة من السلطان العثماني أحمد ... المقال السالف الذكر، ص 14.

[4] عن العقلية الإسبانية خلال القرن السادس عشر، أنظر: B. Bennassar, un siècle d'or Espagnol , Paris, 1982

فهو ظاهريا مخلص للمسيحية و لملك إسبانيا، و باطنيا مسلم مع المسلمين، و هذا ليس أمرا غريبا بل تكتيكا أندلسيا مارسوه و هم بإسبانيا، فبالإضافة إلى اتصالاتهم مع العثمانيين، كانوا يتفاوضون مع الفرنسيين لأجل الثورة. و هنا نتساءل كيف كانت هذه الأقلية الأندلسية تؤمن بالثورة، و بالانتصار إلى هذا الحد و هي داخل إسبانيا؟ يبدو أن الموريسكيين استلهموا هذه المواقف من النبوءة التي كانوا يؤمنون بها، و هي قبل كل شيء عمل ديني سواء من حيث أصوله أو أهدافه[1] .

ففي سنة 1569م، بغرناطة صرح **زكريا** الذي إعترف أمام محاكم التفتيش: "بأن المغاربة لهم رغبة كبرى في الإنتقام، و أكدوا بأن الخلاص قريب، و سيأتي من شمال إفريقيا من بجاية و وهران و سبتة. و بعد ذلك يتم من جديد غزو إسبانيا... و أنه في مضيق جبل طارق سيظهر جسر من جديد، و عن طريقه سيجتاز العرب و يتمكنون من غزو إسبانيا و كاليسيا..."[2]

و لاشك أيضا أن إسبانيا من جهتها سعت هي الأخرى إلى تبني سياسة ضد الأتراك العثمانيين و على جميع المستويات، فمند تولي **شارل الخامس** حتى **فليب الثالث**، قامت إسبانيا بكل المساعي للوقوف ضد الهيمنة العثمانية بالإيالات المغاربية و من أجل ذلك وفضلا عن الهجومات العسكرية التي قامت بها خلال القرن السادس عشر، تبنت سلاحا آخر، تمثل في حرب المعلومات النفسية، و هدفها من ذلك تحويل اهتمام الموريسكيين عن الدولة العثمانية و التي كانوا يعدونها القوة العسكرية الوحيدة القادرة على تقديم الدعم و العون لإنقاذهم من الاستعباد الإسباني.

و انطلاقا من ذلك تملك القيادات الإسبانية الخوف الرهيب تجاه كل المعلومات و التي من شأنها أن تشجع الموريسكيين على شد أزرهم في مقاومتهم السياسية و الأخلاقية و الدينية أو العسكرية.

---

(1) L. Cardaillac, le Turc ... op. cit, p. 50.

(2) لوي، كارديلك، المصدر السابق، ص 51.

3- الهجرات الموريسكية المختلفة:

لقد حدد **هنري لابير** في كتابه (جغرافية إسبانيا الموريسكية)، جميع الاتجاهات التي سلكها الموريسكيون أثناء طردهم، أو تلك التي أجبروا على إتباعها، للتحول إلى منطقة شمال إفريقيا، أو ليفورنة، او إسطامبول، أو المشرق العربي مرورا بأراضي البندقية، و أخيرا اتخاذهم البحر وسيلة للتنقل و الهجرة.

لقد كان البيان الرسمي الإسباني بخصوص عمليات الطرد الجماعي للموريسكيين واضحا، و هو عدم الإساءة إلى الموريسكيين أثناء عمليات الترحيل، و أن المخالف للتعليمات يتعرض للعقوبات، لكن الانتهاكات باتت واضحة، سواء داخل التراب الإسباني، أو أثناء مرحلة العبور في البحر، بحيث عمل الإسبان على سلب و نهب متاع الموريسكيين، و شاركهم في هذه الأفعال رياس السفن الفرنسية، الذين كلفتهم السلطات الإسبانية بعمليات ترحيل الأندلسيين[1] .

و لقي الموريسكيون أثناء هجراتهم خارج الأندلس صعوبات جمة، و هذا على حد تعبير **الشهاب الحجري** :" ... و اتفق لكثير من المسلمين الأندلسيين عند خروجهم لأن نهبهم في البحر النصارى... الذين أكثروهم و دفعوا لهم أجرتهم على أن يبلغوهم في عافية و أمان إلى بلاد المسلمين، و خانوهم (سرقوهم) كل واحد من الرياس في سفينته..."[2]

و يفهم من سياق هذا الكلام أن الموريسكيين وجدوا صعوبات كثيرة أثناء تنقلاتهم البحرية، حيث تعرضوا لمضايقات ربان السفن.

و توالت الهجرات الموريسكية الأندلسية على مختلف جهات البحر الأبيض المتوسط، و كانت منطقة شمال إفريقيا محط أنظارهم.

---

[1] محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 129.

[2] الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص2.

3-1- الهجرة إلى شمال إفريقيا

أ- الهجرة إلى المغرب الأقصى:

انتقل الموريسكيون الأندلسيين إلى المغرب الأقصى عن طريق المراكز المحتلة من طرف إسبانيا: طنجة و سبتة و مليلة[1] ، كما تمركز عدد كبير منهم بتطوان و القصر الكبير و العرائش لمراقبة أوضاع اخوانهم بإسبانيا[2] .

و في هذا الصدد ذكر **الدوق مدينا سيدونيا** (Medina Sidonia)، أنه كان يوجد بمدينة تطوان وحدها سنة 1613م، حوالي 10.000 موريسكي[3] . و حسب تقديرات **داميان الإسباني** (Damian Fonseca) فإن عدد الموريسكيين المستقرين بالمغرب، قدر بحوالي 40.000 موريسكي[4] . في حين تقدر المصادر الإسبانية أعداد المهاجرين بنحو 60 ألفا[5] .

و تنوه المصادر التاريخية إلى الإستقبال الحسن الذي حظي به الموريسكيون لدى السلطان **السعدي زيدان** و إهتمامه المتواصل بقضايا الأندلسيين.

فقد استقرت مجموعة هامة من المجاهدين الأندلسيين بالمغرب، طمعا في الانتقام من الإسبان. و يذكر **جوان بنيليا** (J. Penella) بأن الجماعات الموريسكية ساهمت في تطوير التاريخ الدولي للمغرب أكثر من تاريخه الداخلي[6] .

و كانت مدينتا الرباط و سلا، وجهة الأندلسيين من قبل، بسبب إستفحال حركة الاستراد. و قد استقر الأندلسيون بفاس و مكناس و مراكش و طنجة و شفشاون و آسفي، بالإضافة إلى المساهمة الفعالة لأفراد الجالية الأندلسية في إزدهار الصناعات و العلوم بالمغرب.

---

(1) Juan, penella: « Le Transfert des morisques Espagnols en Afrique du Nord », in, Etudes sur les moriscos ... op. cit, p. 85.

(2) H. Lapyre, op. cit, p. 207.

(3) Idem.

(4) محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 130.

(5) نفسه

(6) المصدر نفسه، ص 131.

و استفادت الدولة السعدية من خبرة الأندلسيين، حيث وظف **المنصور السعدي**، العديد منهم في غزو السنغال و القرصنة في البحر، و بفضلهم تعددت المنشآت العمرانية، و نشطت الصنائع التقليدية، و ازدهرت الفلاحة، و انتشرت الموسيقى الأندلسية[1] .

و مما يجدر الإشارة إليه، هو أن المغرب إنفرد بظاهرة هجرة موريسكي **هورناتشوس** (Hornachos)[2] الذين يعدون من أخطر العناصر الموريسكية على أمن و استقرار إسبانيا يومئذ، و كانت من العوامل التي عجلت بطردهم مبكرا.

و هاجرت هذه الجماعة إلى المغرب و هي متماسكة، حاملة معها نضالها السياسي و ثرواتها المالية، بالإضافة إلى الخبرات الصناعية و التجارية. و يرى بعض الباحثين أن موريسكي هوناتشوس، ينتمون إلى مسلمي غرناطة، حيث لجأت السلطات الاسبانية على شتاتهم بعد إخفاق ثورة البشارات بغرناطة سنة 1568م[3] .

كانت هورناتشوس محطة إسلامية وسط بيئة مسيحية، كما امتازت بقوة دفاعها و مواجهتها للإسبان دفاعا عن كيانها، و للصمود أمام الخطر المسيحي. و قد شمل قرار طرد الموريسكيين الهورناتشيين، مما اضطرهم لدفع 22 ألف دوكا سنة 1610م، مقابل الهجرة إلى المغرب، لكن **الأب دان** (DAN)، يرى أن البعض يذهب إلى اعتبار هجرة الهورناتشيين إلى المغرب طواعية و بمحض ارادتهم[4] .

---

[1] حول الدراسات المتعلقة بأندلسي المغرب، راجع: - M. Ravillard, op.cit, T2, pp. 150-155.

- محمد، رزوق:" الكتابات الغربية و العربية حول موريسكي المغرب، خلال القرن السابع عشر"، في أعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ص 77-80.

[2] هورناتشوس قرية تقع جنوب شرق استرمادور، و هي مقاطعة لاقليم باداخوس (Badajoz)، على بعد 50كلم من (Merida) و هي منطقة جغرافية مميزة بإسبانيا.

[3] محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 112-117.

[4] DAN (P), Histoire de la Barbarie et ses corsaires, Paris, 1637, p. 175.

و بعد وصول الهورناتشيين إلى المغرب عملوا على الإستقرار بقصبة الرباط، و أسسوا مدينة سلا الجديدة.[1] و برع هؤلاء في فن الملاحة و ممارسة التجارة، كما تمكنوا من أسر حوالي 1000 سفينة مسيحية ما بين سنوات 1620- 1630[2].

و ذكرت المؤرخة الفرنسية **مارتين لافيلار (M. Ravillard)**، أن موريسكي القصبة، طلبوا من الملك الإسباني **فليب الرابع**، تسليم مدينتهم مقابل العودة إلى منطقة هورناتشوس كمسحيين[3] .

و تشك بعض الدراسات في صحة هذه الرواية التاريخية، ذلك أن جماعة البحارة الذين استقروا في سلا، لقبوا بالمجاهدين من طرف الاهالي، فغير ممكن بجماعة كانت تمارس الجهاد البحري ضد المسيحيين تقبل بهذه المساومة، و هي التي خرجت ظلما و عدوانيا من أراضيها.

لقد اتهم الإسبان الهورناتشوس بتزوير العملة، و حبهم للقتال، ذلك أن هؤلاء كانت لهم خبرة و دراية في فنون القتال و استعمال الاسلحة، مما أهلهم إلى ممارسة الجهاد البحري و هم بالمغرب.

و تشير الدراسات إلى وقوع حوالي 6000 أسير تحت قبضتهم ما بين 1618-1628م كما تعاونوا مع جمهورية **أبي رقراق**، و مع مختلف عناصر الجهاد البحري[4] .

ب- الهجرة إلى تونس:

تجمع الدراسات على أن الإستقبال الذي حصل للموريسكيين الأندلسيين بتونس في بدايته كان حسنا و طيبا، ففي الفترة الممتدة بين 1594 و 1610م، حكم إيالة تونس **عثمان داي**، و هو شخصية قوية. و بفضل براعة الموريسكيين في شؤون البحر

---

(1) يرى المؤرخ الفرنسي بينصار، أن الهورناتشيين، انتقلوا إلى المغرب سنة 1610م، و أسسوا جمهورية سلا (جمهورية القراصنة) للمزيد راجع:
B. Bennassar, l'inquisition ...op. cit, p. 186.

(2) R. (G), Landa, le rôle économique ... op. cit, pp. 402-403.

(3) M. Ravillard, op. cit, T2, p. 151.

(4) ابراهيم، حركات:" مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد الموريسكيين من الأندلس"، مجلة الأصالة، عدد خاص، الجزائر، جويلية 1975، ص 277-290.

و تخصصهم في العديد من المهن، جعل **عثمان داي** يعرب عن اعجابه بهؤلاء الموريسكيين الذين وصلوا إلى تونس، إذ بتحريض من الداي و **أبي الغيث القشاش** -أحد وجهاء و أغنياء الأندلسيين بتونس- جندت تونس لاستقبالهم، و وضع مخطط لتعمير و تهيئة التراب التونسي لهذا الغرض، الأمر الذي كان وراء بروز حوالي عشرين قرية موريسكية بنيت على الطراز الأندلسي[1] .

و قد منح **عثمان داي** للموريسكيين الإذن بإنشاء القرى وفقا لإختياراتهم، كما سمح بتطبيق مبدأ الاندماج الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي.

و بعد فترة من الزمن، و قصد تسهيل عملية اندماج الأندلسيين في المجتمع التونسي عمل **عثمان داي** على إعفائهم من تسديد الضرائب خلال ثلاث سنوات[2] ، و مدهم بالبذور للزراعة، و اعفائهم من دفع ضريبة الدخول إلى الموانئ ثم سن نظام قضائي خاص بهم.

إن هذه الاجراءات المتخذة لفائدة الموريسكيين، قد سمحت لهم بتوفير وسائل الراحة و الأمن الداخلي، ليضعوا مختلف معارفهم لفائدة مجتمع إيالة تونس. و هذا ما مكنهم من اعطاء انطلاقة جديدة للفلاحة و الصناعة و المعمار و الحركة الاقتصادية و الحياة الفكرية.

و تم العثور على فرمان جديد صادر من السلطان العثماني **أحمد الأول**، و الذي وجهه إلى بيلر باي و قاضي تونس في شهر جويلية بتاريخ 1615م، و يتعلق نص الفرمان المرسل، بخصوص موقف السلطات التونسية تجاه إستقرار و إندماج

---

[1] استقر الأندلسيون في مناطق عديدة منها: تونس حيث توجد بها حومة الأندلس، و نهج الأندلس داخل المدينة العتيقة. و القرى المحيطة بوادي مجردة مثل: تستور، مجاز الباب، السلوقية، قريش الواد، طبربة، الجديدة و البطان، كما استقر الموريسكيون على ضفاف السواحل مثل بنزرت، العالية، منزل جميل، ماطر، الوطن القبلي، نابل، نيانو، بلي، و زغوان. للمزيد راجع: أحمد، الحمروني، الموريسكيون الأندلسيون في تونس: دراسة و بيبليوغرافيا، ط1، تونس: ميديا كوم 1998، ص 44-74.

[2] جاء في الفرمان الموجه من طرف السلطان العثماني أحمد الأول إلى بيلرباي و قاضي تونس، و المؤرخ في سنة 1613م. أن الاعفاء يمتد إلى خمس سنوات، راجع نص الفرمان:

عبد الجليل، التميمي:" السياسة العثمانية لاستيطان الموريسكيين الأندلسيين بالأناضول"، في كتاب دراسات في التاريخ الموريسكي الأندلسي، زغوان: سيرمدي 1993، ص 24.

الموريسكيين في المجتمع التونسي، حيث جاء الفرمان بعد مضي خمس سنوات من استقبال الموريسكيين و استقرارهم في الإيالة[1] .

يعكس تطور موقف السلطات من هذا الفرمان من خلال التعسفات التي مارسها **يوسف داي** -حكم الإيالة منذ 1610م- الذي لم يعف الموريسكيين من تسديد الضرائب، بل فرض عليهم دفع ضرائب إضافية، و هذا ما كان وراء قلقهم و غضبهم، و قد عبروا عن ذلك بواسطة رسالة وجهوها إلى الباب العالي، يطالبون فيها تدخل السلطان العثماني لدى داي و قاضي تونس لوقف مثل هذه الإجراءات[2] .

و عليه فإن الموريسكيين استفادوا بدعم مالي و أخلاقي و ديني، و مع تقادم الزمن، استطاعت هذه الجالية أن تندمج في المجتمع، الأمر الذي ساعد على إزالة المآساة الدينية السياسية التي عاشوها في إسبانيا[3] .

إن السلطات العثمانية استنكرت المظالم المسلطة على الموريسكيين من قبل الحاكم **يوسف داي** :"... إننا ننفي الظلم و العدوان على رعايانا ... فكيف نرضى بالظلم و العدوان على من قصدنا فارا بدينه من الكفار المخذولين و احتمى بظل حمايتنا الظليل، و هم يرجون التمتع بالأمن و الأمان ... و فرماننا هذا يأمر، بأن لا تطالبوا إلا بالأعشار الشرعية و الرسوم الموضوعة على الرعية من طائفة "المدجل" إذا ما باشروا الحرث و الزرع... و أن لا تتدخلوا في شؤونها و أرزاقها..."[4]

و أما بخصوص استقبال الإيالة التونسية للموريسكيين على المستوى الرسمي أو المستوى الشعبي، فتذكر بعض المصادر :"... و في هذه السنة 1017هـ/1608م)، و التي تليها جاء الأندلسيون من بلاد النصارى ...

---

[1] عبد الجليل، التميمي:" تطور موقف سلطات إيالة تونس تجاه الموريسكيين الأندلسيين على ضوء فرمان جديد للسلطان العثماني"، في كتاب دراسات في التاريخ الموريسكي ... المصدر السابق، ص 41.

[2] عبد الجليل، التميمي، تطور موقف سلطات ... المصدر السابق، ص 35.

[3] المصدر نفسه، ص 36-37.

[4] المصدر نفسه، ص 41.

و كانوا خلقا كثيرا، فأوسع لهم **عثمان داي** في البلاد، و فرق ضعفاءهم على الناس، و أذن لهم أن يعمروا حيث شاؤوا... و استوطنوا في عدة أماكن ... فصار لهم مدن عظيمة..."[1]

و يمكننا أن نصنف الموريسكيين الأندلسيين بتونس إلى ثلاث فئات:

الفئة الأول: فئة الوجهاء و الأعيان (النخبة)

استقرت بعاصمة تونس و انشأت أحياء خاصة بها مثل حومة الأندلس و زقاق الأندلس، و هي تضم الطبقة البرجوازية الحرفية و كبار التجار و المثقفين.

الفئة الثانية:

استقرت بالقرب من تونس مثل: أريانة و الجديدة، و تضم الحرفيين الصغار و منتجي الخضر و الفواكه، و أنشات هذه الطبقة أسواقا و مصانع للشاشية، و عملت في النسيج و الحرير، و نقش الرخام و الزليج.

الفئة الثالثة:

و تتكون من الفلاحين و استقرت على ضفتي واد مجردة مثل تستور و قلعة الأندلس، و المناطق الفلاحية مثل سليمان[2] .

و أكد **الشهاب الحجري** أن غالبية الموريسكيين، قد هاجروا إلى تونس:"... بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم لثمان مائة ألف مخلوق أكثرهم خرج بتونس..."[3] ، و تؤكد هذه الظاهرة استنادا على قول المقري :"... فخرجت ألوف... و جمهور خرج بتونس..."[4]

---

[1] محمد. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية و تونس، (تحقيق: محمد شمام)، تونس: المكتبة العتيقة 1967، ص 193.

[2] H. Husni Abdelwahab: « Coup d'oei général sur les apportes ethniques étrangers en Tunisie », in, Etudes sur les moriscos ... op. cit, pp. 16-20.

[3] الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 41.

[4] أحمد. المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. (نشر و تحقيق: احسان عباس). بيروت: دار صادر، 1988، ج4، ص 528.

و إلى جانب ذلك، فإن المصادر الإسبانية أوضحت أن تونس حظيت باستقبال أعداد كبيرة من النازحين الأندلسيين[1] .

و كل المعلومات تفيد بأن الموريسكيين الأندلسيين هم الذين أدخلوا صناعة الشاشية بتونس و احتكروا صناعتها[2] . و تشير الدراسات على أن السمة البارزة للوجود الموريسكي الأندلسي بتونس، هو الإنصراف عن شؤون السياسة، و اهتمامهم بنقل المظاهر الحضارية الأندلسية في شتى المجالات، من علوم و صناعات و زراعات[3] . في حين يورد **ميكال دي إيبالزا** أن الموريسكيين بتونس تميزوا بخصوصيات ثقافية و قضائية منفردة في العهد العثماني، و لعبوا دورا هاما في الإدارة العثمانية بإيالة تونس خلال القرن السابع عشر[4] .

3-2- مرور الموريسكيين بفرنسا و بعض الدول الأوروبية:

إن موضوع مرور الموريسكيين بفرنسا و نتائجه السياسية و الدينية و الاقتصادية، قد درسه عدد من المؤرخين و على رأسهم الأستاذ **كارديناك**، بشيء من التفصيل، مستعملا في ذلك عددا من الوثائق المحلية، بالإضافة إلى دراسة الموقف الفرنسي تجاه هذا الموضوع، وفقا للتوزيع الجغرافي للموريسكيين بفرنسا[5] ، فالقرار الإسباني الرامي بالسماح للموريسكيين بأخذ أبنائهم الذين لا يتجاوزون السابعة من العمر حيث توجهوا إلى الموانئ الأوروبية بمرسيليا و إيطاليا على وجه الخصوص، و قد شجع الموريسكيين المهاجرين، التوجه نحو الحدود الفرنسية.

---

(1) J. penella, op. cit, p. 83.

(2) ساهم أفراد الجالية الأندلسية في صنع الشاشية بتونس، و لكن لم يلعبوا الدور الكامل في مجال تجارة الصوف. أنظر:
- عبد الحكيم، القفصي:" الموريسكيون الأندلسيون و تجارة الصوف". الكراسات التونسية، العدد 155-156، 1991، ص 53 83.

(3) محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 136.

(4) M. de Epalza: « Recherches récents sur les émigrations des « moriscos » en Tunisie », in, cahiers de Tunisie, XVIII, N° 69-70, 1970, pp. 139-147 .

(5) L. Cardaillac, le passage des morisques en lanquedoc, thèse inédite, Montpelier, 1970, 282p.

و قد ذكر **لابير** :" مهما كانت الملابسات التي حفت بطرد الموريسكيين، فإننا نستغرب الكيفية التي تم بها استئجار السفن المتوجهة إلى البلاد المسيحية و على الخصوص منها مرسيليا"[1] ، و الذي يؤكد هذه الظاهرة أن الحسابات المالية للخزينة بمالاقا (Malaga) تؤكد مثلا على أهمية الإبحار في اتجاه مرسيليا[2] من ذلك أن 9000 أندلسي من ولاية خيان (Jaen) قد إكتروا سفنا بمالاقا قصد التوجه إلى ميناء مرسيليا[3] .

إن المعطيات التي يملكها الباحثون حول عدد المهاجرين الموريسكيين في اتجاه فرنسا، و على الخصوص نحو مرسيليا، تبقى مرتبطة بنوعية و أماكن الوثائق، و تجمع الدراسات على أن الإحصائيات المعروفة، تحوم حول الرقم التالي: ما بين 40.000 و 50.000 موريسكي توجهوا إلى فرنسا[4] .

كانت هناك إتصالات سرية و بعثات بين الموريسكيين، و الملك الفرنسي **هنري الرابع** (Henri IV) (1553-1610م)، قبيل عملية الطرد النهائي. و من جهة أخرى قام السلطان العثماني **أحمد الأول** بتوجيه رسالة إلى الملك الفرنسي، حثه على حسن معاملة المهاجرين الموريسكيين، كما وجه مبعوثا هو **الحاج إبراهيم** مرتين إلى فرنسا لحماية الموريسكيين، و الذين كانوا قد طلبوا من السلطات الفرنسية و بالتحديد من الملك **هنري الرابع**، السماح لهم بالمرور و الإقامة بالأراضي الفرنسية بمنطقة **لندو دوبيارن** (Lando De Bean) **و روبقو بيان** (Guyenne).[5]

و قد أظهر الملك **هنري الرابع** بادئ الأمر استعداده لمساعدة الموريسكيين و السماح باستقبال "الذين يقبلون اعتناق الدين المسيحي البابوي الروماني"[6] ، إلا أن تدفق الموريسكيين مع ما حمله ذلك من مآسي و ما أحدثه من كره الفرنسيين و الإدارة

---

(1) H. Lapyre, op. cit, p. 153.

(2) Ibid, p. 155.

(3) Idem.

(4) عبد الجليل التميمي:" مرور الموريسكيين بمرسيليا و ليفورنة و استانبول من خلال وثائق ايطالية جديدة". في كتاب دراسات في التاريخ الموريسكي ... المصدر السابق، ص 46.

(5) H. Lapyre, OP.Cit , P. 103.

(6) L.Cardaillac, les morisques ... op, cit, p92.

المحلية تجاههم، قد دفع الملك فجأة لتغيير موقفه و الإعلان على أنه ليس فقط ضد إقامة الموريسكيين بأراضيه، و لكنه ضد مرورهم بممالكه.

و قد تم اتخاذ هذا الموقف في نفس الوقت الذي لوحظ فيه تدفق الموريسكيين بمرسيليا و الذي استقبلت خلال مدة سبعة عشر يوما أكثر من 9,188 موريسكي[1] .

و وفقا لذلك وجه الملك بتاريخ شهر أبريل 1610م، أمرا إلى الولاة و الوكلاء الإقطاعيين يقضي بتجميع كل الموريسكيين الموجودين في مقاطعتهم، و الذهاب بهم فورا إلى الموانئ ليتم إبحارهم نحو أماكن أخرى[2] .

و قد وصلت أفراج هامة من الموريسكيين، الذين خرجوا من موانئ ليفوزن و أكد و مرسيليا إلى شواطئ كل من إيالة تونس و الجزائر، إلا أن وضعية الموريسكيين بفرنسا سوف تسوء كثيرا بعد حادث اغتيال الملك **هنري الرابع** عام 1610م بالإضافة إلى موقف إسبانيا من الحكومة الفرنسية. جعل العديد من الموريسكيين يتعرضون إلى المضايقات و سوء المعاملة، حيث اتهموا كجواسيس لإسبانيا و هذا هو السبب الذي من أجله، حوكموا بقسوة و صودرت أملاكهم.

و نشرت الأوامر بطردهم أينما حلوا، ليس فقط من طرف حكام المقاطعات الجنوبية الفرنسية، بل التعدي عليهم و نهبهم من قبل ربان السفن الذين تعهدوا بنقلهم[3].

إن سوء حظ الموريسكيين و غرق سفنهم و الارهاق النفسي و الجسمي الذي تحملوه، يضاف إلى ذلك سوء التغذية الذي لازمهم فترات طويلة، كان وراء انتشار بعض الأمراض و الأوبئة.

و هذا ما جعل المسؤولون بمرسيليا يتخذون القرارات عندما لاحظوا إكتظاظ مستشفياتهم، و كيف أن السكان أصبحوا يخشون انتشار الطاعون[4] .

---

(1) H. Lapyre, op. cit, p. 163

(2) Idem,

(3) M. Francisque, les morisques ... op. cit, pp. 154-158.

(4) L. Cardaillac, le passage ... op. cit, pp. 54-58.

و يمكن حصر الأسباب التي أدت إلى الاستقبال السيء للموريسكيين بمناطق الجنوب الفرنسي إلى ما يلي:

- تفشي الأمراض المعدية بين صفوف الموريسكيين.
- فقر أهالي المناطق التي نزل بها الموريسكيون.
- الوقاية من الأجانب.

و لعل الرسالة التي بعثها الموريسكي الغرناطي من مدينة الجزائر و التي وصلها عن طريق مرسليا، إلى صديقه بمنطقة **تخوليو** (Trujillo) في شهر جويلية 1611م، غنية عن التعبير عن الظروف الصعبة التي واجهها هؤلاء الموريسكيون[1] .

اتخذت السلطات المحلية بمرسيليا إجراءات للوقوف ضد التدفق الموريسكي، منها إكتراء السفن على حسابهم، ليتم تهجير الموريسكيين مجانا و خروجهم من مرسيليا.

و تمكن ممثلوا السلطات بمرسيليا على اقناع و تشجيع الموريسكيين بالتحول إلى ليفورنة، ذاكرين لهم مدى توفر الأمن و الطمأنينة مع توفير حرية التجارة خلال سنوات 1610 و 1611م. و لكن عندما توجه فريق من الموريسكيين من مرسيليا إلى ليفورنة، وجدوا أنفسهم في حالة مزرية، و هو الأمر الذي جعلهم يصرون على التوجه رأسا إلى إيالة الجزائر[2] .

و أول ما يسجل في هذا المجال، هو أن الموريسكيين الذي تحملوا أكبر المصائب، نتيجة طردهم التعسفي من الأندلس، قد عبروا عن رغبتهم في الإقامة في أي مكان يوفر لهم الأمن و الطمأنينة، و أنهم مستعدون للتحول إلى ليفورنة إذا ما تم استقبالهم عن طواعيه. و قد كانت مساعي ممثلي السلطات بمرسيليا تعمل على دعوة الأقلية الموريسكية، و الأغنياء منهم خاصة إلى الإقامة بليفورنة[3] .

و إستطاع مسؤولوا مرسيليا من التوجه إلى ميدنة طولون، لإقناع الموريسكيين

---

(1) L. Cardaillac, les morisques ... op. cit, pp. 89-102.

(2) عبد الجليل التميمي، مرور الموريسكيين ... المصدر السابق، ص 52.

(3) H. Lapyre, op. cit, p. 209.

بالتحول إلى ليفورنة من جديد، و هذا بتاريخ 21 جويلية 1610م، و قد اتصل هناك بثلاثين عائلة تتكون من 300 موريسكي، لكن المشروع ألغي بسبب عدم الاتفاق على ثمن الإبحار.

و هكذا فإن الموريسكيين اتخذوا مرسيليا كمحطة للعبور، و الذهاب إلى المناطق التابعة للدولة العثمانية كسلونيك و إسطامبول[1] ، كما تمكن حوالي 368 بلنسيا و 134 أندلسيا من الاستقرار بجنوة و ليفورنة و نيسيا (Vecchia)[2]

و من جهة أخرى سجل إجبار مجموعات أخرى من الموريسكيين على التحول إلى ليفورنة، و فعلا أجبر 77 شخصا أختيروا من مجموع 111 للإقلاع على ظهر سفينة فرنسية في اتجاه ليفورنة[3] ، أما وكيل **أكس أون بروفانس** (Aix en - Provence) **فرانسوا دوبومون** (F. de Beaumont) فقد هاجر في إتجاه روما و المغرب العربي 400 موريسكيا[4] .

و كان التحول إلى ليفورنة عملية غير منتظمة و صعبة المراقبة، و مع ذلك ذكر **جون بييون** (J. Pignon) :" وجب القيام بتحريات في أرشيفات **توسكانا** (Toscane) و خاصة بليفورنة لمعرفة المزيد حول مصير 3000 موريسكي الذين استجلبوا إليها و استقروا بضواحي ليفورنة لخدمة الأرض، و يكون من الغريب ألا نرى آخرين قد أقاموا بليفورنة و هو الميناء الحر، و فيه يتمتع الأجانب باستقبال جيد"، [5] و من جهة أخرى، فإن هناك معلومات كان قد قدمها سكرتير الدوك بمرسيليا السيد **بشيوليني** (Pesciolini)[6] عندما أكد في إحدى رسائله :" إن الموريسكيين اقتنعوا بكلام ممثل وصية الملك، و بالتحول إلى مرسيليا حيث وعدوا بحمايتهم و أمنهم و حريتهم،

---

[1] عبد الجليل التميمي، مرور ... المصدر السابق، ص 49.

[2] M. Ravillard, op. cit, T2, p. 159.

[3] H. Lapyre, op. cit, p. 152.

[4] Turbet delof, Guy: « Document sur la diaspora des morisques en France au XVIIè siècle », in II symposium international du C.I.E.M ... , op. cit, pp. 163-167 .

[5] J. Pignon: « une géographie de L'ESpagne morisque », in, Etudes sur les « moriscos »... op. cit, p.76.

[6] هو مستشار الدولة و رئيس المحققين بباريس، كلفته السلطات بالاشراف على عمليات طرد الموريسكيين.

و نفس المبعوث اقترح عليهم : الاعفاء عندما اختاروا البقاء بمرسيليا، و من تسديد ضريبة في **لقابيلا (Gabella)**[1] على التجارة، و هو الأمر الذي لم يقع مع بقية المقيمين الاجانب"[2] .

اهتمت السلطات العثمانية كثيرا بالدور الهولندي في تقديم الدعم إلى الموريسكيين أثناء طردهم النهائي من الأندلس، و تأمين نقلهم إلى أراضي الدولة العثمانية على السفن الهولندية، و هذا ما يترجم كيف أن الدولة العثمانية كانت ممتنة جدا إلى الأمة الهولندية و إلى أميرها **موريس (Maurice)** لهذا الموقف الإيجابي. إن هذا الحدث في غاية الدلالة التاريخية، حيث أن الحكومة الهولندية قد أمدت الموريسكيين الذين التجأوا إليها من فرنسا، بدعمها، و بتسهيل نقلهم على متن السفن الهولندية إلى أراضي الدولة العثمانية[3] .

3-3- إنتقال الموريسكيين إلى أراضي الدولة العثمانية.

اختار الموريسكيون الأثرياء اسطامبول عاصمة الدولة العثمانية، و التي تتمتع بهيبة كبيرة اعتبارا لتجسيمها السلطة المركزية الإسلامية، و هي بعيدة عن إسبانيا المسيحية، عدوتهم اللدودة، و بالإضافة إلى ذلك، فإن إسطامبول تمنح أكثر الضمانات و الأمن من أي عاصمة متوسطة أخرى، و في ضوء ذلك اختار الموريسكيون التحول إلى إسطامبول بعد وصولهم ميناء مرسيليا، و أقدموا على شراء سفينة أطلقوا عليها اسم لا بوبيدا **(Pueda)**، و حملوا على متنها بضائع قدرت بمبلغ350.000 إيكو. [4] و "هذه السفينة هي الآن على وشك الإقلاع في إتجاه القسطنطينية مع عدد من العائلات المرموقة بتاريخ 3 سبتمبر 1610"[5] .

ما هي خلفية العثمانيين في معالجتهم لمشاكل إستيطان و دمج الموريسكيين في أراضي الدولة العثمانية؟ يمدنا الفرمان العثماني حول إستيطان الموريسكيين بالأناضول

---

[1] هي ضريبة غير مباشرة على الملح.

[2] عبد الجليل، التميمي، مرور ... المصدر السابق، ص 61-62.

[3] عبد الجليل، التميمي، مناورات ... المصدر السابق، ص 682-683.

[4] عبد الجليل، التميمي، مرور ... المصدر السابق، ص 63.

[5] H. Lapyre, op. cit, p. 187.

و بشكل قاطع، موقف السلطان العثماني تجاه موضوع الموريسكيين الذين إستنجدوا به:" إن طائفة المدجل المدحنين عندما حلوا بالاعتاب السعيدة، طلبوا منا موطنا لهم في الممالك العثمانية، يتخذونه مقرا لسكناهم، و قد سمحنا لهم بذلك في حوالي أدنة و عزيز و سيس و طرسوس و قارس و حيث تجمعوا فيه لغرض الإقامة، على أن نقدم لهم المساعدة "[1] .

يشكل هذا الفرمان أحد الفصول الهامة حول إستيطان الموريسكيين بالأناضول، و يسمح بمعرفة أوضاع المهاجرين الأندلسيين و الذين التجأوا إلى القسم الشرقي للدولة العثمانية، و السؤال المطروح، هل السلطات العثمانية كانت وراء التخطيط الاستراتيجي، و الذي على ضوئه وجهت الموريسكيين إلى خليج الإسكندرون؟ أم أن هذا الأمر كان يترجم عن اختيار الموريسكيين أنفسهم للاستقرار في هذه المنطقة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة يجب سرد عدد من المعطيات لفهم حقيقة المنطقة جغرافيا، و ادراك الظروف التي عللت و حتمت هذا الاختيار.

كانت أدنة ابتداءا من سنة 1606م، ولاية عثمانية، و وضعها الجغرافي الممتاز، أهلها أن تكون رأس الجسر على الطريق الرئيسية الممتدة من الأناطول إلى الحرمين الشرفين[2] ، و المدينة تطل على الحدود بين الغربي و التركي، و كانت تشكل طوال القرن السادس عشر شبه دويلة، و في نفس الوقت ربطت أدنة إسطامبول بحلب، و كانت تضم سنجقين أحداهما بالشرق هو سيس، و الاخر طرسوس. كما كانت مدينة قارس مركزا إداريا، إلى جانب منطقة عزيز المحاذية لخليج الإسكندرون. و النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذه المناطق الخمسة التي توجه إليها الموريسكيون،

و الموجودة بخليج الإسكندرون، أنها مناطق وفرت عددا من الشروط التي

---

[1] وجه هذا الفرمان بتاريخ 1044 هـ/ 1613م. للمزيد من التفاصيل. راجع:

عبد الجليل. التميمي. السياسة العثمانية ... المصدر السابق. ص 24.

[2] R. Anhegger: « Adana », in, Encyclopédie de L'Islam, op. cit, T1, p.143 .

شجعت الموريسكيين على هذا الاختيار للاستيطان بها[1].

أولا: خصوبة المنطقة و وجود حركة تجارية، و أسواق عديدة، مع وفرة الإنتاج الزراعي.

ثانيا: إن هذه المناطق توفر لهؤلاء الموريسكيين أمنا دينيا، كانوا قد فقدوه بعد المحن التي عرفوها بالأندلس. و أصبح باستطاعتهم ممارسة الشعائر الدينية بكل حرية.

ثالثا: أن هذه المناطق يشرف على إدارتها بيلربايات تحت الإدارة العثمانية مباشرة، و هذا يعني بعدهم عن أي تدخل مسلح إسباني، مع العلم أن حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي كانت تحت سيطرة الأسطول العثماني[2] .

هاجرت جماعات موريسكية إلى مصر و الشام[3] ، و ظلت الجالية الأندلسية بمصر محافظة على تقاليدها، و الاعتزاز بنسبها الأندلسي، و مارست الكثير من الأنشطة، كالتجارة و الصناعة التقليدية[4] .

و أشار قنصل البندقية أن عددا كبيرا من اللاجئين الأندلسيين، يمتهنون الترجمة و الاستخبارات لفائدة الدولة العثمانية، و أنهم يؤمنون كل المراسلات التي كانت تتم مع الإيالات المغاربية، و هذا ما أكده **بروديل** :" أن عددا من الموريسكيين الهاربين، قد نجحوا في التحول إلى القسطنطينية، حيث عملوا هناك[5] ، و دخلوا في خدمة التركي كجنود، أو مترجمين أو مخبرين... إن هؤلاء الهاربين باتجاه تركيا، يصلون يوميا إلى البندقية ليتحولوا فيما بعد..."[6] .

---

(1) عبد الجليل، التميمي، السياسة العثمانية ... المصدر السابق، ص 17.

(2) المصدر نفسه، ص 17-18.

(3) محمد عبد الله، عنان، نهاية الأندلس، ص 401.

(4) عبد الرحيم عبد الرحمان، عبد الرحيم:" وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في مصر خلال الثلاثين سنة الماضية". في أعمال المؤتمر العالمي السادس للدراسات الموريسكية ... المصدر السابق، ص 43-52.

(5) F. Braudel, « Conflits et refus de civilisation, Espagnols et morisques au XVI siècle », in, Annales, E.S.C, 11, octobre - décembre, N°4, 1947, P.420.

(6) ذكر لابير، أن الأقلية الموريسكية الأرغوانية، هاجرت إلى منطقة سالونياك، و وصل عددها إلى 500 نسمة. كما توجد 600 موريسكي إشبيلي باسطامبول، راجع: H. Lapyre, op. cit, p. 208.

4- موقف فقهاء الإسلام من الهجرة الأندلسية:

تردد الأندلسيون في مسألة الهجرة أو البقاء في الأندلس، فعرضوا أمرهم على علماء المغرب قصد البث في الأمر، و سنعرض لمسألة فتاوي الهجرة من خلال ثلاث فتاوي، اثنتان منه **لأحمد الونشريسي**[1] و الأخيرة **لأحمد بن علي أبي جمعة المغراري الوهراني**[2] ، و كلاهما يسير في اتجاه معين.

4-1- فتوى الونشريسي:

- **الفتوى الأولى**[3] :

كتب **الونشريسي** هذه الفتوى قبل سقوط غرناطة، و ذلك سنة (890هـ -1484م) في شأن أندلسيين الذين هاجروا إلى المغرب، و لم ترق لهم ظروف العيش: " ندموا على الهجرة بعد حلولهم بدار الإسلام و سخطوا و زعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة و أنهم لم يجدوا بدار الإسلام التي هي دار المغرب ... بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش..."[4] و صرح آخرون منهم :" إن جاء صاحب قشتالة إلى هذه النواحي نسير إليه فنطلب منه أن يردنا إلى هناك..."[5]

و قد رَد **الونشريسي** على هذه المزاعم قائلا :"... أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة... و لا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية (الملك) لعنه الله على معاقلهم و بلادهم إلا تصور العجز

---

(1) هو أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي، نسبة إلى جبال الونشريسي بالجزائر، حامل لواء المذهب المالكي بالمغرب الاسلامي في القرن 10 هـ. للمزيد من التفاصيل حول ترجمة هذا الفقيه، راجع:

- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1375هـ/1955م، ج2، ص 326-327.

أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 118 126.

(2) هو أحمد بن أبي جمعة الوهراني، مفتي وهران، أصله من Almagro بإسبانيا. توفي ما بين سنتي (920 930هـ/ 1514 1524م). راجع:

J. Cantineau, op. cit, 5-7.

(3) مؤنس، حسين:" أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر، (دراسة و تحقيق لمخطوط الونشريسي مجلة الدراسات الاسلامية، العددان 1 2، المجلد 5، مدريد 1957، ص 129 147. و قارنها بتلك الواردة في المعيار.

- الونشريسي، المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوي أهل أفريقية و الأندلس و المغرب، (اشراف: محمد حجي)، بيروت: دار الغرب الاسلامي 1981، ج2، ص 119-133.

(4) المعيار، ج2، ص 119.

(5) المصدر نفسه، ص 120.

بكل وجه، و حال الوطن و المال، فإن ذلك كله ملغي في نظر الشرع، قال تعالى : " إلا المستضعفين من الرجال و النساء و الولدان لا يستطعون حيلة و لا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يغفر عنهم، و كان الله غفورا رحيما... و أما المستطيع بأي وجه كان و بأي حيلة تمكنت، فهو معذور و ظالم لنفسه إن قام..."[1]

كان الفقيه صارما حينما صرح في حقهم :" ما ذكرت عن هؤلاء المهاجرين من قبيح الكلام و سب دار الإسلام، و تمني الرجوع إلى دار الشرك و الأصنام و غير ذلك من الفواحش المنكرة، التي تصدر إلا من اللئام، يوجب لهم خزي الدنيا و الآخرة و ينزلهم أسوأ المنازل، و الواجب على من مكنه الله في الأرض و سيره لليسرى، أن يقبض على هؤلاء، و أن يرهقهم العقوبة الشديدة، و التنكيل المبرح ضربا و سجنا، حتى لا يتعدوا حدود الله، لأن فتنة هؤلاء أشد ضررا من فتنة الجوع و الخوف و نهب الأنفس و الأموال..."[2] .

هل كان على الموريسكيين أن يعلنوا تنصرهم و يخفوا إسلامهم؟ أو ماذا؟

فالنص الذي أجاب عن تساؤلات الموريسكيين، قد جعلت **الونشريسي** يستنتج أن هجرة هؤلاء كانت للدنيا، و ليست للدين، بينما الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام واجب شرعي.

و قد انتقد **حسين مؤنس** هذه الفتوى قائلا :" فهذا الشيخ الذي تصدى لإبداء الرأي في مصير المسلمين المتخلفين في الأندلس، لم يكلف نفسه، عندما جلس يكتب هذه الفتوى، عناء البحث عن أحوال من يفتي فيهم، و يتقصى أخبارهم، و يعرف الأسباب التي تضطرهم إلى البقاء في الأندلس، و تحول بينهم و بين الهجرة إلى المغرب"[3] .

---

[1] المعيار، ج2، ص 121-122.

[2] المعيار، ج2، ص 132.

[3] حسين، مؤنس، المقال السالف الذكر، ص 133 134.

و يضيف في مكان آخر :" و قد فاته **(الونشريسي)** أن ضعاف الناس أكثر من الأقوياء، و أن العاجزين عن الرحلة و الهجرة هم الغالبية العظمى... لقد كان لفتوى **الونشريسي** و أمثالها أسوأ الأثر على مصير الجماعات الإسلامية الباقية في الأندلس، فقد حكم عليها بالكفر و هي مقيمة في الجحيم الذي كانت تعانيه..."[1]

في عصر **الونشريسي** بدأ الإسبان ينصرون المسلمين بطريقة قسرية. و بدأت محاكم التفتيش في ممارسة كل وسائل التعذيب، و تقتيل من أصر على دين الإسلام، و رفضه التنصر. مما جعل الونشريسي يصيب في فتواه.

و بالرغم من انتقاذ **حسين مؤنس** للفقيه، و اتهامه بقصر نظره في إصدار حكم قاسي على مسلمي الأندلس، و أنه لم يكن في موقع تقصي الحقائق لإصدار حكم شرعي بخصوص هجرة الأندلسين.إلى أرض الأندلس بعد حركة الاسترداد أصبحت دار كفر و حرب، و خاصة ان المسلمين كانوا يمنعون من تأدية شعائر دينهم علانية، مثلما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة في أوائل الإسلام.[2]

- الفتوى الثانية:

وجه **الونشريسي** الفتوى الثانية سنة (901هـ -1495م)، في شأن أحد الأندلسي، الذي أراد البقاء في الأندلس، لمؤازرة إخوانه المسليمن لدى السلطات الإسبانية :" يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يتعرض لهم من نوائب الدهر، و يخاصم عنهم، و يخلص كثيرا منهم من ورطات عظيمة بحيث يعبر عن تعاطي ذلك عنهم ... و بحيث يلحقهم في فقده ضرر كبير إن فقدوه..."[3]. و قد رفض الفقيه هذه المبادرة الدفاعية :" لأن مساكنة الكفار من غير أهل الذمة ... لا تجوز و لا تباح، لما تنتجه من الأدناس و الأوصار، و المفاسد الدينية و الدنيوية..."[4] .

لقد بين **الونشريسي** من خلال فتواه صعوبة القيام بشعائر الإسلام قائلا :" ...

---

[1] حسين، مرنس، المقال السالف الذكر، ص 144-147.

[2] محمد، بن عبد الكريم، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، (دراسة و تحقيق)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981م، ص9.

[3] المعيار ، ج2، ص 137.

[4] المعيار، ج2، ص 138.

فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع القواعد الإسلامية الشريفة..."[1] و من هنا يتضح لنا أن **الونشريسي**، أكد على مبدأ وجوب الهجرة لارتباطها بالعقيدة الصحيحة. و الظاهر أن الفقيه لم يتصور حدوث هذه الظاهرة الدفاعية في وسط بيئة مسيحية معادية، لم يسبق له مثيل و لم يتفهم أوضاعها الجديدة.

4-2- فتوى المغراوي:[2]

بعث مفتي وهران **أبي جمعة المغراوي**، فتوى إلى مسلمي غرناطة، الذين فرض عليهم التنصير الإجباري و منعوا من تأدية شعائر الإسلام، حيث شملت فتواه خطابا شاملا لقواعد الإسلام و فيه تشجيع صريح للموريسكيين على التمسك بأركان الإسلام، و العمل بها :"... إخواننا القابضين على دينهم كالقابض على الجمر، ممن أجزل الله ثوابهم... و صبروا النفوس و الأولاد في مرضاته ... و أرثوا سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق، و إن بلغت النفوس التراق..."[3] .

و عليه فإن **المغراوي** دعى الأندلسيين إلى استعمال الإسلام الخفي في إطار مبدأ التقية، لأن الله عز و جل سمح للمؤمنين بذلك، و قدم **المغراوي** من أجل ذلك حلولا، تساعد الموريسكيين على ممارسة شعائر الإسلام خفية من النصارى :"...

---

[1] المعيار، ج2، ص 139.

[2] نشرت هذه الفتوى في الدراسات التالية:

محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 342 344.

بدرو، لونقا، المصدر السابق، ص 198.

J. cantineau, op. cit,pp. 1-17.

[3] محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 343.

و إن أكرهوكم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم، فأحرموا بالنية، و أنووا صلاتكم المشروعة، و أشيرو لما يشيرون من صنم و مقصودكم الله... و إن أجبروكم على شرب الخمر فإشربوه لا بنية استعماله... و كذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم..."[1] .

وأثارت **ليلى الصباغ** في بحثها عن فتوى المغراوي إلى ثلاث نقاط هامة:

- لاحظت وجود عدة ثغرات في الفتوى التي حللت و حققت أربع مرات، عند ترجمتها إلى اللغتين الإنجليزية و الفرنسية، فجل التعابير المستعملة لم توضح مدى عمق تمسك الموريسكيين بدينهم.
- لم يقارن الباحثون بدقة بين النسخ الثلاث للفتوى، و أن هناك اختلافات بين النسخة العربية و نسختي الالخميادو.
- وجود هفوات في الترجمة التي تعرضت لها الفتوى[2] .

لقد جاءت فتوى **المغراوي** مدعمة لبقاء الأندلسيين الضعاف بأرضهم و التمسك بدينهم على الطريقة الموريسكية، و المتمثلة في اعتناق المسيحية ظاهرا و بالإسلام باطنا. فإبطان الإسلام في القلب قد لا تتفق مع ما ذهب إليه الونشريسي في فتاويه الصادرة بخصوص مسألة الهجرة.

و الحقيقة أن **المغراوي** تساهل مع مسلمي الأندلس، انتظارا للفرج، و قد أوضح في فتواه أن المسلمين يعيشون غرباء في أرض الأندلس[3] .

---

(1) محمد عبد الله. عنان. نهاية الأندلس. ص 343.

(2) L. Sabbagh: « la religion des morisques entre deux Fatwas », in les morisques et leur ... op. cit,pp. 45-50 .

(3) الغرباء في قاموس اللغة العربية تعني الأباعد. و تعني المنفيين الذين يشعرون بالغربة في مجتمع مغاير لهم. و هذا الوصف ينطبق على الأندلسيين بعد سقوط غرناطة. أما تسمية الغرباء فهي تسمية أطلقها الموريسكيون على أنفسهم أثناء نداء الاستغاثة الموجه إلى السلطان سليمان القانوني في عام 1541م. كما أطلقها عليهم الفقيه الوهراني أبي جمعة. تنزيها لهم عن اسم الموريسكيين.

و عليه فإننا نلاحظ عدم تعارض جوهر كلا الفتوتين من حيث المبدأ الفقهي، بحيث جاءت فتوى **المغراوي** مكملة و متممة لفتوى **الونشريسي**. **فالمغراوي** قدم حلولا كي يتأقلم الموريسكيون مع المجتمع المسيحي، بينما أباح **الونشريسي** للمستضعفين البقاء المؤقت، و استعمال التقية (الإسلام الخفي)[1] .

و يذهب أحد الباحثين إلى مخالفة رأي المؤرخة السورية **ليلى الصباغ**، في تفسيرها لفتاوي الفقهاء، بخصوص الذين مكثوا بإسبانيا (المستضعفين)، ذلك أن الموريسكيين ظلوا أقوياء بفضل تنظيماتهم الجديدة في إطار الجماعات (Aljamas)، تحت زعامة و تأطير فقهائهم، و اتصالاتهم المتكررة مع من تعاطف بخصوص قضيتهم، و هذا ما تؤكده وثائق محاكم التفتيش[2] .

إن المساجد و الفقهاء كانت بمثابة أعمدة الحياة الدينية في المجتمع الموريسكي، بحيث أصبحت العبادات تمارس سرا داخل البيوت، و بالرغم من المضايقات و المتابعات التي كانت تقوم بها أجهزة محاكم التفتيش، فإن الفقهاء ظلوا يؤطرون الموريسكيين و يلقنونهم تعاليم الإسلام، و يحثونهم على التمسك بالعقيدة الإسلامية و عدم الرضوخ لتعاليم النصرانية.

و قد توبع الموريسكيون من طرف رجال الكنيسة و محاكم التفتيش، على الصوم و الوضوء و الصلاة و الزكاة، بل و الحج أيضا. و كان الموريسكي الأندلسي متمسكا بعبادته إلى أقصى حد ممكن، و هو في السجن و تحت وطأة التعذيب، و هو ذاهب إلى الحرق.

و سيتحول هذا الشعور إلى حقد المسيحيين على الموريسكيين، و يتطور بشكل سريع لينتقل من حقد ديني إلى حقد عام و شامل لجميع التقاليد و العادات الموريسكية، حيث أصبحت هذه المظاهر الدينية علامة على اتباع الموريسكيين للدين الإسلامي و التمسك به[3] .

---

(1) L. Sabbagh, op. cit, p.53.

(2) محمد رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 151.

(3) J (F),Guérin, la femme morisque ..., op. cit, pp. 133-136.

كانت مقاومة الموريسكيين تجري في ظل معطيات محددة، فقد كانوا على اتصال بالمغرب العربي و بالعثمانيين و بالفرنسيين، من أجل تنفيذ مخططاتهم.

و لنا أن نتساءل : ما أثمرت هذه الاتصالات؟ لم تؤد هذه الإتصالات إلى ما كان يرجوه الموريسكيون لكنها على الأقل، كانت تجعل الموريسكيين يقتنعون بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان، بل هناك من يهتم بقضيتهم، و بالتالي فقد جعلهم هذا الموقف يواصلون جهادهم و هم على ثقة، كما تدل ذلك مخطوطاتهم الالخمیادية.

تلك كانت تجربة الأندلسيين حملواها إلى المغرب الأوسط، ليضيفوا إليها تجربة أخرى أحرزها تعاملهم مع مجتمع المغرب الأوسط (الجزائر)، و ذلك ما سنراه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

و في ختام هذا الفصل يمكننا أن نخرج بالاستنتاجات التالية:

- أصبحت الآثار الاقتصادية و الديمغرافية الناجمة عن قرارات الطرد مشاهدة للعيان، تعترف بها السلطات الإسبانية نفسها.
- تطور موقف الدولة العثمانية و إيجابيته تجاه المشكل الموريسكي الأندلسي، حيث ترجم ذلك من خلال مساعي و وساطة السلاطين العثمانيين لدى ملوك أوروبا و حكام الإيالات المغاربية، بحيث صدرت عدة فرمانات عكست مدى إهتمام الباب العالي بالقضية الموريسكية.
- اختلاف ظروف استقبال الموريسكيين من طرف سكان المناطق المهاجر إليها، حيث لم تكن ظروف عبورهم بالمناطق الأوروبية مواتية، بل تعرضوا إلى السلب و النهب و الغرق.
- دور فقهاء الإسلام في الاهتمام بالمأساة الأندلسية و اصدار فتاوي بخصوص حكم الهجرة من الأندلس، في اطار الظروف الصعبة التي عاشها المسلمون هناك.

الفصل الثالث

الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط

1- الهجرة إلى المغرب الأوسط قبل سقوط غرناطة 1492م

2- الهجرة إلى المغرب الأوسط ما بين (1492م – 1609م)

3- الهجرة الأخيرة (1609–1614م)

4- هجرة يهود شبه الجزيرة الإ يبرية إلى المغرب الأوسط

توالت الهجرات الأندلسية إلى المغرب الوسط خلال فترات متعددة، يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مراحل كبرى:

1- مرحلة ما قبل سقوط غرناطة 1492م، و كانت الهجرة الأندلسية خلال هذه المرحلة فردية و جماعية، ضمنت نزوح أفراد النخبة الأندلسية من أعيان و علماء، و تجار و حرفيين و وزراء و مستشارين.

2- مرحلة ما بعد سقوط غرناطة إلى غاية صدور قرار طرد الأندلسيين سنة 1609م، و خلالها تقاطرت أعداد كبيرة من الأندلسيين إلى مختلف المراكز الساحلية الجزائرية و لعبت إيالة الجزائر في هذه المرحلة الدور الإيجابي في عمليات الإنقاذ كما كان لأفراد الجالية الأندلسية في هذه الفترة دور هام في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر.

3- المرحلة الأخيرة من الهجرة (1609 - 1614م)، و التي تميزت بنزوح الموريسكيين الأندلسيين، حيث توافدوا على السواحل الغربية الجزائرية.

و تطرقنا في نهاية الفصل إلى هجرة يهود شبه الجزيرة الايبرية إلى المغرب الأوسط، و تحدثنا عن دورهم السياسي و الإقتصادي في تنظيم الطائفة اليهودية بالجزائر و تأطيرها سياسيا و دينيا.

الفصل الثالث

الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط

عرف المغرب الأوسط نزوح الأندلسيين على ثلاث مراحل[1] تميزت كل مرحلة بأحداثها التاريخية، كما ارتبطت معظم هذه الهجرات بظروف سياسية و اقتصادية و اجتماعية، حددتها طبيعة الهجرة و التي كانت لها آثار على منطقة المغرب الأوسط.

1- الهجرة إلى المغرب الأوسط قبل سقوط غرناطة 1492م.

إن العلاقة بين العدوتين[2] في العصر الإسلامي تبتدئ مع الفتح الإسلامي الأندلسي، و تستمر إلى غاية سقوط غرناطة (1492م). و الموقع الجغرافي للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، و ظروفها السياسية و المذهبية، أدى إلى تقارب ودي، عسكري و سياسي و اقتصادي بين بني رستم في تاهرت و بين أمية في الأندلس[3] .

و قد استفادت حكومة قرطبة بكل ما تحتاجه من المقاتلين من فرسان زناتة بالمغرب الأوسط، حيث لم تتردد حكومة تاهرت في إمداد الأندلس بهؤلاء المحاربين بصورة مستمرة.

---

[1] حول موضوع مراحل التواجد الأندلسي بالمغرب الأوسط، راجع الدراسات التالية:

_ ناصر الدين، سعيدوني: "الأندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر"، **حوليات جامعة** الجزائر، العدد 7، الجزائر 1993، ص 107-129.

و لنفس المؤلف،

"صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر"، المجلة العربية، العدد 27، المنظمة العربية و الثقافة و العلوم، سبتمبر 1994، ص222-236.

و هناك رسالة ماجستير غير منشورة باللغة التركية من جامعة أنقرة، يتناول صاحبها موقف الدولة العثمانية من استقرار الجالية الأندلسية بالجزائر.

انظر :

- Chakib, Benafri, ENDULÜS'TE SON MÜSULÜMAN Kalintisi MORISKO' LARIN CEZYIR' E Göçü Ue Osmanli YARDI M (1492-1614), Ankara, 1989, pp, 84 - 124.

[2] أطلق المؤرخون على المغرب و الأندلس إسم "العدوة" لسهولة الإتصال بينهما، فالساحل المغربي يكاد يتصل اتصالا مباشرا بالساحل الأندلسي عند مضيق جبل طارق.

[3] استمرت العلاقات السياسية بين الإمارتين، الرستمية و الأموية أكثر من قرن و نصف (144-296هـ/761-909م).

و استفاد الرستميون من جراء هذه الخدمات بالخبراء الأندلسيين حتى أصبحوا أعضاء بارزين في مجلس الشورى الاباضي التاهرتي و اشتهر من بين هؤلاء الوافدين الأندلسيين **عمران بن مروان** الأندلسي **و مسعود** الأندلسي و اللذين كانا من بين السبعة أشخاص الذين رشحهم الإمام **عبد الرحمن رستم** لإمامة الإباضية في تاهرت قبل وفاته[1] .

و قد ساهم الرستميون في مد أمويو الأندلس بما يحتاجونه في إطار العلاقات الإقتصادية الثنائية، و شكلت التجارة عصب الحياة الإقتصادية بين تاهرت و قرطبة و تعدت العلاقات الأموية-الرستمية إطار التعاون السياسي إلى الميدان التجاري. فكانت السفن التجارية تتردد بين موانئ المغرب الأوسط و موانئ الأندلس مثل "ميناء فروج"[2] و مرسى الجزيرة الخضراء، و شاطبة، محملة بالتجار و بالعلماء و المسافرين.

و يبدو أن مشاركة الأندلسيين خلال هذه المرحلة كانت واسعة، حيث قام البحريون الأندلسيون بإنشاء المدن و الثغور على طول ساحل المغرب الأوسط، و شكلوا جماعات هامة من سكانه. و كان بين هؤلاء من يسكن مرسى الحجاج، و مدينة تنس، حيث ذكر **البكري** أن البحريين من أهل الأندلس قد ساهموا في تشييد و بناء تنس سنة (262هـ/875م)، وكان من بين مؤسسيها **الكركرني** و **أبو عائشة**، و هم من أهل البيرة، و أهل تدمير [3] الأندلسية، و إن إقامة هؤلاء في تنس[4] لدليل على أنهم لعبوا دورا رئيسيا في عمليات التبادل التجاري بين المغرب الأوسط و الأندلس.

---

(1) أبو العباس أحمد بن سعيد. الدرجيني. طبقات المشايخ بالمغرب (تحقيق: ابراهيم طلاي). قسنطينة 1974. ج 1. ص46.

(2) كان مرسى فروج الجزائري. الميناء الوحيد و الرئيسي الذي ينفذ منه بنو رستم. و يقع في غرب الجزائر ما بين مدينتي مستغانم و أرزيو. و يسمى حاليا مرسى الدجاج.

(3) البكري. المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب (نشره دي سلان). باريس 1965. ص61.

و قارن عند: ابن حقل. صورة الأرض. بيروت: مكتبة الحياة. بدون تاريخ. ص78.

(4) يذكر صاحب كاتب الإستبصار. أن مدينة تنس كانت كثيرة الزرع و منها يحمل الطعام إلى الأندلس. انظر:

مؤلف مجهول. الإستبصار في عجائب الأمصار (تحقيق و تعليق: د. عبد الحميد زغلول). الدار البيضاء. 1985. ص 133.

و كانت مساهمة الأندلسيين واسعة في مدينة تاهرت، حتى أطلق إسم الأندلس على أحد أبواب المدينة، و في هذا الصدد يذكر **ابن حوقل** أن مدينة وهران فرضة الأندلس عليها ترد السلع و منها يحملون الغلال"[1] .

و بايعاز من قرطبة جدد تعمير مدينة وهران سنة (290هـ/903م) من طرف أندلسيين هما: **محمد بن أبي عون** و **محمد بن عبدون**، و جماعة من بحارة الأندلس الذين كانوا يترددون على مرسى وهران و ذلك بمساعدة العشائر المحلية القريبة منها كنفزة و مسغن من ازداجة[2] .

و هناك ثلاث عوامل دفت الجالية الأندلسية لتجديد و تعمير مدينة وهران:

- **عامل طبيعي:** توفر المدينة على مرفأ طبيعي هام يجعل السفن بمنأى عن العواصف، و يساعد على رسوها، زيادة على توفر المدينة على سهول واسعة خصبة مع وفرة المياه العذبة بها، و ذلك ما أكده **الإدريسي** قائلا: "...و شرب أهلها من واد يجري إليها من البر، و عليه بساتين و جنات، و بها فواكه ممكنة، و أهلها في خصب و العسل بها موجود..."[3] .

- **عامل تجاري:** كانت الجالية الأندلسية ترمي بهذا العمل إلى ضمان منفذ تجري للبضائع الأندلسية داخل المغرب الأوسط و بلاد السودان و كذلك تصدير بضائع المنطقة إلى الأندلس، و يقول **الإدريسي** في هذا الصدد: "... و بها (وهران) أسواق مقدرة و بضائع كثيرة و تجارة نافقة، و هي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس و سعة البحر بينهما مجريان... و مراكب الأندلس إليها مختلفة"[4] .

- **عامل سياسي:** كانت الخلافة الأموية بالأندلس ترمي من وراء ذلك إلى جعل وهران قاعدة (أندلسية) ضد الفاطميين، و ضد الثائرين عليها من أدارسة المغرب، و ذلك عن طريق بث دعاتها من قبائل مغراوة القاطنة بالمنطقة.

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.

[2] قبيلة مسغن أو مسكين، بطن من قبيلة ازداجة التي كانت تسكن منطقة وهران. انظر:
- البكري، المصدر السابق، ص 70.

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق (الجزء الخاص بالقارة الإفريقية و جزيرة الأندلس)، (تحقيق و تقديم و تعليق: إسماعيل العربي)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1983، ص 153.

[4] نفسه.

لنا ان نتساءل: كيف كان سلوك الأندلسيين بالمنطقة؟

نورد في البداية نصا **للحسن الوزان** و هو يحمل بعض الأجوبة على هذا التساؤل إذ يقول: "...و كان الوهرانيون دائما أعداء لملك تلمسان، لم يقبلوا قط وال من ولايته، ما عدا أمينا للمال و قابضا يستلم مداخيل الميناء، و كانوا ينتخبون رئيس مجلس ينظر في القضايا المدنية و الجنائية، كما كان التجار فيما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية و أخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، و يجتاحون سواحل قطونية و جزر يابسة و منورقة و ميورقة، حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين"[1] .

نلاحظ أولا أن المؤلف لم ينص صراحة على أنهم أندلسيون، و لكن القرائن تدل بالفعل على أنهم أندلسيون، ذلك أن أفراد الجالية الأندلسية ظلت تتقاطر باستمرار على المنطقة، كما تؤكده ذلك المصادر التاريخية المعاصرة، ثم أن هذا التصرف من قبل الوهرانيين هو في الحقيقة موقف جديد، و هو يشبه إلى حد قريب تصرف أندلسي المغرب عندما استقروا بالرباط و القصبة[2] ، مما يجعلنا نميل إلى التأكد بأنهم أندلسيون، أو على الأقل كانوا مسيرين من طرف أندلسيين، فهم في الحقيقة كونوا شبه جمهورية صغيرة مستقلة بالمنطقة تمارس جزءا كبيرا من سيادتها.

و هذا يعني بكل وضوح أن الجالية الأندلسية خلال هذه الفترة كانت تشعر بشخصيتها المتميزة، و بالتالي فإن تصرفها كان ينبثق من واقعها بكل مكوناته النفسية و الخلقية[3] .

---

[1] الحسن بن محمد، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 3.

[2] محمد، رزوق، الأندلسيون ... المصدر السابق، ص 112-117.

[3] محمد، رزوق: "الجالية الأندلسية بالمغرب العربي: تونس و الجزائر"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 43-44، تونس، نوفمبر 1986، ص 132.

و لم تكن مدينة وهران الوحيدة التي جدد تعمريها من طرف الأندلسيين فقد شيدوا المسيلة في أوائل القرن الرابع الهجري[1]، و إلى أرزيو التي اشتهرت بتجارها الأندلسيين الذين كانوا يصدرون ملح سباخها إلى الأندلس[2] .

ارتبطت الهجرة الأندلسية خلال هذه المرحلة مع بداية تراجع المد الإسلامي بالأندلس، و سقوط الحواضر الكبرى بيد النصارى الإسبان مثل طليطلة (478هـ/1085م)، و سرقسطة (512هـ/1118م). و مع انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب (Las navas de Taloza) سنة (609هـ/1212م)، بدأت الحواضر الأندلسية الكبرى تتساقط تدريجيا كقرطبة (633هـ/1236م)، و بلنسية (634هـ/1238م)، و مرسية و جيان و إشبيلية (646هـ/1248م).

إن المتأمل في الخريطة السياسية لمراحل الإسترداد المسيحي في شبه الجزيرة الإيبرية، يلاحظ دون شك أن انحسار المد الإسلامي بالأندلس أصبح حقيقة و مؤشرا للقضاء النهائي على الحضور العربي الإسلامي بالمنطقة[3].

و أمام هذه الأحداث المفجعة، نزحت جاليات[4] أندلسية إلى بلاد المغرب، و وجدت في المغرب الأوسط مكانا مناسبا، فاستقرت في المراكز الساحلية مثل هنين و وهران و أرزيو و مستغانم و تنس و الجزائر و دلس و عنابة، بينما فضلت أعداد أخرى الإستقرار ببجاية و تلمسان لمكانتها العمرانية، حيث أصبحت المدينتين عاصمتين للإشعاع العلمي و الحضاري بالإضافة إلى نشاطها التجاري في المغرب الأوسط.

و أثناء هذه الفترة التاريخية الحاسمة، كان المغرب الأوسط ملجأ هاما و محطة

---

(1) ابن خطيب. أعمال الأعلام (تحقيق و تعليق: د. أحمد مختار العبادي و أ. محمد بن إبراهيم الكتاني)، في كتاب تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط. الدار البيضاء: دار الكتاب. 1964. القسم الثالث. ص66.

(2) محمد. رزوق. الجالية الأندلسية... المقال السالف الذكر. ص 133.

(3) انظر: خريطة مراحل الإسترداد المسيحي في الأندلس في ملحق الدراسة.

(4) يلاحظ استعمال كلمة جالية أندلسية. حيث لم يكن القدوم الأندلسي إلى شمال إفريقيا فرديا بل كان جماعيا خلال هذه الفترة. و تواصلت الهجرة الأندلسية الجماعية. بتحدد المكبات.

انتقال المهاجرين الأندلسيين، بحيث لم تستطع المملكة الزيانية[1] من توفير المجال الجغرافي لحماية الشرق الجزائري و الذي كان تحت النفوذ الحفصي، و اكتفت بالجزء الغربي من البلاد كقاعدة لها (تلمسان).

لنا أن نتساءل عن أسباب اختيار أهل الأندلس مدينتي بجاية الحفصية و تلمسان الزيانية؟ كان لهذا الإختيار عدة اعتبارات، منها أن بجاية تحتل موقعا جغرافيا ممتازا إلى جانب اعتدال مناخها و خصوبة أرضها، و كانت مرفأ للسفن القادمة من المدن الأندلسية كالمرية و قرطاجنة و بلنسية.

و قد اعتبر الأندلسيون مدينة بجاية نقطة عبور نحو تونس و بلاد المشرق بالإضافة إلى كون بجاية مركز إشعاع حضاري و قاعدة للحكم خلال فترة الحماديين و الموحدين و الحفصيين.

و قد حظيت العناصر الأندلسية بمكانة رفيعة لدى البلاد الحفصي ببجاية، و هذا منذ عهد المستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م)، حيث تقلد الأندلسيون مناصب حساسة في الدولة، كتولي الوزارة و الحجابة و الوظائف العليا في البلاد إلى جانب القيام بمهام التدريس و التعليم. و اشتهر منهم أبو **يعلى الأندلسي** و **محمد بن أبي بكر الإشبيلي**، كما أسند **أبو عبد الله الحفصي** حجابة بجاية للأخوين، **يحيى بن خلدون** (765هـ)، ثم عبد الرحمن بن خلدون (766هـ)[2] .

كان أفراد الجالية الأندلسية يطمحون إلى الوصول إلى مناصب قيادية، بحيث دخلوا في إتصالات مع بلاطات المغرب العربي إما عن طريق الوسطاء أو بصفة مباشرة. و تتميز هذه المرحلة بالإضطرابات السياسية، فكان لزاما على أمراء المنطقة الاسترشاد بذوي الرأي و المشورة. و لم يستغن حكام المغرب بالمشورة الأندلسية، لما عرفت به من نفاذ البصيرة في شؤون الحكم و السياسة.

و مما يلاحظ أثناء هذه المرحلة، أن الأندلسيين مارسوا السياسة من موقع قوة،

---

(1) تأسست الإمارة الزيانية حوالي سنة (633هـ 1235م). و انتهت بالفتح العثماني لتلمسان سنة (962هـ 1554م). و عرفت باسم دولة **بني** عبد الواد. إلى أن استولى عليها المرينيون. و دخلوا عاصمتها تلمسان سنة (738هـ 1337م). و بعد فتح البلاد من طرف السلطان **أبي حمو** الثاني. سميت الدولة باسم ولده زيان. فعرفت (بالدولة الزيانية).

(2) ناصر الدين. سعيدوني. صورة...المقال السالف الذكر. ص 225.

إما كوزراء و حجاب و مستشارين، و قد حقق بعضهم نجاحات باهرة و عبروا بذلك عن كفاءتهم و قدراتهم.

كما برع الأندلسيون في ميدان التجارة أكثر من غيرهم بالمغرب الأوسط، إذ أن خبرتهم بالبلاد المسيحية كانت تؤلهم بأن يلعبوا الدور الحاسم فيها. و مما يدل على أن الميدان التجاري هيمن عليه الأندلسيون ما ذكر في بعض المصادر من أن هؤلاء كانوا "منظمين" في إطار جمعات، ففي إشارة **للغبريني** يوضح **فيها**: "أن **أبا بكر محمد بن محرز** (655هـ/1257م)، كان على رأس الجماعة الأندلسية ببجاية"[1]. و لا شك أن نجاحها يرجع إلى تنظيماتها، و هي تنظيمات سبق أن تعودوا عليها و هم بالأندلس.

و إلى جانب الدراية الأندلسية بشؤون الحكم و التجارة. فقد عرف علماء الأندلس ببجاية الحفصية بأنهم كانوا موسوعي الثقافة، متنوعي الاختصاصات، حيث اشتهروا بالتأليف في مختلف التصانيف و المعارف. و قد أحصى المؤرخ الجزائري **سعيدوني** حوالي خمسين عالما أندلسيا استقر ببجاية أو كان مقيما بها زمنا قبل انتقاله إلى تونس أو بلاد المشرق العربي[2] .

و قد ارتفعت مكانة الأندلسيين في شتى أمور المجتمع البجائي دينيا و وظيفيا و تعليميا، حتى أصبح علماء الأندلس مثالا للقدرة نظرا لمكانتهم العلمية و الأدبية التي امتازوا بها في ظل احترام الحكام لهم آنذاك، مثل **ابن محرز البلنسي** (ت 685هـ) و **أبي الحسن علي بن محمد الأنصاري الإشبيلي** (ت 685هـ)، و **أبي بكر بن سيد الناس** (ت 659هـ)[3] . و كان **ابن محرز** على رأس الجماعة الأندلسية ببجاية، يجتمعون بمنزله فكان منهم: "**أبو عبد الله ابن الأبار** و **أبو بكر بن سيد الناس** و **أبو عبد الله الجنان**[4] . كما دخل **أبو عبد الله محمد بن علي** الشهير **بمجبي الدين بن عربي** (ت 642هـ) و استقر هذا المتصوف الأندلسي ببجاية منذ عام 597هـ، و له

---

(1) أحمد أبو العباس، الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء السابعة ببجاية (تحقيق: رابح بونعار)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1981، ص 287.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، صورة...المقال السالف الذكر، ص 227-230.

(3) حول الهجرة علماء الأندلس إلى الجزائر الحفصية، انظر: محمد، الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1983، ص 177-212.

(4) المصدر نفسه، ص 184-186.

تآليف كثيرة كلها في علم التصوف[1]. و من الأندلسيين من استوطن جزائر بني مزغنة "**كأبي الحسن علي محمد بن شعيب الأشولي**" كان نحويا لغويا أديبا حافظا و "**أحمد بني عبد الله بن خميس بن مروان**" البلنسي" الفقيه الأديب الذي توفي بالجزائر سنة (547هـ)[2].

أما تلمسان فهي أصبحت أيضا مقصدا المهاجرين الأندلسيين إثر انقسام دولة الموحدين و انكماش دولة بين الأحمر بغرناطة. و قد اتبع الملوك الزيانيون سياسة حسن الجوار إزاء حكام الأندلس ليتصدوا للأطماع الحفصية و الغارات المرينية، و هذا ما شجع السلطان **النصري أبي عبد الله محمد الخامس** ملك غرناطة على إرسال وفد إلى تلمسان سنة (763هـ/1361م) يطلب فيه العون و المدد من السلطان الزياني **أبي حمو موسى الثاني** (760هـ/1359م). و كان على رأس هذا الوفد الكاتب **ابراهيم بن الحاج**، الذي نجح في مهمته و تحصل من السلطان الزياني على خمسين ألف قدح من الزرع، و ثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن و شحنها إلى الأندلس[3]، كما استدعى الأمير الزياني **أبي حمو يحي بن خلدون**، بسبب المشاكل السياسية التي واجتها الإمارة، من جراء الفتن التي أحدثتها المنطقة الشرقية من البلاد، كثورة ابن عم الأمير **أبي زيان بن السلطان أبي سعيد الثاني**. فكان القضاء على منافسه هذا يتطلب الحصول على مساعدة عرب رياح و خاصة قبيلة الدواودة من عرب رياح.

و فعلا فقد أرسل الأمير الزياني خادمه **يحي بن خلدون** للتفاوض، و نجح هذا الأخير في مهمته، فكان ذلك أحسن الوقع في نفس السلطان الزياني الذي عينه كاتبا له، و قربه إليه و جعله من مستشاريه و عندئذ طاب المقام ليحي بتلمسان و استقربها[4].

و بنزوح الأندلسيين إلى تلمسان، أضحت معهدا للتدريس، حيث توافدت إليها شخصيات أدبية و علمية، منها **محمد بن أبي يوسف الثغري** و الشاعران **محمد بن**

---

(1) المصدر نفسه، ص 181 182.

(2) المصدر نفسه، ص 206 207.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1984، ص 129.

(4) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (تحقيق: د. عبد الحميد حاجيات)، الجزائر 1980، ج1، ص 31 35.

علي بن قاسم المرسى و **أبا البركات محمد بن الحاج البلفيقي**[1] . كما حل بتلمسان المحدث **أبو عبد الله محمد بن جابر الواد آشي**[2] الذي برع في النسخ.

و من بين الأسر الأندلسية التي اشتهرت بحسن التدبير في الشؤون المالية في الدولة الزيانية، عائلة بنو الملاح القرطبيون الذين استقروا بتلمسان، و قد اتخذهم بنو زيان أمناء على بيت المال، و فوضوا إليهم ضرب السكة من دنانير و دراهم كما و استقرت أسرة أندلسية أخرى بتلمسان و هي آل الآبلي[3] ، و التي استخدمها السلطان الزياني **يغمراسن** في جيشه، إلى جانب شخصيات علمية و دينية مثل الشيخ **شعيب بن الحسن الإشبيلي** المعروف بأبي مدين[4] ، دفين تلمسان سنة (594هـ/1197م). و تتجلى صورة التأثير الأندلسي، نتيجة استقبال الإمارة الزيانية لجاليات أندلسية أكثر من المرحلة السابقة بفعل سقوط عدد من الثغور الأندلسية و اكتظاظ الساحتين المغربية و التونسية بالأندلسيين. فجدوا في البحث عن أماكن شاغرة لاستثمار مواهبهم السياسية و العلمية و الإقتصادية في المغرب الأوسط.

و ذهبت **راشيل أرييه** (R.Arié). و هي بصدد الحديث عن التأثيرات الأندلسية المتسربة إلى مملكة بن عبد الواد إلى أن بلاط تلمسان فقد –في بداية القرن الثالث عشر الميلادي تحت حكم أبي حمو موسى الأول– طابعه البدوي بفضل التأثير الأندلسي. و تطرقت الأستاذة أرييه بعد ذلك إلى التأثير في المجال السياسي، فأوضحت أن أربعة من وزراء الأمير الزياني كانوا من عائلة أندلسية (تقصد عائلة ابن الملاح) من قرطبة، و أن أكبر أمير زياني (**أبو حمو موسى الثاني**)، كان ذا ثقافة أندلسية، و أنه كان يختار مساعديه الرئيسين من بين أفراد حاشيته الأندلسية. و ذكرت في هذا المجال **يحي بن خلدون**، و **محمد بن يوسف القيمني** الأندلسي، و اللذين خلدا معا الأحداث الكبرى التي شهدها عصر الأمير الزياني[5] .

---

(1) نسبة إلى بلفيق، حصن من عمل مدينة المدية.

(2) نسبة إلى وادي آشي بمدينة تقع شمال شرق غرناطة.

(3) نسبة إلى آبلة، ميدنة تقع شمال غرب مدريد.

(4) أبو مدين شعيب، فقيه و شخصية صوفية مشهورة، سكن بجاية، و استقر بتلمسان. للمزيد من التفاصيل راجع: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 125–126.

(5) R.Arié, L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, Paris, P.U.F, 1973, pp. 458-453.

و ذكرت الأستاذة **أرييه** إلى أن بلاط تلمسان فقد طابعه البدوي بفضل التأثير الأندلسي، و لكنها لم تذكر مجالات هذا التأثير، فهل يكفي أن يحيط الأمير الزياني نفسه بأربعة وزراء أندلسيين لتنسب إلى الجالية الأندلسية بالإمارة الزيانية ما سمته بالعمل التحضيري؟ (L'action civilatrice)[1].

و يلاحظ أن الباحثة **أرييه** لم تستطع أن تثبت وجود أقلية أندلسية متماسكة، لها تأثيرها السياسي و الإقتصادي. و لعل السبب في ذلك يرجع في أن المصادر المعاصرة نفسها لم تشر إلى وجود مثل هذه الأقلية، ذلك أن أفراد هذه الجالية كانوا يتعاملون مع السلطة.

و استطاع أفراد النخبة الأندلسية من امتلاك ثروات لا بأس بها. و في هذا الصدد ذكر الباحث **عبد الله دهينة** بأن استقرار الأندلسيين بالمغرب الأوسط، كتلمسان، قد أثر في الحياة السياسية للملكة الزيانية بوجه خاص، و أصبحت الجالية الأندلسية تمثل النخبة السياسية و الديبلوماسية في المجتمع الزياني و المسيطرة على دواليب الحكم و الإقتصاد[2].

و وجب التذكير هنا إلى استفادة البلاط الزياني. من الخبرات الإدارية و العسكرية و الديبلوماسية لأفراد الجالية الأندلسية، حيث عمل الأمراء على تشجيع بعض العائلات الأندلسية و تقديم المزيد من الإمتيازات لها داخل الإدارة، ليتسنى لها السيطرة على بعض المواقع القيادية بهدف وضع حد للنفوذ المتزايد لشيوخ القبائل المحلية داخل البلاد الزياني، و هذا راجع بطبيعة الحال إلى الحنكة و الكفاءة و الخبرة التي اختص بها أفراد النخبة الأندلسية داخل الإمارة الزيانية[3] .

2- الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط ما بين (1492-1609م)

في المرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية و التي تبدأ بشقوط غرناطة (1492م)، قصد المهاجرون الأندلسيون مختلف المناطق الساحلية للمغرب الأوسط،و اتخذوا من مدينة الجزائر كملجأ لهم، و من الحكم العثماني نفوذا مناسبا لآمالهم و طموحاتهم.

---

(1) R. Arié, op. cit, p. 458.

(2) A.Dhina, les états de l'occident musulman au XIIIè, XVIè et Xvè siècle, Alger, O.P.U, 1984, pp. 182-183.

(3) Ibid, p. 184.

و قد ربط الموريسكيون الأندلسيون في هذه المرحلة مصيرهم بالأتراك العثمانيين. و كان لهم دور فعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائري و تمثلت مساعداتهم للعثمانيين من خلال التصدي للحملات الإسبانية المتكررة من جهة، و المساهمة في القضاء على تمردات الإمارات المحلية بالجزائر من جهة أخرى.

و منذ سقوط غرناطة عمل الإسبان على محاولة تصفية الوجود الإسلامي من المنطقة، و ملاحقة الموريسكيين خارج شبه الجزيرة الإيبرية في إطار حركة الإسترداد.

و قد تركت الملكة الإسبانية الكاثوليكية إيزابلا في وصيتها بعد موتها (1504م): "...إنني أرجو الأميرة إبنتي (جين) و الأمير زوجها (فليب) و آمرهما بإطاعة وصايا أمنا المقدسة طاعة تامة، و أن يكون حماتها و المدافعون و عنها حسبما يقتضي واجبهما، و ألا يكفا من متابعة إفريقيا، و محاربة الكفار في سبيل الإيمان...".[1]

و تعود أصول الجهاد البحري الجزائري إلى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، بسبب الأزمة السياسية و الإقتصادية التي عصفت بالمغرب الأوسط، و التي كانت من أهم عواملها هجرة مسلمي الأندلس إلى شمال إفريقيا، و استقرارهم في المراكز الساحلية إلى جانب مساهمتهم في تمويل سفن المجاهدين و تشجيعها بدافع الحماية من جهة، و بدافع الانتقام ممن طردهم من موطنهم من جهة أخرى[2].

و قد وضعت إسبانيا لنفسها موضع قدم في إفريقيا، كانت عبارة عن نقط ارتكاز أمامية منعزلة للدفاع عن سواحلها الخاصة. كما شيدت سلسلة من القلاع على طول الساحل لشمال إفريقيا. و استولت على بعض المراكز الساحلية الجزائرية مثل المرسى الكبير (1505م) و وهران (1509م) و مستغانم (1511م)، و تلمسان (1512م) و تنس (1509م)، و بجاية (1510م)، و الجزائر (1511م)، و عنابة (1512م).

و كان الجهاد البحري في شمال إفريقيا، قد لفت أنظار أوربا المسيحية، و لا سيما مجاهدي الجزائر، الذين وجهوا نشاطهم ضد السفن الأوربية، و سببوا الكثير من

---

[1] محمد. حجي فارس. المصدر السابق. ص 13.

[2] المصدر نفسه. ص 16.

المتاعب للدول الأوربية المواجهة للبحر الأبيض المتوسط، حيث نقلوا معهم الكثير من الأسرى و الغنائم، و تكفلوا بعمليات انقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم، مما شغل الكثير من المؤسسات الدينية و السياسية الأوربية عصرئذ.

محصلات مشروعات الدولة العثمانية في البحر المتوسط الغربي، ظهور حركة عامة من رجال البحر، تستهدف العمل على حماية الموانئ و السواحل من التحشرات الإسبانية و تأمين وصول المهاجرين الأندلسيين على أكمل وجه. و كان من بين هؤلاء المجاهدين **عروج** و أخيه **خير الدين بربروسة**.

و بعد تأسيس الحكم العثماني بالجزائر (1519م)، كأولى قاعدة عثمانية في الصراع الإسباني-العثماني بمنطقة الحوض الغربي للمتوسط؛ بدأ النشاط البحري الذي بذله الإخوة بربروسة و خلفاؤهم أمثال: **صالح رايس** و **ايدين رايس** و **درغوت**، و **مراد رايس**، و **حسن فيزنياتو**، و **فليج علي باشا**.

إن المغرب العربي و الدولة العثمانية كانا يعتبران، في نظر الموريسكيين "أرض الميعاد"[1] و التي بإمكانها تقديم ما يحتاجونه من دعم يومئذ، و على الخصوص من سلاح للدفاع عن أنفسهم؛ و في هذه الفترة الزمنية بالذات، سجل تزايد اللاجئين نحو المغرب العربي ابتداء من سنة 1570م. كما تمكن الموريسكيون من أن يجدوا لهم موقعا بالجزائر و قد أصبح وصولهم الجماعي مكثفا عندما بدأ النظام العثماني في الاستقرار.

و تمكن **خير الدين** من جعل إيالة الجزائر[2] قوة بحرية في المنطقة المتوسطية، هزت إسبانيا و أرعدت أوربا و استحقت بأن يطلق عليها "بلد الجهاد" و على مؤسساتها العسكرية "أكبر مدارس الإسلام البحرية"[3].

---

(1) عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي... المقال السالف الذكر، ص 100 107.

(2) حول تأسيس إيالة الجزائر، راجع:

Grammont (H.D.de), Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830, Paris, 1887, pp. 20-29

شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ج2، ص 321 350.

(3) علي أحقو، المقال السالف الذكر، ص 134 154.

كانت معرفة خير الدين بالملف الموريسكي جيدة، مما جعله يعتقد في وجوب إنشاء دولة قوية و موحدة بالمغرب الأوسط، و التي انطلاقا منها يكون باستطاعته استرجاع الأندلس مرة أخرة، و العمل على انقاذ الموريسكيين من سياسة الاحتواء الثقافي و الديني الذي مارسته محاكم دواوين التفتيش[1].

و مما يجدر الإشارة إليه، هو أن معظم المؤلفين الغربيين، قد وصفوا **عروج** و **خير الدين** و **درغوت** و **قليج علي** بالقراصنة أو المغامرين المتوحشين. و كان مدلول القرصان محتقرا جدا (و هو الشخص) الذي لا يشتغل إلا بالاستيلاء على الغنائم و الانقضاض على السفن و تدمير السواحل و فرض العبودية على الأسرى.

إن الموريسكيين سواء الذين كانوا مستقرين بغرناطة أو بمناطق أندلسية أخرة، كانوا منذ عهد مبكر متشوقين للهجرة نحو شمال إفريقيا. و ازداد هذا الشوق بعد قيام الحكومة الإسبانية بمزيد من الضغط و محاولة منها ابادة من بقة من الموريسكيين. أما بالنسبة للمقيمين في المناطق الشرقية لاسبانيا، فكانوا يفضلون الشريط الساحلي الجزائري الذي لم يكن يبعد سوى ساعات قليلة من الإبحار.

و من جهة أخرى كانت الإيالة الجزائرية في نظر الموريسكيين، أكثر الإيالات العثمانية-المغاربية المهيأة عسكريا لتقديم الدعم و المساندة، و هذا نظرا لفعالية تحرك أسطولها البحري في المتوسط الغربي، و كذا لخبرة قوادها و بحارتها أمام الأسطول الإسباني الذي يراقب كل تحرك بحري في اتجاه سواحله.

إن القواد العسكريين و السياسيين و الدينيين الإسبان كانوا يعلمون جيدا مدى الوزن العسكري لإيالة الجزائر العثمانية في ملف الموريسكيين، فقد سجل عدد كبير من الموفدين و المخبرين الإسبان إلى الجزائر على أنهم "تجار كوريسكيون و كاتالونيون و إيطاليون و أنهم، علاوة على البعد الديني كانوا يقومون بوظيفتهم التجارية مع المغرب العربي و هم من خلال رحلاتهم التجارية، كانوا الوسطاء و المخبرين عن الموريسكيين"[2].

---

[1] جون (ب) وولف. المصدر السابق. ص 39.

[2] عبد الجليل. التميمي. الدولة العثمانية...المصدر السابق. ص 8.

و حول المهاجرين الأندلسيين الذين قصدوا مختلف مناطق إيالة الجزائر بعد سقوط غرناطة (1492م) و أنواع أنشطتهم، يمكننا أن نستقيها من المصادر المعاصرة لهذا الحدث التاريخي الهام، فرغم اختلاف لغة و جنسية كل من **الحسن الوزان**[1] المعروف (بليون الإفريقي León l'africain) في كتابه -وصف إفريقيا- و **مرمول كربخال** [2] (Marmol Carvajal) في كتابه -وصف عام لافريقيا- فقد تعرضوا إلى تواجد الأندلسيين بالمنطقة و خاصة في كل من برشك، تلمسان، شرشال و القليعة.

و كان للمهاجرين في شرشال حوال 5000 مسكن، و الذين يكون نواتهم كل من الثغريين (Tagarinos)، و المدجنين (Mudéjares)، و الأندلسيين[3] . و كذلك مدينة القليعة، ذات الطابع الموريسكي الأصلي، و التي استقر بها في عهد **حسن باشا** (975هـ/1550م)، حوالي 300 عائلة من أصل مدجن و ثغري، وفدوا عليها من إقليم قشتالة و الأندلس و بلنسية[4] .

و تذكر بعض الدراسات أن مجموعة هامة من الموريسكيين بعد خروجها من الأندلس، لجأت إلى سواحل خليج أرزيو قرب منطقة المقطع و هذا سنة 1492م، و استقبلهم أهالي المنطقة بحفاوة[5] .

و تشير المصادر الإسبانية إلى الحملة البحرية التي قام بها كل من **ايدين رايس** و **صالح رايس** في سنة 1529م بطلب من **خير الدين بربروسة** و أسفرت هذه الحملة عن نقل 600 موريكسي بلنسي، و كان هؤلاء ينتظرون النجدة و الخلاص من سفن الرياس العثمانيين عند مصب نهر أوفيلا (Ovila) و تمكنت تلك السفن من العودة بالموريسكيين إلى الجزائر، رغم الاشتباك البحري الذي وقع مع الأسطول الإسباني

---

(1) ولد الوزان في غرناطة ما بين عامي 1489 -1495م. و وقع أسيرا في يد القراصنة المسيحيين، و قدموه هدية إلى البابا ليون العاشر. الذي قام بتعميده، و أطلق عليه اسم جان ليون الإفريقي.

(2) مرمول كربخال، رحالة و مؤرخ إسباني. كان خبيرا في الشؤون الإفريقية، و وقع أسيرا في المغرب الأقصى سنة 1556م. و كتابه طبع بعد معركة لبيانت (1571م).

(3) Carvajal (Luis de), Mamol, Descripcion general de Africa, Granada, 1573, T2, p.211.

(4) ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 108.

(5) Roland, Villot, Arzew des origines à nos jours, Oran, Edition Peritti, 3ème ed, 1961, p.64.

قرب جزر البالير[1] . و قد اختار هؤلاء النزول بمدينة الجزائر، و الاستقرار بسهول متيجة و نواحي البليدة و دلس. و قد شجعت إيالة الجزائر حركة انقاذ مسلمي الأندلس، و ذلك بمبادرة من البيلباري **خير الدين**، و في نطاق هذه الجهود التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون من أتراك و أهالي من أجل مساعدة إخوانهم الأندلسيين. و ذكر الكاتب التركي **شلبي** أن **خير الدين** وجه حوالي 36 سفينة إلى السواحل الإسبانية، و ذلك خلال سبع سنوات، لنقل ما يناهز حوال 70 ألف موريسكي[2] .

و قد أشار كتاب غزوات **عروج** و **الخير الدين** إلى بعض الحملات البحرية التي كان يقوم بها الاخوان بربروسة لانقاذ الأندلسيين. نذكر منها أن سفن خير الدين بعد أن تمكنت من الاستيلاء على مدينن مستغانم من يد الزيانيين، توجهت إلى سواحل الأندلس و استطاعت أن تنقل مسلمي الأندلس إلى الجزائر.

و نقتبس من كتاب غزوات أيضا رواية أخرى تتعلق بالمساعدة في اطار انقاذ أندلسي جبال البشارات، الذين ثاروا ضد الحكومة الإسبانية سنة (1502م). و قد وردت بهذا النص: "...أنه جهز لهم (خير الدين) ستة و ثلاثين جفنا (سفنا) فنزل أهل الجبل من الأندلس (أي الثائرين المحاصرين بالساحل)، فرفعوا نساءهم و أبناءهم و ما قدروا عليه من أموالهم و أثاثهم، فأتوا بها إلى الأجفان و سقوها بذلك و ركب عدد كبير منهم و رجعوا إلى الجزائر و خلفوا ألفي مقاتل من العسكر يحرسون جماعة المسلمين الباقية بالأندلس خوفا عليهم من غائلة النصارى، فلما وصلت الأجفان إلى الجزائر و خلفوا ما حملوه من الأندلس بها رجعوا إلى ذلك الجبل لحمل بقية المسلمين، فتكرر ذلك منهم سبع مرات و كان من جملة ما حملوه من أهل الأندلس على ما قيل سبعين ألفا. و بقيت عادة أجفان الجزائر أنهم في كل سفرة يسافرونها برسم الغنيمة يأتون إلى سواحل الأندلس برسم نقل جماعة المسلمين"[3] . و بسبب هذه الأعمال

---

(1) محمد عبد الله عنان. نهاية الأندلس. ص 388.

(2) عبد الجليل التميمي. رسالة من مسلمي...المقال السالف الذكر. ص 39. و ذكر عدد مول عن انقاذ 10 آلاف موريسكي. راجع:
Grammont (H.D-de), op.cit, p.3.

(3) مجهول كتاب غزوات عروج و خير الدين (تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر). جزائر: المطبعة التعالبية، 1934. ص 48 و 82. و قارن عند: مؤلف مجهول. غزوات عروج و خير الدين. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية. رقم 1623. ص 20 21 و 42 43.

الجليلة التي قام بها الأسطول البحري الجزائري، دفعت بقايا المسلمين بغرناطة إلى الاستنجاد بالدولة العثمانية من خلال رسالة بعثها أهل الأندلس إلى السلطان العثماني **سليمان القانوني** عام (948هـ/1541م). أثنوا فيها على جهود على جهود خير الدين، و أشادوا بمآثره و بطولاته بقولهم: "فقد كان بجوارنا... المجاهد في سبيل الله خير الدين و ناصر الدين و سيف الله على الكافرين علم بأحوالنا... فاستغثنا به، أغاثنا و كان سببا في خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين و نقلهم إلى أرض الإسلام و تحت إيالة طاعة مولانا السلطان و لعمارة مدينة برشك و شرشال و نواحي تلمسان..."[1] .

و كان رد إسبانيا عنيفا عندما أسست ميليشيات مسلحة للرد على هجومات الأسطول الجزائري، الذي كان يجوب سواحلها لإنقاذ مسلمي الأندلس، و كان نتائج الحملات البحرية المتكررة للأسطول الجزائري على سواحل الأندلس. أن بادرت إسبانيا بشن حملة كبيرة على مدينة الجزائر في أكتوبر 1541م بقيادة ملكها شارل الخامس.

و أثناء حصار مدينة الجزائر من طرف السفن الإسبانية، ظهرت شخصية حسن باشا الذي حث سكان المدينة على الصمود و المقاومة في وجه المحتل، و أشرف بنفسه على عمليات تعزيز المواقع الدفاعية و تحصينها[2] و لم يتمكن قائد الأسطول الإسباني **أندري دوريا** (André Doria) من اقتحام المدينة، و كانت الخسارة كبيرة في القوات الإسبانية حيث خلفت المعركة، فقدان الأسطول الإسباني حوالي 150 سفينة و مقتل 10 آلاف رجل. و تمكن سكان الجزائر من الحصول على كميات هامة من السلاح الذي تركه جند شارل الخامس، و بذلك استحقت مدينة الجزائر لقب (الجزائر المحروسة). و بعد مرور الزمن فرضت إيالة الجزائر قوانينها و سيطرتها على المنطقة حتى أصبحت في نهاية القرن السادس عشر أكثر قوة من بين المدن الجديدة في حوض البحر الأبيض المتوسط[3] .

---

(1) عبد الجليل التميمي، رسالة من مسلمي...المقال السالف الذكر، ص 45- 46.

(2) Haedo, Histoire... op.cit, p. 62.

(3) F. Braudel, op.cit, T2, p.288.

و يذهب بعض المؤرخين الغربيين أنه لولا دخول بلاد المغرب العربي في حضيرة الخلافة العثمانية، لأمكن لإسبانيا من تأسيس مملكة على طول الساحل (المغاربي)[1] ، و للرد على مثل هذه الادعاءات التاريخية، فإنه يمكن القول أنه لو لم تكن الدولة العثمانية منشغلة بالفتوحات في المشرق و صراعها الدائم مع الصفويين، لأمكنها بمساعدة إيالة الجزائر من فتح الأندلس من جديد.

عرفت مدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني، هجرة مكثفة من طرف الموريكسيين الذي وصل عددهم مع مطلع القرن السابع عشر أكثر من 25 ألف موريكسي[2] . و باستقرار الحكم العثماني بالجزائر، تزايد نشاط حركة الجهاد البحري في الحوض المتوسطي، إذ اتخذ الصراع العثماني-الإسباني أبعادا عالمية.

و قد استمر تدفق تيار الهجرة الأندلسية نحو إيالة الجزائر، و خاصة بعد فشل الثورة الموريكسية (1568-1570م)، مما دفع بحاكم الجزائر آنذاك **قليج علي باشا** إلى التفكير في إمكانية تقديم المدد و الدخيرة لمجاهدي غرناطة، حتى أطلق المؤرخون على **قليج علي** "بطل الإسلام"[3] .

لقد عبرت إيالة الجزائر عن تعاطفها مع الأندلسيين، فبعثت إليهم بالرجال و بمكية من الدخيرة الحربية. و قد اعترف حكام الجزائر و على رأسهم قليج علي بأن الأندلس لا يمكن استعادتها بدون أسطول عثماني و قوة برية كبيرة. و لكن مع هذا فإن ثورة الموريكسيين في إسبانيا كانت مفيدة لبيلار باي شمال إفريقيا، لأنها جدمت القوات البحرية الإسبانية بالإضافة إلى تجميدها الجيش الإسباني الذي كان قد بقي في حوض البحر المتوسط، كما أنها أعطت لقليج علي باشا فرصة ذهبية لمحاولة سيطرة الجزائر من جديد على ساحل الشمال الإفريقي كله[4] .

---

(1) L. Guin. « Quelques notes sur les entreprises des espagnols pendant la première occupation d'Oran », in. R.A. (N°28), 1886, p. 313.

(2) ناصر الدين. سعيدوني. دراسات...العهد العثماني. المصدر السابق. ص 132.

(3) MAXANGE. Defontin. Eudj'Ali. Paris. Ed A.Pedon. 1930. p.120.

(4) جون (ب) وولف. المصدر السابق. ص 84-85.

و لا يمكن إغفال الدور الهام عند تعرضنا للمرحلة الثانية من الهجرة الأندلسية إلى إيالة الجزائر، دون الحديث عن مبادرة الاخوة بربروسة و خلفاؤهم -كما سبق ذكره- حيث عملوا جميعا في استغاثة هؤلاء الموريكسيين و العمل على استقرارهم بمختلف المناطق الجزائرية. و تكشف لنا رسالة **السيد أقيلا** (D. Juan Aguilla) إلى حاكم بلنسيه في 23 أبريل 1541م. عند خروج أفواج هامة و متواصلة من موريسكي بلنسية نحو الجزائر، عقب فشل حملة **شارل الخامس** على مدينة الجزائر (1541م)[1].

و قد قام درغوت رايس بنقل حوالي 1500 موريكسي من منطقة بلنسية في عام 1569م. و كان من نتائج فشل ثورة البشارات بغرناطة (1570م)، نزوح حوالي 30.000 موريكسي بقيادة **الحبقي** إلى الجزائر، و هذا على إثر إتفاق عقد ما بين الموريكسيين و **دون خوان دي استريا** (D. Juan de Austeria)، بتاريخ 20 ماي 1570م[2].

فبلير باي الجزائر حسن فنزيانو (1582-1588م). و كذا بقية البيلبايات الأسبقين، قد قاموا بتسهيل إقامة الموريسكيين، إذ أن حسن هذا، قد جلب ألفي موريسكي من منطقة أليكانت (Alicante)[3].

إن إسبانيا التي تقدر حق التقدير الوزن العسكري للعثمانيين، و على الأخص من ذلك التحركات البحرية للأميرال **قليج علي** في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، و مدى فعالية ذلك تجاه الموريسكيين[4]. و تمكن **مراد رايس** من شن غارة بحرية على سواحل لورقة (Lorca)، غرب قرطاجنة بغرض نقل الموريسكيين[5]. و في سنة 1585، وصلت أعداد من أهالي منطقة كاطالونيا إلى الجزائر.

و كانت الجزائر و المدن المجاورة كالبليدة و القليعة و شرشال، قد امتلأت بهؤلاء الوافدين الجدد. و عليه فإن سكان مدينة الجزائر، أصبحوا بالفعل يتشكلون من

---

(1) C. Benafri, op.cit, p. 100.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، المصدر السابق، ص 131.

(3) Haedo, Histoire... op.cit, pp. 193-194.

(4) محمد، سي يوسف، المصدر السابق، ص 179.

(5) محمد عبد الله، عنان، نهاية الأندلس، ص 388.

أغلبية أندلسية.

و بالرغم من مشروع الهدنة التي أقرته اسبانيا مع الدولة العثمانية سنة 1581م. إلا أنه ازدادت شقاوة هؤلاء الموريسكيين، الذين انتزع منهم كل شيء: حق التملك، و دينهم الإسلامي. و في هذا النطاق، استغاث هؤلاء من جديد بالجزائر و الدولة العثمانية طالبين منهما، مدهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ضد سياسة الدمج و الاحتواء الديني و الحضاري.

و عندما صعب عليهم الأمر عبروا التراب الفرنسي، و استخدموا ميناء مرسيليا كمحطة للإنتقال و الابحار إلى مدينة الجزائر و كان هذا قبل عمليات النفي الجماعي.

ففي سنة 1584م، وجه السلطان العثماني **مراد الثالث** (1574-1594م) فرمانا إلى بيلرباي الجزائر **حسن باشا** (1582-1588م)، حيث يعرض علينا الفرمان بعض سفن الإيالة أثناء قيامها بحملة ضد السواحل الإسبانية، ثم الإستيلاء عليها من قبل سفن تابعة لدوق مرسيليا المعروف بإسم دوق **هنري دي قيز** (Duc Henri De Guise) الذي كان يحكم المنطقة على عهد الملك الفرنسي هنري الثالث (1551-1589م)[1] .

و قد أرسل الدوق معظم المسلمين الذين وقعوا في الأسر إلى مرسيليا على أساس أسرى حرب، و هناك بالسجن و حسب الذي أورد الخبر و جدوا إثنان من المسلمين و أربعة من المدجنين، الذين خرجوا من إسبانيا على أساس العبور إلى مدينة الجزائر، كانوا تقدموا إلى مرسيليا، إلا أنه تم القبض عليهم، و عوملوا معاملة أسرى حرب، و هذا بإلقائهم في السجن و السعي لبيعهم لأحد أعداء المسلمين، و هذا هو النص كما ورد في الوثيقة:"... رسالة تعبر بأنه تم القبض على خمسة مسلمين من طرف الحاكم الكافر الذليل (يقصد به ملك إسبانيا)، و بعد خروجهم، و نظرا لمعرفتهم بأحوال الكافر الذليل، نزلوا بولاية مرسيليا التابعة لملك فرنسا (**هنري الثالث**)، في الوقت الذي قدمت من الساحل الغربي أو (دار الإسلام)، سفينة تحمل إسم (المسلمين الجدد)، و التي أثناء قصدنا للغزو و الجهاد في بلاد إسبانيا، التقت ... بالسفن التابعة لدوق فرنسا الملعون... إن كفار هذه المنطقة أو قلعة (سان لوفيني)، قاموا بالإستيلاء

[1] شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ج2، ص 35.

على تلك السفن و تعذيب رياسها كما وضع مع معظم المسلمين في الأسر، و تم إرسالهم على أساس أنهم أسرى حرب إلى ولاية مرسيليا... و أثناء وجودنا بالسجن، وجدنا إثنان من المسلمين و أربعة من المدجنين، الذين خرجوا من أرض الكفار (إسبانيا) على أمل العبور إلى الجزائر، و قدموا إلى مرسيليا، إلا أنه تم القبض عليهم كذلك، و ألقى بهم في السجن على أساس بيعهم كأسرى إلى أحد الكفار..."[1] .

إن نص الوثيقة يعرض لنا بوضوح مصير الموريكسيين الذين قصدوا مرسيليا، و تكشف لنا أيضا خلفية الصراع الذي كان قائما بين إيالة الجزائر و فرنسا قبل معاهدة 21 مارس 1619[2] . خلال هذه الفترة قامت السفن التابعة **لحسن باشا** و **مراد رايس** بحملات عديدة ضد السواحل الجنوبية لفرنسا، في الوقت الذي قامت فيه السفن الإسبانية و الجنوبية تحت العلم الفرنسي بالإستيلاء على السفن الاسلامية في عرض البحر المتوسط، و هذا ما دفع الدولة العثمانية إلى ارسال العديد من الأوامر إلى إيالة الجزائر لملاحقة هذه السفن و القبض عليها[3] .

و لعل هذه الوضعية هي التي كانت البند الأول من معاهدة 21 مارس 1619م. بين فرنسا و الجزائر، و الذي يركز على أن: "الأسرى المسترقين من المسلمين الذين يفرون من أراضي الأعداء، و يلجؤون إلى فرنسا، تعطى لهم حرية العبور إلى الجزائر... و اعطاء الأوامر إلى حكام المدن و مناطق حدود المملكة الفرنسية بعدم ارجاع و بيع هؤلاء المسلمين إلى أعدائهم"[4] .

و استقر الأندلسيون في المرحلة الثانية من الهجرة، مدنا جزائرية كثيرة مثل عنابة و بجاية و دلس و تنس. و وجد هؤلاء المهاجرون في الجزائر أرضا تشبه أرضهم، و أهلا كأهلهم، فاستوطنوا و ساهموا في الحياة الاجتماعية بادخال عنصرين رئيسيين: الأول تمثل في الكفاح ضد الإسبان في البر و الثغور، دفاعا عن النفس

---

[1] شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ص 50.

[2] نص اتفاق معاهدة 21 مارس 1619م. على احترام الطرفين الفرنسي-الجزائري، للمعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية فرنسا. كما التزم الطرفان بوقف كل الأعمال العدائية ضد بعضهما البعض. و نصت المعاهدة على اقامة سلم دائم بين البلدين.

[3] إن الأوامر السلطانية المهمة (مهمة دفتري)، و الموجهة إلى بيلربايات الدولة العثمانية في القرن 16م. بينت بوضوح تقوية المقاومة ضد الإسبان، معتمدة على إيالة الجزائر و التي كانت تعتبرها محورا استراتيجيا في هذه المقاومة.

[4] جمال، قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1987، ص 266.

و محاولة لاسترجاع ممتلكاتهم. و الثاني نشر أنماط الحضارة الأندلسية في الجزائر[1].

و يرجع الفضل في هذه الهجرات إلى توسيع النسيج الحضري لمدينة الجزائر، قاعدة الحكم العثماني، حيث أصبح لها مركزان رئيسيان يسكنهما الأندلسيون في دلس شرقا و شرشال غربا[2].

و لم يتمركز الموريسكيون في مدينة الجزائر فحسب، فقد تمكن **رضوان باشا** (1607-1610م). من ارسال مجموعة من لاجئي الأندلس داخل البلاد للالتحاق بالمجموعات السابقة، و التي كانت تعيش بالبليدة و المدية و مليانة و بجاية و قسنطينة[3]. و استطاعت الجالية الأندلسية من تأسيس مراكز ساحلية و تعزيز خطوطها الدفاعية، بمزغرن و شرشال. كما ساهم موريسكيو غرناطة و مرسية في بناء و تعمير المرسى الكبير، و جعلوا منه قاعدة بحرية[4]. و استوطنت عائلات موريسكية أخرى المدن المجاورة لمدينة الجزائر، مثل البليدة و المدية. و انتشروا في ربوع أحياء مدينة الجزائر و خاصة باب الواد و بولوغين و الحامة و القبة و بوزريعة و تقارين و تليملي.

و من الحقائق الثابتة أن هذه المناطق، عرفت خلال هذه الفترة بحدائقها الخضراء و منازلها البيضاء[5]، بالإضافة إلى مساهمة الأندلسيين في توسيع عمران مدينتي هنين و مستغانم[6].

و نظرا للضغط السكاني المتزايد على مدينة الجزائر العثمانية، فكر حكامها في تخصيص أماكن أخرى لاقامة المهاجرين الأندلسيين.

---

(1) أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 142.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 110.

(3) M. Gaïd, L'Algérie sous les turques, Alger, ed Mimouni, 2ème ed, S.D, p.120.

(4) Alexandre (P), Djaglov, « Mers El Kebir », in, R.A, (N°84), 1940, pp. 157-185.

(5) M. Gaïd, op.cit, pp. 103-104.

(6) Moulay, Blehamissi, Histoire de la marine algérienne (1516-1830), Alger, ENAL, 2ème ed, 1986, p. 53.

و كان **لخير الدين** السابقة في ذلك، إذ يرجع له الفضل في تأسيس مدينة البليدة عاصمة المتيجة، حيث اقتطع أجزاءا من سهولها لأفراد الجالية الأندلسية بغرض الاستيطان. و شيد بها مسجدا جامعا سنة 1535م. و حماما و فرنا، و سارع الناس في بناء المنازل على الطراز الأندلسي[1]. فأضحت البليدة مدينة الأزهار و الثمار و عرفت باسم "الوريدة"[2].

و يرجع الفضل إلى **عروج** الذي ساعد الأندلسيين في الانتقال إلى منطقة البليدة. و أصبح **سيدي أحمد الكبير** الوالي الرمز للاندلسيين، حيث تحمل مسؤولية الدفاع عنهم. و تمكن من تشييد عدة قرى للاجئين منهم، و هذا ما بين مدينتي الجزائر و البليدة، خلال سنوات 1502م و 1523م.

و بصورة عامة تمكن **خير الدين** من حمل المئات من الأندلسيين، و العمل على استقرارهم في مناطق ضفاف الواد الكبير المعروف بواد الرمان قرب قبائل شنوة[3].

و في سنة 1533م. استنجد سكان منطقة تيبازة **بسيدي أحمد الكبير**، الذي وضع حدا لغارات الجبليين[4]. بالإضافة إلى نزوح بعض العائلات الأندلسية إلى منطقة لوريت (Lorit)، و التي تبعد عن تلمسان بحوالي 7 كيلومترات، و بعد مضي عقد من الزمن، دخل هؤلاء ميدنة تلمسان و اتخذوها مقرا لهم[5].

و يلاحظ خلال هذه المرحلة أن المناطق الساحلية الغربية من الجزائر، كانت أكثر حظا في استيعاب هؤلاء المهاجرين عن السواحل الشرقية. و الذي يمكن أن يفسر بالقرب الجغرافي بين إسبانيا من جهة و للعلاقات الأندلسية-الزيانية من جهة أخرى.

---

(1) J. Monlaii, op.cit, p. 72.

(2) عبد الرحمن، الجيلالي، المصدر السابق، ج2، ص 314.

(3) Kamel, Filali, Sainteté maraboutique et mystique, Contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination othomane XVI^{e}-XVII^{e} siècl^{e}, thèse inédite, Strasbourg, 1994, p.134.

(4) C. Trumelet, Blida, récits selon la légende, la tradition de l'histoire, Alger, 1887, p. 577.

(5) M. Ravillard, op.cit, T2, p.148.

و لعله جدير بنا أن نوضح أن استقرار الأندلسيين في المرحلة الثانية من الهجرة، لم يقتصر على مناطق معينة، بل شمل عدة جهات، و خاصة المراكز الساحلية. و يمكننا حصر هذه التجمعات في ثلاث أقليم رئيسية:

- **الغرب الجزائري:** شمل وهران و نواحيها، و مستغانم و آرزيو و جهاتها، و تلمسان و قلعة بني راشد و مزونة.
- **الوسط الجزائري:** شمل الجزائر (دار السلطان)[1] . البليدة، القليعة، مليانة، شرشال، المدية و سهول المتيجة.
- **الشرق الجزائري:** شمل بجاية، جيجل، عنابة و قسنطينة.

[1] دار السلطان تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا، و من ساحل البحر المتوسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، و تضم إقليمي الساحل و متيجة و بعض الامتدادات في بلاد القبائل و التيطري.

3- الهجرة الأخيرة (1609-1614م)

و فيما يتعلق بالمرحلة الأخيرة من الهجرة الأندلسية، و التي أعقبت قرار الطرد الجماعي للموريسكيين في فترة حكم **فليب الثالث**. فإن الجهات الساحلية للجزائر، قد استقطبت أعدادا كبيرة من المهجرين قسرا، بواسطة السفن الإسبانية.

و بصدور مرسوم نفي مسلمي بلنسية بتاريخ 22 سبتمبر 1609م. تم ترحيل 28 ألف موريسكي نحو ميناء دانية (Denia)، و 15 ألفا أخرى إلى ميناء بلنسية. و قد حملتهم السفن الإسبانية على نفقتها الخاصة إلى مدينة وهران، بينما اعتمد المهاجرون الآخرون على أنفسهم، في استئجار السفن و الابحار صوب السواحل الجزائرية[1] .

عرفت مدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني خلال هذه المرحلة، هجرة مكثفة من الموريسكيين الذين بلغ عددهم في مطلع القرن السابع عشر حوالي 25000 موريسكي[2] . و قد توسعت مناطق تمركزهم و استقرارهم، لتشمل مناطق طول الساحل الجزائري مثل: آرزيو، شرشال، تنس، القليعة، بجاية، دلس و عنابة.

و في هذه الأثناء تمكنت أفواج أخرى، و خاصة موريسكي استرامادور (Extramadura) و آراغون (Aragon) و لامانشا (La mancha) إلى الالتحاق بمدينة الجزائر و فحصها، عن طريق فرنسا عبر مرسيليا و ليفورنة.

و نتيجة لسياسة **هنري الرابع**، ضد حكومة **فليب الثالث** و مساعي السلطان العثماني **أحمد الأول**، لدى حكومة فرنسا، تم تسهيل عملية نقل الموريسكيين إلى دار الإسلام. و التي أرخ لها **أحمد بن قاسم الحجري الاندلسي** في كتابه ناصر الدين على القوم الكافرين بقوله: "...لما صح عند سلطان إسطامبول بخروج أهل الأندلس الذين يسمّونهم ببلاد الترك، المدجنين، كتب كتابه السني إلى سلطان فرنجة بالوصية عليهم و نفع ذلك الكتاب الأندلسي نفعا عظيما..."[3] .

و قد وصلت أفواج هامة من الموريسكيين، الذين خرجوا من موانئ ليفورنة و أكد و مرسيليا إلى شواطئ كل من إيالة تونس و الجزائر، إلا أن حدث اغتيال الملك

---

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، المصدر السابق، ص 133.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 113.

(3) الشهاب الحجري، المصدر السابق، ص 49.

الفرنسي **هنري الرابع** عام 1610م، و موقف إسبانيا من الحكومة الفرنسية، جعل العديد من الموريسكيين يتعرضون إلى المضايقات و سوء المعاملة، ليس فقط من طرف بعض حكام المقاطعات الجنوبية الفرنسية، بل التعدي عليهم و نهبهم من قبل ربان السفن الذين تعهدوا بنقلهم[1] .

و لعل الرسالة التي بعثها الموريسكي الغرناطي من مدينة الجزائر التي وصلها عن طريق مرسيليا إلى صديقه بمنطقة ترخيليو (Trujillo) في 25 جويلية 1611م. غنية عن التعبير عن الظروف الصعبة التي واجهها الموريسكيون خلال مرحلة العبور[2]. و نظرا لكثافة الهجرة الموريسكية في المرحلة الأخيرة من الهجرة، أدت إلى تعبير المقري في كتابه نفح الطيب: "خروج ألوف من أهل الأندلس نحو فاس، و ألوف بتلمسان و وهران..."[3] .

و لجأت السلطات الإسبانية إلى نقل الموريسكيين رأسا إلى السواحل الغربية من إيالة الجزائر، و خاصة وهران، المرسى الكبير، أرزيو و مستغانم، بحيث استغلت إسبانيا فرصة استيلائها لكل من وهران و مرسى الكبير لتسريب الآلاف من الموريسكيين نحو هذه المناطق.

و قد كان من نتائج التركيز المتواصل على وهران و مرسى الكبير في هذه العملية أن ضاقت المدينة و ما جاورها بالموريسكيين. و تشير تقارير ربان السفن الذين شاركوا في هذه العملية الكبرى و الموجودة بالأرشيف الإسباني بسيمانكا (Simancas)، حيث تعرض علينا قوائم و معلومات هامة حول عدد الموريسكيين الذين تم نقلهم و جنسهم (رجال، نساء و أطفال) و مكان نزولهم بالسواحل الجزائرية.

و من أهم الموانئ الإسبانية التي تم فيها ترحيل الموريسكيين نحو شمال إفريقيا "دانية (Denia)، أليكانت، قرطاجة (Cartagena)، إشبيلية (Sevilla)، فيناروس (Vinaros)، ألفاكي (Los Alfaques)، بلنسية"[4] .

---

(1) M. Francisque, op.cit, pp. 154-158.

(2) L. Cardaillac, Morisques en provences..., op.cit, pp. 89-102.

(3) المقري، المصدر السابق، ج4، ص 528.

(4) C. Benafri, op.cit, p. 111.

و على ضوء المعلومات المتوفرة لدينا حاولنا رسم خريطة توضحية، تمثل أهم الهجرات الأندلسية إلى شمال إفريقيا و خاصة في إيالة الجزائر ما بين سنوات (1492-1614م)[1] .

بعد صدور قرار الطرد الجماعي، استعان الملك الإسباني **فليب الثالث** ببعض الدول الأوربية قصد إنجاح عمليات ترحيل الموريسكيين خارج إسبانيا. و من بين الدول التي شاركت في العملية، البرتغال و بعض الإمارات الإيطالية و مالطة.

و في 17 أكتوبر 1609 قاد **المركيز سانتاكروز** (ElMarquis de Santacruz) 17 سفينة أبحرت من إسبانيا متجهة نحو وهران و هي تحمل على متنها حوالي 3406 موريسكيا[2] .

و بعد أن ضاقت المدينة و ما جاورها بالموريسكيين أمر حاكم وهران الكونت **دي أقيلا** (Le duc d'Aguillon) بتاريخ 7 أكتوبر 1609م من القبطان المركيز **دي سانتا كروز** من قيادة ستة سفن لتحمل 6000 موريسكي، و العمل على نقلهم رأسا إلى مرسى الكبير. و بتاريخ 22 أكتوبر 1609م طلب الكونت دي أقيلا من ربان السفن **لويس فراخدو** (Luis Fajardo) و **خوان جيرونيمو** (Juan Doria Jeronimo) من قيادة 7 سفن، لحمل 3000 موريسكي إلى ميناء آرزيو و مزغران. و تفاوض المسؤولون الإسبان مع قبائل المنطقة قصد مساعدتهم من أجل نقل الموريسكيين نحو تلمسان و مستغانم. و كانت هذه القبائل العربية تشمل (أولاد موسى، أولاد ابراهيم، أولاد سيدي عبد الله، بن عامر)[3] .

و في نفس السنة كلف حاكم وهران الكونت **أقيلا** (Comte d'aguillar) القبطان **دون ألفونسو هيرناندو** (D. Alfonso Hernando) بنقل حوالي 599 موريسكي إلى تلمسان و هذا الجدول يوضح لنا هذه العملية، و الذي بواسطته يتضح لنا اختلاف جنس و سن الموريسكيين الذين تم ترحيلهم.

---

(1) انظر خريطة أهم الهجرات الأندلسية إلى إيالة الجزائر ما بين 1492-1614م، في ملحق الدراسة.

(2) H. Lapyre, op.cit, p. 57.

(3) C. Benafri, op.cit, p. 116.

إسم السفن	عدد الرجال	عدد النساء	أطفال ذكور	أطفال إناث	المجموع
Galeras Capitanes	47	43	22	8	120
Galeras Patronas	80	100	42	23	245
Galeras Molinas	85	88	32	29	234
المجموع	212	231	96	60	[1]599

و وصلت أعداد أخرى من الموريسكيين بواسطة سفن إسبانيا أبحرت من موانئ أليكانت و غراو (Grao) متجهة نحو وهران و مرسى الكبير بتاريخ 5 و 6 أكتوبر 1609م، و هي تحمل على متنها حوالي 1791 موريسكي. و الجدول التالي يوضح لنا أسماء السفن التي شاركت في هذه العملية، و عن أعداد المهجرين الموريسكيين حسب الجنس و السن.

(1) C. Benafri, op.cit, p.115.

	أسماء السفن	المهجرون حسب الجنس	العدد
1	Galeras Cappitanes Generales	رجال	64
		نساء	70
		أطفال ذكور	16
		أطفال إناث	20
		رضع	10
2	Galeras Cappitanes de los Generales	رجال	72
		نساء	90
		أطفال ذكور	18
		أطفال إناث	20
		رضع	06
3	Galeras patronas Generales	رجال	60
		نساء	76
		أطفال ذكور	22
		أطفال إناث	20
		رضع	12
4	Galeras Descabonas	رجال	73
		نساء	107
		أطفال ذكور	23
		أطفال إناث	14
		رضع	38
5	Galeras de Cappitanes del duque de Lerma	رجال	66
		نساء	42
		أطفال ذكور	28
		أطفال إناث	30
		رضع	22
6	Galeras patronade Del duque de Magistad	رجال	40
		نساء	50
		أطفال ذكور	16
		أطفال إناث	32
		رضع	32
7	Galeras de lomelinos	رجال	57
		نساء	87
		أطفال ذكور	54
		أطفال إناث	23
		رضع	16
8	Galeras Decigolas	رجال	74
		نساء	90
		أطفال ذكور	10
		أطفال إناث	10
		رضع	12
9	Galeras Oldas	رجال	54
		نساء	31
		أطفال ذكور	23
		أطفال إناث	21
		رضع	20
		المجمـــوع	[1]1791

[1] C. Benafri, op.cit, pp.117-118. و قارن عند: H. Lapyre, op.cit, pp.57-58.

و أثناء انتقال المهاجرين الأندلسيين من وهران إلى المناطق المجاورة تعرض لهم الأعراب في الطريق و نهبوا أموالهم، حيث تذكر بعض المصادر أن بعض القبائل الوهرانية، كانت تقوم بأعمال وحشية ضد المهاجرين الأندلسيين، فتفقر البطون آملة أن تجد فيها المجوهرات و تعمل على تجريدهم من أملاكهم. و قد سار على هذا النهج المؤرخ **أبوراس الناصري** في كتابه عجائب الأبصار في حديثه عن المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، عما ارتكبته قبيلة هبرة بميناء آرزيو من تعذيب و تقتيل مما دفع بالشيخ **محمد أقدار التوجيبي** الذي استنهض الشيخ **أحميدة العبد**، و حثه على أن يغزو بعشائر سويد على قبيلة هبرة (بين المحمدية و سيق). حتى أن هبرة بطشت بالأندلسيين: "...يفقرون بطونهم لما يظنون من ابتلاع نحو جواهر"[1] . و ذكر **المقري**: "...فتسلط عليهم الأعراب و من لا يخشى الله..."[2] .

لم يشر **المقري** إلى عملية بقر البطون و التقتيل، لأن أية محاولة لتفسير هذه الرواية على أسس تاريخية لا قيمة لها و لا معنى. لأن كلمة بقر البطون لا تميت بصلة مع الأهالي فهذا نوع من التزييف و المبالغة. و ذلك لما كان يتمتع به الأندلسيون من رفاهية و رغد في الجزائر قبل المرحلة السابقة لسقوط غرناطة.

إن القبائل الجزائرية في هذه الفترة كانت متحضرة و غير مستعدة للهجوم و البغي على إخوانهم في الدين. و في هذا الصدد فإن أغلبية الرواة الغربيين و (المغاربيين) في تلك الفترة، مجمعون على أن بعض المدن و الموانئ (المغاربية). قد أساءت استقبال الموريسكيين في وهران و تلمسان، حيث قام البدو بسلبهم و قتلهم.

و قد كتب المؤرخ الإنجليزي **شارل لي** (Lea) حول هذا الموضوع: "لم يكن مسلمو تطوان متسامحين... و قد أضيفت إلى الموريسكيين مآساة جديدة، و هذا إلى درجة أن جميعهم لم يكونوا فرحين ليعلموا أن هناك موريسكيين مسيحيين ثابتين في دينهم قد رجموا أو قتلوا، و هذا نتيجة رفضهم دخول المساجد، و في البلاد المغاربية، و كقاعدة عامة، كانت آلام المهجرين شنيعة جدا. و عندما نزلوا بوهران سعوا لتبني

---

[1] ابن سحنون، الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني (تحقيق و تقديم): المهدي البوعبدلي)، قسنطينة، منشورات التعليم الأصلي، سلسلة التراث 1973، ص 27-28.

[2] المقري، المصدر السابق، ج4، ص 528.

خطة إنشاء دولة موريسكية... و لا شك أن الموريسكيين لم يكونوا يدركون الوضعية العامة، إلى أن عاينوا بأنفسهم كره العرب البدو لهم، و أنهم لا يرغبون الآن إلا في الرجوع إلى إسبانيا ليموتوا مسيحيين..."[1] .

و مهما يكن من انتقاد لهذه الروايات فإن بعض الباحثين المعاصرين تبنوا مثل هذه المواقف بهذه الفترة الحرجة، محللين إياها بشكل غير متوازن و هو الأمر الذي جعلهم يركزون على الطابع غير الإنساني و السلبي لمواقف بعض الطبقات الإجتماعية للأهالي[2] . هذه الوضعية الناجمة عن الفوضى الإدارية و السياسية للمغرب، كونها ظاهرة تاريخية قديمة، و المتمثلة في الصراع القبلي و نهب الأملاك، لم يستطع النظام العسكري العثماني القضاء عليها.

و إذا كان بدو وهران و تلمسان قد نهبوا أو سرقوا أملاك و ثروات الموريسكيين الذين حلوا بالساحل المغاربي، دون أن يقع القصاص عليهم، فهذا غير معقول لأن الأهالي لم يكونوا على علم بمآساة الموريسكيين السياسية و الدينية و على الخصوص حول نتائج طردهم من الأندلس. بل تم نهب هؤلاء الموريسكيين بسبب مظاهر الثراء البادية عليهم. و من هذا المنطلق تطرح التساؤلات التالية:

- هل كانت السلطات تعلم بما ارتكبه البدو في حق الموريسكيين؟
- و هل كان هؤلاء واعون بعملية النهب و السلب التي مارسوها تجاه هؤلاء الموريسكيين الذين التجأوا إلى الساحل المغاربي كالتماس الأمن و الحماية؟

إن أعداد الموريسكيين الوافدين على إيالة الجزائر خلال هذه المرحلة، كان أقل إذا ما قورن بمثيله في كل من المغرب و تونس، و نرجحه في رأينا إلى تعرض هؤلاء المهاجرين البائسين للاعتداء و النهب و السلب من طرف القبائل المحلية من جهة، و إلى طبيعة الحكم العثماني بالجزائر على أساس كونها إيالة دار الجهاد و محور صراع دائم مع القوى المسيحية في المنطقة من جهة أخرى[3] .

---

[1] شارل، لي، العرب و المسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة، (تعريب: حسن الكرمي)، بيروت: منشورات دار لبنان للطباعة و النشر 1988، ص 212.

[2] A. Domingnez Ortiz et B. Vincent, op.cit, pp. 225-245. و أيضا: J. Penella, op.cit, p. 86.

[3] أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 141.

و مما يلاحظ أن الأندلسيين خلال هذه الفترة كانوا يتعرضون إلى مخاطر كثيرة في طريقهم إلى الجزائر، ففضلا عن الأضرار التي لحقت بهم من جراء غارات و هجومات الأعراب و انتشار الأوبئة، نجدهم يتلقون أبشع أنواع التعسف و الظلم على أيدي ربابنة السفن الإسبانية، وقد ينتهي بهم الأمر إلى الغرق في البحر كما حدث لمهاجري سفينتين كانت متجهتين من قرطاجة إلى وهران فغرقتا في وسط البحر في شهر ديسمبر 1609م[1] .

و لعل هذه الظروف الصعبة التي عرفها الموريسكيون الأندلسيون و هم يهاجرون إلى إيالة الجزائر، هي التي دفعت البعض منهم إلى العودة مرة أخرى إلى إسبانيا و إعلان تبعيتهم لملك إسبانيا و التظاهر بإعتناقهم المسيحية، مثل الجماعة التي عاد بها القبطان **باري** (Barret) من وهران إلى إسبانيا على ظهر سفينته و هذا ما أوحى إلى بعض الكتاب الغربيين إلى القول بأن أكثر من ثلثي المهاجرين إلى وهران فضلوا العودة إلى الأندلس نظرا للمضايقات التي تعرضوا لها، و هذا فيه كثير من المبالغة و التحيز[2] .

و صاحب الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قدوم جماعات كبيرة من اليهود الذين استقروا بالحواضر الكبرى. و أصبحت الجماعة اليهودية ذات الأصل الأندلسي تشكل طبقة إجتماعية ذات تأثير واضح على الحياة الإقتصادية و الإجتماعية، و هذا ما سنراه في مبحثنا حول يهود شبه الجزيرة الإيبرية.

---

(1) H. Lapyre, op.cit, p.60.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، المصدر السابق، ص 136.

4- يهود شبه الجزيرة الإيبيرية في المغرب الأوسط

عندما بدأت الحواضر الإسلامية بالأندلس تتساقط تحت ضربات الإسبان المسيحيين، أضحى العنصر اليهودي عرضة للبطش و القتل و خاصة في سنة 1391 بإشبيلية. حيث مارست الأوساط المسيحية أساليب الإضطهاد التعسفي ضدهم[1] . و في عهد الملكان الكاثوليكان، صدر مرسوم بتاريخ 31 مارس 1492 يقضي بطرد اليهود من مملكتي قشتالة و أراغون و بعدها من إسبانيا[2] . و عملت محاكم التفتيش على مصادرة أملاكهم و ملاحقتهم قصد تنصيرهم.

و تمت مطاردة اليهود حتى سواحل شمال إفريقيا، فقاس هؤلاء اليهود الويلات من جراء هذه الملاحقة، و ذلك من خلال ممارسات محاكم التفتيش الرامية إلى مطاردة اليهود و العمل على تشريدهم و تجريدهم من وسائل رزقهم، حتى ذهب أحد الكتاب اليهود إلى تشبيه التعذيب، بتدمير هيكل القدس: "لقد شهدت مظالم هؤلاء الغزواة (الإسبان) الذين قاموا بتعذيب النسوة و الأطفال و الفتيان...كما أحرقوا المعابد و الكتب..."[3] .

عرف يهود إسبانيا أو "يهود الأندلس" في الأوساط العبرية بـ"الميغورشيم"[4] و "بالكبوسيين" نسبة إلى "الكبوسة الحمراء" التي كانوا يضعونها على رؤوسهم، كما لقبوا "بالسفارديين" (Sepharades).

لقد اضطر اليهود تحت الضغوطات و الإضطرابات من جراء الاضطهاد الإسباني لهم، إلى البحث عن مواقع جديدة، يعيدوا هيكلة أمورهم في مناطق أكثر أمنا

---

(1) André, Chouraqui, Les juifs d'Afrique du Nord, Paris, P.U.F, 1952, pp. 74-75.
و أيضا: Maurice, Eisenbeth, Le judaïsme nord africain, études démographiques sur les Esraélites, contantines, S.D, pp.25-37.

(2) حول طرد يهود شبه الجزيرة الايبرية راجع: -Beatrice, Leroy, L'expulsion des juifs d'Espagne, Paris, ed. Berg international, 1990, 174 p.

(3) B. Cohen et R. Ayoun, Les juifs d'Algérie deux mille ans d'histoire judaïque, Paris, 1982, p. 378.

(4) هذه الكلمة العبرية مفردها (Mégorach)، و معناها الهارب أو المطارد، أطلقت على اليهود الذين فروا من شبه الجزيرة الايبرية إلى شمال إفريقيا. للمزيد من التفاصيل راجع: A. Chouraqui, op.cit, p. 271.
B. Cohen et R. Ayoun, op. cit, p. 88.

و استقرارا، أدى إلى تجمعهم في المدن الساحلية الجزائرية، التي تتوفر فيها الشروط الملائمة لممارسة الوساطة التجارية[1] .

و منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، أصبحت مدن المغرب الأوسط الساحلية (الجزائر، شرشال، برشك، تنس، مستغانم، مزغران، وهران، هنين، بجاية)، مراكز حضرية تشكل أهم نقاط تمركز الجالية اليهودية بالجزائر[2] .

و تشير بعض الدراسات إلى مساهمة يهود إسبانيا في دفع الحركة التجارية بالمغرب الأوسط خلال الفترة الزيانية، و هذا من خلال نشاطاتهم المالية و التجارية[3].

و قد رحب حكام الجزائر منذ البداية باللاجئين اليهود باعتبارهم عناصر نشيطة في المجال الإقتصادي، و جلب اليهود معهم صناعة ضرب العملة و أعمال الصياغة. و سيطروا على نفوذ التجارة بشقيها الداخلي و الخارجي بالمغرب الأوسط و هذا قبل التواجد العثماني. و أصبح اليهود بالجزائر يشكلون طبقة برجوازية مميزة في المدن الساحلية، و احتكروا الصنائع و التجارة[4] .

و تجمع الدراسات التاريخية على أن الجالية اليهودية كانت قوية خلال العهد العثماني، و أنها كانت تعيش في أهم مدن إيالة الجزائر و بالأخص مدينة الجزائر، و قد عملت الدولة العثمانية على استقبالهم بكل حفاوة، و سهلت عملية ادماجهم في حركية اقتصاد الإيالة[5] .

بدأ الإهتمام بالجالية اليهودية الأندلسية منذ عهد **خير الدين** بيلر باي الجزائر، الذي رخص لهم في الإقامة الدائمة في مدينة الجزائر مقابل دفع ضريبة[6] . كما رحب سكان الجزائر باليهود الوافدين من إسبانيا و أكرموا منزلهم، و وفروا لهم وسائل الأمن

---

(1) فوزي، سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزائر: شركة دار الأمة، بدون تاريخ، ص 120.

(2) B. Cohen et R. Ayoun, op. cit, pp. 88-89.

(3) محمد، دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 حتى 1830م، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق 1985، ص 22.

(4) المصدر نفسه، ص 35.

(5) F. Brandel, op. cit, T2, pp. 135-136.

(6) Grammont (H.D de), op. cit, p. 233.

و الإستقرار، و هذا حسب تعبير **ايزانبيت**: "تمتع اليهود بعطف الحكام المسلمين الذين سمحوا لهم بالإستقرار في بلادهم"[1] .

و أغلب المصادر اليهودية تثبت بأن الجالية اليهودية الأندلسية ظلت تشرف على شؤون اليهود القدماء (التوشابيم أو الأهالي)، من ناحية التمثيل المدني و الديني، خاصة و أن يهود الأندلس كانوا على صلة وثيقة بالتراث الأدبي العبري في الأندلس. و يلاحظ أنه خلال الحكم العثماني كانت جميع المناصب الحاخامية بيد الوافدين من إسبانيا[2] ، فنجد في مدينة الجزائر **إسحاق برفت**[3] و **سيمون سماش دوران**[4]، و في وهران **عمران بن مراوس إفراتي**، و في قسنطينة **جوزيف بن منير**، و **ميمون بن سعدية النجار**، و في تلمسان **إبراهيم بن حكوم** و **إفراييم انكوا** و في بجاية **ابن يامين عمار**.

لقد نظر معظم المؤرخين إلى **إسحاق برفت** و **سيمون سماش دوران** على أنهما مؤسسان حقيقيان لليهودية في المغرب الأوسط، و هذا من خلال دورهما في إحياء التراث الديني اليهود و في بعث اليهودية من جديد[5]. و تظهر هذه الريادة في حفاظ الجالية اليهودية الأندلسية بمركزها الديني، و في التحكم في توجيه المجتمع اليهودي بالجزائر[6] .

و قد اضطر بعض الحاخامين الأندلسيين إلى محاربة بعض العادات المحلية و التي لا تتناسب و العادات الجديدة لليهود الإسبان، مثل الأحوال الشخصية من قضايا الزواج و الإرث. هذه التعاليم استمدت من النظام الطائفي الأندلسي، الذي أحدث ثورة في تقاليد اليهود المحليين.

---

(1) M. Eisenbeth, « Les juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque (1516-1830) », in, R.A (N°97), 1952, p. 152.

(2) محمد، دادة، المصدر السابق، ص 24.

(3) ولد الحاخام اسحاق برفت في برشلونة حوالي 1360م. و تولى منصب الحاخامية في سرقسطة و بلنسية. هاجر إلى المغرب الأوسط عام 1391م. و استقر بمدينة الجزائر حيث انتخب على رأس الطائفة اليهودية، حتى وفاته سنة 1408م.

(4) ولد الحاخام سيمون بن سماش عام 1361م، هاجر من إسبانيا سنة 1391م، ليستقر بمدينة الجزائر، حيث أصبح فيها حاخاما حتى وفاته عام 1442م.

(5) محمد، دادة، المصدر السابق، ص 27.

(6) نفسه.

و يعتمد هذا التنظيم الطائفي على نظام مركزي أحادي القطب، يرتكز على سلطة واحدة شاملة لجميع يهود الجزائر، يرأسها الحاخام الكبير "رئيس الأمة اليهودية"[1] .

و قد كان للجماعات اليهودية الأندلسية بالجزائر هدفان:

- وضع مجلس طائفي يعتمد على نظام الحلخة [2] (Halakha)، ينتخب وفق الأصول اليهودية.
- نشر التعاليم الميغورشيمية الجديدة بين التوشابيم[3] .

و مما يلاحظ أن الجماعات اليهودية الأندلسية بقيت تحافظ على مركزها الديني، حيث استطاعت من التحكم في توجيه المجتمع اليهودي، الذي ظل يتخبط في مشاكله الدينية و المدنية. و كان اليهود الموجودين بتونس و فرنسا و غيرهما من الدول، يستشرون يهود الأندلس في المسائل القضائية و الطقسية عن طريق المراسلات[4] .

و بتقادم الزمن أصبح يهود إسبانيا بالجزائر في حالة جيدة، فهم يملكون العقارات و العبيد، و يزاولون تجارة القوافل و يتاجرون في الصوف و الحرير و النسيج و الأصبغة و الشمع و ريش النعام، و الأحجار الكريمة و الصياغة و صناعة الخمور و صيد الأسماك[5] .

و من الواضح أن الجماعات اليهودية القادمة من إسبانيا، تميزت عن اليهود الأهالي ليس من الناحية العددية و المادية فقط، و إنما في الناحية الفكرية و الدينية أيضا.

---

[1] فوزي، سعد الله، المصدر السابق، ص 120.

[2] الحلخة هي نصوص تشريعية من التلمود (كتاب مقدس عند اليهود، يحتوي على الهوامش و الشروح الفقهية). تقنن الممارسات الدينية اليومية عند اليهود.

[3] التوشابيم هم اليهود المحليين.

[4] محمد، دادة، المصدر السابق، ص 26.

[5] M. Eisenbeth, Les juifs en Algérie..., op. cit, pp. 128-129.

و قد شمل الإختلاف العادات و الممارسات الدينية و النطق باللغة العبرية. و على هذا الأساس، شكلت الجماعات الوافدة من الأندلس مجتمعها الخاص، و عاشت على حدة. فقد عرفوا "بحاملي القبعات". أما اليهود القدماء فاصطلح على تمسيتهم بحاملي العمائم[1] .

و على الرغم من وجود تعاطف نسبي بين الجماعتين اليهوديتين في بداية الأمر، فإنه لم يحدث إندماج و انصهار بينهما، ذلك أن أفراد الجالية اليهودية الأندلسية كانوا يشعرون باللحمة التي تربط بينهم، لحمة الجماعات المتنقلة إلى أرض غير أرضها.

و لعل من أهم العوامل التي عاقت الإختلاط و الإمتزاج في بداية الأمر، الفوارق الحضارية التي كانت حاجزا يزيد عمقا و إتساعا باختلاف الطبقات و الثروات و أساليب التربية، إذ كان المهاجرون يعدون أنفسهم أرقى حضارة و ألطف أخلاقا[2] .

و تشير أغلب المصادر اليهودية إلى أن يهود إسبانيا، قد جلبوا إلى المغرب الأوسط المال و العلم و كفاءاتهم و استعدادهم الفطري للتجارة و الصناعة. و قد جلب هؤلاء اليهود من إسبانيا طاولات القانون المطرزة بالذهب، الاي حفظت في كنيستهم الموجودة في الجزائر لغاية 1962م. كما حافظوا على المخطوطات التي ورثوها عن أجدادهم في إسبانيا[3] .

لقد لقيت المجموعات اليهودية المهاجرة إلى المغرب الأوسط استقبالا حسنا، بينما المجموعات الأخيرة، لم تحظ بالقبول و حسن الإستقبال، بسبب تخوف اليهود المحليين على نفوذهم و مصالحهم الإقتصادية، فعملوا على تحريض المسلمين من أجل إبعادهم عن البلاد لكن التدخل المباشر للحاخام **إسحاق برفت** عمل على اقناع اليهود الأهالي بالترخيص للمهاجرين الأندلسيين بالإقامة[4] .

---

[1] محمد، دادة، المصدر السابق، ص 23.

[2] المصدر نفسه، ص 23-24.

[3] كورين، شوفالييه،الثلاثون سنة لقيام دولة مدينة الجزائر (ترجمة: جمال حمادنة)، الجزائر :ديوان المطبوعات الجزائرية، بدون تاريخ،ص15-16.

[4] Robert, Ayoun, « Les juifs d'Oran avant la conquête française », in, R.H (N°542), 1982, p. 377.

و يشير **دي غرامون** (Grammont) إلى أن أعداد يهود إسبانيا المهاجرين إلى مدينة الجزائر خلال فترة البيلربايات (1518-1587م) قد بلغت حوالي 2000 نسمة من مجموع 100 ألف نسمة[1] .

و وجب التذكير هنا على أن التقارب كان واضحا ما بين يهود السفارديم و مسلمي الأندلس بالجزائر ، نظرا للأصول المشتركة و الظروف المتشابهة التي عرفوها بالجزائر و عايشوها بالأندلس. و الدليل على هذا التقارب أن التجار الأندلسيين تعاملوا مع التجار اليهود من ليفورفة ذوي الأصول الإسبانية، لتسهيل عمليات التبادل التجاري مع أوربا و تصريف غنائم القرصنة[2] .

لقد كانت الهجرات اليهودية من الأندلس إلى المغرب الأوسط، هجرات إضطرارية، فرار من موجة تعصب ديني أو من إضطهاد عنصري.

و اتسم النمو الديمغرافي للجماعات اليهودية في الجزائر خلال الحكم العثماني بالتكاثر، نتيجة الهجرات الكبرى لليهود الفارين من إسبانيا و البرتغال إثر سقوط غرناطة سنة 1492م. ثم في سنة 1497م. بسبب المطاردات و ملاحقة محاكم التفتيش لهم. كما سمحت النشاطات الكثيفة للأسطول البحري الجزائري بالبحر المتوسط من استقطاب عدد هام من التجار و الوسطاء اليهود من أوربا، و الذين تحولوا إلى أهم زبائن غنائم الأسطول الجزائري و محتكري تجارة العبيد و الأسرى المسيحيين[3] .

---

(1) Grammont (H.D de), op. cit, p. 44.

(2) ناصر الدين سعيدوني. دراسات... العهد العثماني. المصدر السابق. ص 146.

(3) فوزي سعد الله. المصدر السابق. ص 113.

و في ختام هذا الفصل، فإن المغرب الأوسط (الجزائر) كان دائما مجالا حيويا لقدوم الأندلسيين إليه، و هذا منذ الفتح الإسلامي للأندلس.

و عندما استقر الحكم العثماني بالمغرب الأوسط و تأسست إيالة الجزائر، فتحت الباب على مصراعيه للمهاجرين، و قدمت لهم كل التسهيلات و الإمكانيات اللازمة، سواء على صعيد عمليات الإنقاذ أو على صعيد الإدماج الإجتماعي و الإقتصادي. بل تعدى الأمر إلى تقديم المساعدات العسكرية للموريسكيين بإسبانيا نفسها.

كما سجلنا الدور الرائد للبحرية الجزائرية خلال هذه المرحلة، باعتبارها محطة استراتيجية لعمليات الإنقاذ. و كانت الدولة العثمانية تعتبر إيالة الجزائر محورا هاما في مقاومة التحرشات الإسبانية و تعرضنا لأهم مراكز تجمعات الأندلسيين بالمدن الجزائرية.

و في النهاية تعرضنا إلى هجرة يهود شبه الجزيرة الأيبيرية إلى المغرب الأوسط، و عن التمايز الواضح ليهود الأندلس عن اليهود المحليين من الناحية العددية و المادية من جهة و من الناحية الفكرية و الدينية من جهة أخرى.

الفصل الرابع

الاسهام الحضاري الأندلسي في إيالة الجزائر

1- الأندلسيون و النشاط الإداري و العسكري

2- الأندلسيون و النشاط الإقتصادي

2-1- الأندلسيون و النشاط الفلاحي

2-2- الأندلسيون و النشاط الصناعي و الحرفي

2-3- الأندلسيون و النشاط التجاري

3- الأندلسيون و الحياة الإجتماعية

4- الأندلسيون و الحياة الثقافية

4-1 الأندلسيون و النشاط الثقافي

4-2 الأندلسيون و النشاط العمراني

ساهمت الجالية الأندلسية في إيالة الجزائر بمختلف شرائحها في المجالات الادارية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

و سنحاول أن نعرض في هذا الفصل لنماذج من هذه المساهمة.

الفصل الرابع

الاسهام الحضاري الأندلسي في إيالة الجزائر

بعد صدور قرارات الطرد الجماعي سنة 1609م. توجهت مجموعات كبيرة من الموريسكيين نحو الجزائر، قادمة من غرناطة و الأندلس و أرغوان و بلنسية و كاطالونيا. و خلال زيارة الأب دان (DAN) لمدينة الجزائر عام 1634م، حاول تقدير سكان المدينة بـ100000، و هذا ناتج مما لا شك فيه إلى النزوح المستمر للأندلسيين[1] .

و قد تقاطر الموريسكيون على سواحل الجزائر مثل عنابة، مستغانم، برشك، القليعة، جيجل و تلمسان, و خلال الهجرة الأخيرة، فإن المناطق الساحلية للغرب الجزائري، كانت أكثر حظا في استيعاب المهجرين و خاصة إلى مناطق وهران و أرزيو و سهول متيجة.

و الرقم الذي أعطاه الأب دان يدل فيما يبدو أن مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر، أبقت على سكانها في رقم معقول مستقر و هو ثلاث مائة ألف إلى مائة و خمسة و عشرين ألف نسمة من أحرار و أرقاء. و في هذا الصدد يذكر المؤرخ الأمريكي **وولف** أن أعداد المهاجرين الأندلسيين نحو مدينة الجزائر، خلال هذه المرحلة قد بلغ نحو سبعة آلاف نسمة، حيث يقول: "و الثغريون و الأندلسيون الذين جاؤوا إلى الجزائر في عائلات لاجئة من الأندلس، و هم في العادة يبلغون سبعة آلاف نسمة[2] و **أماهايدو**[3] ، فقد ذكر أن حوالي 60000 موريسكي نزح من إسبانيا نحو الجزائر، معظمهم يتمهنون صناعة الجلود و صنع الأسلحة، و يتحولون بسرعة إلى جنود متمرسين للدفاع عن المدينة، عند تعرضها للغارات الإسبانية[4] .

---

(1) DAN (P), op.cit, p. 89.

(2) جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 157.

(3) كل الكتاب الذين تناولوا تاريخ إيالة الجزائر، يعتمدون على العمل الذي كتبه هايدو. و هو راهب إسباني كان سجينا بالجزائر خلال سنوات 1578 1581. و يعتبر عمله أساسيا لكل الكتابات الغربية اللاحقة عن الجزائر.

(4) M. Ravillard, op.cit, T2, p.145.

و تشير مصادر أخرى إلى أن الأندلسيين نزلوا مدينة شرشال و أعادوا بناء عدد من دورها و زرعوا الأراضي بها، ثم صنعوا كثيرا من السفن الملاحية، و اشتغلوا بصناعة الحرير، بعد حصولهم هناك عاة أعداد كبيرة من أشجار التوت الأبيض و الأسود. فعاشت الجالية الأندلسية في رخاء حتى أصبح عدد المنازل المقامة في شرشال مائتين و ألف بيت[1] .

إن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات و الأنشطة، جعل منهم نخبة مميزة في نظر السلطات، حيث استفاد الأتراك العثمانيين من خبراتهم و مهاراتهم في شتى الأمور. و قد أثرت هذه المساهمة في فعاليات التاريخ الجزائري في العهد العثماني، و هذا راجع بالدرجة الأولى إلى حيوية الأندلسيين، و التي شبهها أحد الباحثين بالدور البسيكولوجي في المجتمعات (المغاربية)[2] . و مما يؤكد ذلك، شهادة **هايدو** على نَشاطهم الجهادي و العسكري و مساهمتهم الفعالة في تدعيم إيالة الجزائر[3] .

---

[1] الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 34.

[2] R. (G), Landa, Les morisques...op.cit, p.210.

[3] Haedo, Topographie...op.cit, p. 495.

1- الأندلسيون و النشاط الإداري و العسكري

ساهم الأندلسيون في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر، فقد مدوا يد العون للإخوان **عروج** و **خير الدين بربروسة** في صراعهما مع الإسبان، و وقفوا بجانبهما في محاربة بقايا الإدارة الحفصية و ناصروهما ضد الزعماء المحليين مثل سالم **التومي** شيخ الجزائر و **أحمد بن القاضي** أمير كوكو. و كثير من الكتاب يؤكدون على أن الأندلسيين قد أغنوا مدينة الجزئر بكفاءتهم و مهارتهم[1] .

و تنوه معظم المصادر التاريخية إلى الدور التاريخي الذي لعبه المهاجرون الأندلسيون في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر (1516-1541م)، حيث ساهموا في الدفاع عن مدينة الجزئر ضد الغارات الإسبانية المتكررة. و في هذا السياق يذكر **مرمول** بأن الأتراك أرسلوا حوالي 300 جندي من الموريسكيين ذو أصول أندلسية و مدجن و ثغري إلى مدينة المدية لحمايتها و استتباب الأمن فيها[2] .

و تؤكد أرشيفات محاكم التفتيش الإسبانية، عن الدور الرائد الذي أدته يومئذ إيالة الجزائر في هذا الصراع ضد إسبانيا الكاثوليكية، و يرجع ذلك أساسا إلى (عثمنة) الإدارة الجزائرية من جهة و إلى حسن اختيار المسؤولين الإداريين العثمانيين و حنكتهم من جهة أخرى، هذا فضلا عن الوحدة السياسية و الجغرافية التي تمتعت بها إيالة الجزائر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

و يضاف إلى ذلك ما قدمه أفراد الجالية الأندلسية من خدمات إدارية لصالح العثمانيين. فقد اشتهر الأندلسيون بتحصيل الضرائب و جمع وموارد الخزينة العامة و القيام بتسجيلها وفقا لتعليمات الإدارة العثمانية بالجزائر، و هذا ما سهل تعامل الإدارة مع بقية عناصر مجتمع الإيالة. و بفضل خبرتهم المالية مارسوا أعمال القرصنة و النخاسة و مبادلة الأسرى و المشاركة الفعالة في تمويل مشاريع القرصنة[3] .

و شكل الأندلسيون القاطنين بإيالة الجزائر، خطرا كبيرا على أمن الشواطئ الإسبانية، و خاصة في الخوض الغربي للبحر المتوسط، إذ كانت هجوماتهم مع

---

(1) جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 151.

(2) Marmol, op.cit, T2, p 214.

(3) Laugier, de Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Paris, ed Loysel, 1992, p. 69.

الأسطول الجزائري تزرع الرعب في قلوب سكان سواحل إسبانيا. و قد عبر أحد الكتاب الغربيين عن ذلك بقوله: "إن الميزة المشتركة لدى الموريسكيين هو أنهم يكرهون المسيحيين، و عندما تسمح لهم الفرصة و تتوفر الإمكانيات، يجهزون سفنا، و يلقون القبض على السفن الإسبانية، و يتخدونهم أسرى، رغبة في الانتقام"[1] .

و عمل الموريسكيون على تنشيط حركة الجهاد البحري و الهجوم المتواصل ضد السواحل الإسبانية بواسطة الأسطول البحري الجزائري، و بفضل معرفتهم الجيدة للغة القشتالية (الإسبانية)، و للأماكن الجغرافية و الطرق البحرية، و ترجع المساهمة الأندلسية في ميدان الجهاد البحري إلى مجالات تجهيز السفن و المعدات و هذا من أجل انقاذ من بقي من المسلمين في الأندلس[2] .

و رغم المجهودات المكثفة التي بذلتها إسبانيا لوضع حد نهائي لأي اتصال بين الموريسكيين داخل إسبانيا و المجاهدين، فإن تبادل الرسائل ظل مستمرا، و ذلك بغرض تدبير عمليات انقاذ الموريسكيين و اهدادهم بالأسلحة، و هذا ما أكده الكونت **دي ميراند** (Compte de miranda) عام 1588م. عندما صرح بأن "الموريسكيين يجتازون البحر في الربيع إلى شمال إفريقيا"[3] .

إن منطقة شمال إفريقيا مؤهولة بموريسكي غرناطة و بلنسية و أراغون، و توجد خلفها الغابات اللازمة لصناعة السفن الصغيرة التي تتميز بسرعة الحركة و القدرة على الهجوم. و فعلا فقد انتظم "موريسكيو شرشال في جماعات خاصة تقوم بهجومات سريعة و خاطفة على السواحل الإسبانية، إذ بمجرد ما تصل إليها سفنها الصغيرة الرمال، و تنطلق نحو الداخل لتخليص الأهالي، و أسر المسيحيين الذين يباعون في سوق الجزائر "[4] .

---

(1) كورين، شوفالييه،المصدر السابق، ص 14.

(2) J. Monlaü, op.cit, p. 72.

(3) F. Braudel, Conflits...op.cit, p.403.

(4) Idem.

لقد ساعد الأندلسيون البحرية الجزائرية في الهجوم ببراعة على السواحل الشرقية الإسبانية، و تمكنوا من صنع سفن شراعية و فرقاطات من الخشب بشرشال. و كانوا يفضلون النزول ليلا إلى سواحل إسبانيا، و هذه إحدى الحيل التي استعملها الأندلسيون في حركتهم الجهادية[1] .

و تشير معظم المصادر التاريخية إلى الدور الذي لعبه الأندلسيون الموريسكيون في المرحلة الثانية من تأسيس الحكم العثماني بالجزائري (1614-1830م)، حيث كان هذا التواجد واضحا في الإدارة و الجيش خاصة، بحيث أن معرفتهم لاستعمال السلاح الناري و وحدة هدف هذين العنصرين، جعل منهم فئة نشيطة دائما في الجيش العثماني المؤسس بالإيالة، **فخير الدين بربروسة**، عندما دخل مدينة المدية بعد انهزام حاكمها **محمد بن عابد** عام 1517م[2] ، ترك بها إلى جانب الحامية التركية فئة من الأندلسيين، و كذلك لدى دخوله مدينة تنس حيث رافقه ألف جندي انكشاري إلى جانب 500 رجل من أهالي غرناطة و بلنسية و أرغوان. و قد جرت معركة حاسمة قرب سهل الشلف، و انهزمت فيها قوات **حميدة العابدين**[3] .

و ذكر **مرمول** الذي رافق شارل الخامس، الحماس البطولي الذي تميز به **حسن باشا** (1544-1552م)، الذي تصدى لحملة **شارل** على مدينة الجزائر (1541م) بقوات شكلها 800 جندي من الأتراك و القبائل المحلية و حوالي (5000) أندلسي[4].

إن هذا التواجد العسكري نستقيه كذلك من رسالة الملك **فليب الثاني** إلى سفير فرنسا بمدريد بتاريخ 6 جويلية 1566م، و التي جاء فيها أنه يوجد بإيالة الجزائر حوالي (15000) جندي جيد التنظيم و التسليح، من بينهم ستة آلاف (6000) موريسكي[5].

---

(1) Haedo, Topographie...op.cit, pp. 92-93.

(2) H. Federman, « Sur l'histoire de l'administration du Beylik de Titeri », in, R.A (N°09), 1865, p. 281.

(3) Haedo; Histoire...op.cit, p. 26.

(4) Marmol, op.cit, T2, p. 11.

(5) Garcia (A), Mercedes, Los moriscos...op.cit, pp. 177-178.

و إلى جانب الخدمات الأندلسية في الميدان العسكري، فقد استعان حاكم مليانة **حسن علي** من خبرات 500 أندلسي من مجموع 4000 مقاتل من المشاة. و قد شكل الأندلسيون فرقة الرماة للقضاء على ثورة **الشيخ بوطريق** باقليم الجزائر[1] .

كما شارك الموريسكيون في حملة البيلر باي حسن قورصو في حملته ضد الحاكم الإسباني بوهران سنة 1556م. و **درغوت رايس** ضد المحمية العسكرية الإسبانية بالمهدية، و يضاف إلى مساهمتهم الفعالة في تسليح و تموين السفن و تكوين الفرق البحرية[2] .

و لقن الموريسكيون سكان إيالة الجزائر فنون أوربا، و خاصة في المجال العسكري، و بذلك أصبحت مدينة الجزائر منطقة أسطورية في الدفاع. و تشير بعض الدراسات إلى براعة الموريسكيين في صنع الأسلحة و تحضير البارود و صناعة السفن و بخاصة في مدن الجزائر، شراشال و جيجل[3] .

كما ساهم الأندلسيون في تقوية الجيش العثماني بإيالة الجزائر بفضل خبرتهم كمقاتلين محترفين، حيث تعتبرهم بعض الدراسات على أنهم المؤسسين الحقيقيين للإيالة الجزائرية.

و كان لهم نشاط بحري واسع في مدينة الجزائر كما برعوا في تجارة الأسرى و الغنائم. و لقد اشتهر منهم بحارة (رياس) كثيرون، منهم الرايس **بلانكو** و الرايس **أحمد أبو علي** من أشونية و **مراد الكبير** و**جواد ياتو** من ثيودال ريال، و كانوا يعملون في الجهاد البحري ضد الإسبان[4] .

و مما يدل على أهمية النشاط الأندلسي في الأعمال البحرية، أن المعاهدة

---

(1) A. Berbrugger, « El Hadj Pacha », in, R.A (N°08), 1864, p. 296.

(2) J. Monlaü, op.cit, p. 73.

(3) Garcia (A), Mercedes, Los moriscos...op.cit, p. 178.

(4) محمد عبد الله، عنان، نهاية الأندلس، ص 388.

الفرنسية-الجزائرية لعام 1640م[1] ، خصت السفن الأندلسية بالذكر عندما حددت في البند العاشر مسؤولية ما يلحق بالمراكب الفرنسية من خسائر جراء تعرضها من طرف السفن الجزائرية[2] .

و تبدو أهمية الموريسكيين بشمال إفريقيا و بالأخص إيالة الجزائر، من خلال التقارير الواردة من المنطقة إلى إسبانيا، ففي تقرير سري إسباني عن حالة الجزائر، بعث به من بجاية في 29 مارس 1535م، ورد ما يلي: "...يوجد الآن في مدينة الجزائر ألفان (2000) من الأتراك و سبعة أو ثمانية آلاف من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر و مليانة و بقاع أخرى وضع بها بربوسة **(خير الدين)** حاميات"[3] .

و قد تعدى التحالف العثماني-الأندلسي في هذه المرحلة و الذي تعدى حدود الإيالة نفسها، بحيث عند قيام بايلر باي إيالة الجزائر آنذاك، **رمضان باشا** (1574-1577م)، بمساعدة مولاي **عبد الملك**، لاسترجاع عرشه بالمغرب عام 1576. كان يصاحبه إلى جانب القوات التركية، عدد هام من الموريسكيين[4] .

إن كل هذه الإشارات التاريخية تدل و لا شك على قوة التحالف و وحدة الهدف الذي ربط العثمانيين و الأندلسيين في المرحلة الأولى من تأسيس إيالة الجزائر. و كانت معظم العائلات الأندلسية المهاجرة إلى إيالة الجزائر، قد لفتت أنظار الرحالة و الكتاب الغربيين، و خاصة إذا علمنا أن هؤلاء كانوا يخرجون إلى البحر في أساطيل مهاجمة، و يغيرون على بلاد الأندلس بمهارة و دراية لا تأتي إلا من معرفتهم بالبلاد.

و عليه لن نستغرب أن تكون السواحل الجزائرية، قد عرفت تطورا سريعا و حركة بحرية نشطة. بفضل هؤلاء الموريسكيين ذوي الأصول الآرغوانية و البلنسية و غيرها. و نال الثغريون شهرة بدفاعهم المستميت و القوى ضد محاولات الإنزال الإسبانية[5] .

---

[1] هي معاهدة السلم التي أبرمتها فرنسا مع الجزائر بتاريخ 07 جويلية 1640، و تحتوي على 16 بندا.

[2] جمال، قنان، المصدر السابق، ص 271.

[3] أحمد توفيق، المدني، المصدر السابق، ص 278-279.

[4] شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ص 33.

[5] جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 166.

و استطاع الأندلسيون في أواسط القرن السابع عشر الميلادي، من تشييد القلاع و الحصون للدفاع عن مدينة الجزائر. و أثناء زيارة الأب **دان** (DAN) سنة 1634م، و الدكتور **توماس شو** (Thomas Shaw) سنة 1712م، لمدينة الجزائر. لاحظوا باهتمام الحصن الدفاعي خارج باب الواد، و الذي أقامته جماعة من الثغريين، و كان هذا الانجاز العمراني ذو النمط العسكري، قد شيد خلال فترة البيلرباي **جفعر باشا** (1580-1582م). كما أنشأت دار البارود الأندلسية المعروفة بطبونة الأندلسيين، و ذلك لتخزين البارود و الدخيرة الحربية[1].

(1) Albert. Devoulx, « La batterie des Andalous », in, R.A (N°16), 1872, pp. 340-342.

2- الأندلسيون و النشاط الاقتصادي

استطاع أفراد الجالية الأندلسية بفضل نشاطهم الاقتصادي الواسع، من تكوين ثروات ضخمة. ساهمت في فعالية اقتصاد إيالة الجزائر. و كان الأندلسيون يمارسون المهن المعروفة آنذاك، حيث تخصصوا في مختلف الحرف السائدة في مجتمع الجزائر.

و قد شبه المؤرخ الفرنسي **ابراهيمي** (D. Brahimi)، نشاط الأندلسيين بإيالة الجزائر، مقارنة بنظام الطوائف، بأنها تمثل النخبة البرجوازية التي تحتكر دواليب الحركة الاقتصادية؛ و كانت هذه الجالية بمثابة المؤشر المالي للرأسمالية الحديثة في العهد العثماني[1] .

2-1- الأندلسيون و النشاط الفلاحي

برع الأندلسيون في الميدان الفلاحي، و خاصة في مجال الري، حيث استغل أفراد الجالية الأندلسية امكانياتهم، و استصلحوا أراضي شاسعة في سهول متيجة و مرتفعاتها، و مناطق أخرى مثل شرشال و البليدة و عنابة و وهران و تلمسان. كما ساهم فلاحو بلنسية و آراغوان، من تلقين سكان الجزائر، تقاليد الفلاحة، فازدهرت بذلك زراعة الأشجار المثمرة[2] .

أما الأشجار المثمرة التي اهتم الأندلسيون بغرسها فهي حب الملوك (الكرز) و التفاح الحلو و البرقوق و الإجاص و البرتقال و المشمش، و التوت لتربية دودة الحرير و اللوز و الخوخ و العنب و الرمان و السفرجل، بالإضافة إلى اهتمامهم بعصارة النبيد (الخمور) التي كانت توجه إلى الحانات التي يشتغل بها الأسرى المسيحيون في الجزائر في الفترة العثمانية[3] .

أما عن أنواع المزروعات الجديدة التي أدخلت بمقاطعة الجزائر العثمانية و التي كانت غير معروفة لدى سكان مدينة الجزائر، و يرجع الفضل في إدخالها إلى الموريسكيين الذين نزحوا خلال الهجرة الأخيرة و الذين امتهن معظمهم الفلاحة؛ فمن

(1) Denise, Brahimi, "Quelques jugements sur les maures andalous dans les régences turques », in, Revue d'histoire de civilisation du Maghreb, N°09, Juillet 1970, pp. 39-40.

(2) L. de Tassy, op.cit, p. 62.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، المصدر السابق، ص 140.

بين هذه المزروعات اللارنج و التوت و الليمون. و بقول البطاطا و الفلفل و الطماطم و الباذنجان و الزعفران و السبانج (Epinards) و القرنون (Artichaut) و الكرث (Poireau) و الجلبان (Petits pois) و الملفوف (Chou) و الكرنب (Choux fleur) و القرمز (Kermes) الذي كان يستعمل في صباغة المنسوجات و الشاشية بالبليدة و دلس. بالإضافة إلى مساهمة الفلاحين الأندلسيين في تلقين سكان المناطق التي استوطنوها قواعد تربية الحيوانات المستأنسة[1] .

و بفضل براعة الأندلسيين في النشاط الفلاحي، أصبحت مناطق الريف الجزائري مثل البليدة و القليعة و شرشال تشبه مناطق غرناطة و بلنسية، كما تميز أهل الأندلس باقامة المنازل الريفية وسط الحقول و البساتين[2] .

و عمل الأندلسيون بإيالة الجزائر إلى تجديد غابات الزيتون، و أعادوا احياءها، و خاصة في منطقة عنابة، حيث تمكن الشيخ **مصطفى قردناش** الأندلسي المهاجر من تونس على عهد **علي باي**، من غرس حوالي 3000 عود (شجرة) زيتون. و وظف هذا الشيخ ثروته في فداء الأسرى الأندلسيين، الذين وقعوا أسرى في يد الإسبان[3] .

كما لجأ الأندلسيون إلى تكثيف إنتاج الخضر و الفواكه و تحسين أنواعهما، و خاصة التين الذي اشتهر بمنطقة برشك، و تم توسيع هذه الزراعة في سهول البليدة و الجزائر و القليعة[4].

و ازدهرت زراعة البساتين و انتشرت معها مزروعات جديدة كالقطن في مستغانم و نبات العناب بعنابة، و أصبحت القليعة مركزا هاما لانتاج الحرير الطبيعي بفضل تربية دودة القز[5].

و اختصت بعض العائلات الأندلسية العريقة، و التي كانت تسكن مدن قسنطينة و تلمسان و القليعة و البليدة و مليانة و الجزائر بصناعة تجفيف الفواكه و تحضير

---

(1) ناصر الدين، سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 112.

(2) المقال نفسه، ص 111.

(3) عثمان، العكاك: "عنابة قبل و بعد الاسلام"، مجلة الأصالة، العدد 34-35، الجزائر، جويلية 1976، ص 117-118.

(4) الحسن، الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 171.

(5) M. Ravillard, op. cit, T2, p. 15.

المربى و تقطير ماء الورد. و كان لنشاط المهاجرين الأندلسيين دخل كبير في ازدهار فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، إذا يعود إليهم الفضل في استصلاح سهل الحامة، و غرس الأشجار المثمرة بنواحي بئر خادم و بئر صرايلية و الثغريين، حيث أصبحت أغلب الأراضي الزراعية بهذه الجهات ملكا لأفراد الجالية الأندلسية[1] .

و تشير بعض الدراسات أن للموريسكيين فضل في نشر مزروعات الهند الغربية في بلاد المغرب العربي خلال القرن السادس عشر، مثل الذرة الصفراء و الطماطم و اللوبياء الخضراء و الفلفل الأحمر[2] .

ساهم الأندلسيون في ازدهار الفلاحة بفضل اعتمادهم على تنظيم مائي متميز، مما جعل المناطق التي استقروا بها تعرف بمناطق الزراعات السقوية. و قد أقام الأندلسيون مختلف الأنظمة من أجل التحكم في الموارد المائية و السيطرة على الأودية، من ذلك استخراج المياه و بناء الأحواض، و السواقي و الصهاريج و بناء الناعورات، و انشاء العيون، و انتشار هذه المظاهر الحضارية في الجهات الفلاحية التي استوطنوها و حتى في المواقع الحضرية متصلة بمنشآت حيوية كالحمامات و المدارس و القصبات و الأسبلة إلى جانب بساتين خاصة.

2-2- الأندلسيون و النشاط الصناعي والحرفي

امتد نشاط أفراد الجالية الأندلسية في الجزائر إلى كافة مجالات الأنشطة الإقتصادية غير التجارية، و استطاع الأندلسيون و منذ مطلع العهد العثماني بالجزائر، أن يلجوا أبواب معظم الحرف المهنية و الصناعية التي كانت سائدة بالجزائر آنذاك، و احتكروا الاشتغال بها، و استطاعوا عن طريق احتكارهم لهذه الحرف، أن يكونوا رأسمال ضخم، و أن يلعبوا دورا هاما في حياة الجزائر الإقتصادية و الإجتماعية في العهد العثماني.

و كان دور الأندلسيين في مجالات الأنشطة الصناعية و الحرفية إيجابيا و فعالا. فعن براعتهم في الصنائع قبل هجرتهم إلى الجزائر ما أورده ابن سعيد:"...اختصت

---

(1) S. Benchenb, « Un acte de vente adressé à Alger en 1648 », in, R.A (N°89), 1945, pp. 287-290.

(2) لوي. كارديك. المصدر السابق. ص 146.

المرية و مالقة و مرسية بالوشي المذهب...و يصنع في مرسية... الحديد و من السكاكين و الأمقاص المذهبة...و يصنع بها و بالمرية و مالقة الزجاج الغريب العجيب..."[1] .

و يمكن تقسيم الحرف المهنية التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر إلى مجموعتين أساسيتين:

1- الحرف الصناعية و التي ارتبطت في بعض حوانبها بالنشاط التجاري.

2- حرف خاصة بالأعمال غير الصناعية كالدلالة و الحياكة.

و قد أوضحت وثائق الوقف الخاصة بسجلات المحاكم الشرعية نشاط الجالية الأندلسية بالجزائر، حيث تعطي لنا فكرة عن المهن و الصنائع. إذ يمكننا رصد الألقاب الحرفية التي كانت تضاف إليها أسماء الأعلام، أو استخراج الصنائع و الحرف الواردة في الوثائق مثل **الحوكي بن محمد** الأندلسي، و الحداد **محمد** الأندلسي، و صانع الشواشي الحاج **علي بن حسن** الأندلسي و العطار **أحمد بن أحمد** الأندلسي، و صانع الصابون **علي بن عمر** الأندلسي و الخياط **يحيي** و معلم العيون **موسى** و أصحاب البطان المعد لصناعة الشاشية بالبليدة و غيرهم[2] .

و للوقوف على ماهية هذه الحرف و أهميتها الاقتصادية، لا بد من وضع قائمة بها من واقع المحاكم الشرعية، التي سجلت اشتغال الأندلسيين بها. و بحفص سجلات المحاكم الشرعية، اتضح أن كثيرا من أصحاب الصناعات الحرفية في الأوساط الأندلسية، تتصل أسماؤهم بالألقاب المهنية، و لا بأس أن نشير إلى بعض الحرف الممثلة في الوثائق، مثل، صناعة العطور، و صناعة الأقمشة و الملابس الصوفية و الحريرية، و صناعة الأحذية، و صناعة الشواشي، و صناعة الأدوات الخشبية (النجارة)[3] .

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 201 -202.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة و المعاصرة)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1988، ج2، ص 60.

[3] انظر نصوص وثائق المحاكم الشرعية في ملحق الدراسة.

و من أهم الحرف التي اشتغل بها الأندلسيون في الجزائر في العهد العثماني، صناعة النسيج و الملابس و حياكتها. و قد قدر عمال النسيج في مدينة الجزائر، في الربع الأول من القرن السادس عشر ما لا يقل عن 3000 صانع كما اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية بمدن الجزائر و القليعة و شرشال و برشك بجودتها، و كان الجزء الأكبر من هذا الإنتاج يصدر خارج الجزائر[1] . و اشتهرت المناطق الغربية من الجزائر بصناعة الزرابي ذات الطابع الأندلسي، و خاصة في مناطق هنين و تلمسان و قلعة بني راشد[2] . كما اهتم الأندلسيون بدباغة الجلود و صناعة الشاشية و الأنسجة الحريرية، و كان للشاشية سوق خاص بها في مدينة الجزائر، و اشتهرت بصناعتها عائلة **القلانسي** و **بوناتير** (Bonnetiero) بحي باب الواد[3] .

و اختصت عائلات أندلسية بصناعة المخمل (القطيفة)[4] ، و عرفت هذه الصناعات التقليدية دفعا ملحوظا بعد قدوم المهاجرين الأندلسيين حيث ساهم هؤلاء في دفع الحركة الصناعية في عدة مدن كتلمسان و برشك و مستغانم و شرشال.

و أصبحت مدينتي مستغانم و برشك مركزين معروفين بصناعة الحرير و الزرابي. و سيطر أهل الأندلس على مصانع الأسرجة و النسيج و الاسكافة و الحدادة بتلمسان و قسنطينة[5]. و امتازت زرابي تلمسان و شرشال بأسلوب أندلسي راق[6]. و من أهم الصناعات التي تميز بها الموريسكيون الأندلسيون بمقاطعة الجزائر في العهد العثماني ما يلي:

- صناعة التطريز و الأقمشة و الأغطية و الحرير.
- صناعة الصابون و المستحضرات العطرية.
- صناعة المجوهرات و الحلي.

---

(1) Haedo, Topographie...op.cit, p. 495.

(2) محمد، الطمار، تلمسان عبر العصور، الجزائر: المؤسسة الوطنية لكتاب 1984، ص 237.

(3) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، المصدر السابق، ص 141.

(4) نفسه.

(5) M. Ravillard, op.cit, T2, p. 146.

(6) أندري نوشي و آخرون، الجزائر بين الماضي و الحاضر (ترجمة: إسطنبولي رابح و منصف عاشور)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص 149-150.

- صناعة الأسلحة و تحضير البارود و بناء السفن.
- صناعة الأدوات الحديدية كالحدادة و معالجة المعادن.
- صناعة الأدوات الخشبية (النجارة).
- دباغة الجلود.
- صناعة مواد البناء من جليز و خزف و صنع القرميد و الآجر لتسقيف المباني و تبليطها[1] .

2-3- الأندلسيون و النشاط التجاري

قدر لأبناء الجالية الأندلسية الذين استقروا بالجزائر في العهد العثماني، أن يكون لهم دور المشاركة الفعالة، في أوجه النشاط الإقتصادي للجزائر العثمانية، سواء أكانت نشاطات تجارية داخلية أو خارجية أو استثمارية، و قد كان دور الأندلسيين في هذا المضمار ايجابيا و فعالا، و كان أبرز أوجه هذا النشاط الإقتصادي محصورا في التجارة. فقد انتشرت المتاجر الأندلسية في مدينة الجزائر و خاصة في الشارع الممتد بين باب عزون إلى باب الواد و المتفتح على حومة الأسواق الرئيسية أسفل المدينة.

و كانت الأسواق في الجزائر في مدينة الجزائر العثمانية، تتمركز في شارعين، أحدهما يمتد من باب عزون إلى باب الواد و الآخر من وسط المدينة و ينحدر نحو المرسى، ففي الشرع الأول نجد كلا من سوق الكتان، و سوق الزيت و شوق الشمع و سوق الفكاهين و سوق الحرارية، و سوق الخشبية و سوق الصباغين و سوق الحديد، و سوق اللوح و سوق الخضارين. و في الشارع الثاني نجد سوق السمن و سوق القيصارية، و بجوار هذه الأسواق كانت تنتشر المقاهي و الحمامات و الفنادق[2].

و تنوع نشاط هذه الأسواق التجارية داخل مدينة الجزائر. حيث استقرت الجالية الأندلسية كجالية تجارية بالمنطقة. مكنها من بسط نفوذها في الأسواق. و هناك جانب آخر يتعلق بإدارة و تسويق الإنتاج، هو جانب الدعاية، فقد وجد "لا لالون متخصصون"

---

[1] ناصر الدين. سعيدوني. الأندلسيون... المقال السالف الذكر. ص 114 115.

[2] س.م.ش. علبة. 102 103. علبة. 32. علبة. 1 47. علبة. 5 1.

لكل سلعة من السلع، و كان هؤلاء يقومون بدور الدعاية للسلع التي يعملون على ترويجها. و يذكر لنا مخطوط أسواق الجزائر أسماء الأسواق و أمناء الحرف السائدة آنذاك و الدلالين فيها[1] .

و لعل من المفيد أن نشير إلى أن أغلب الحرف و أمنائها التي وردت في المخطوط، يمكن مقارنتها بها هو موجود في سجلات المحاكم الشرعية، و من هنا تتجلى أهمية المصادر المحلية بأنواعها المختلفة من فهم الحياة الاقتصادية و الاجتماعية للجزائر في العهد العثماني.

و قد اتسع نشاط هؤلاء التجار الأندلسيين، و بخاصة تجارة بيع الأسرى و تمويل مشاريع الجهاد البحري، و هي مؤسسات حيوية و هامة؛ ظلت لمدة طويلة موردا للرزق و مصدر للثروة، و عاملا حاسما في تنشيط الحركة الاقتصادية بالجزائر، كما كانت حكرا على أفراد الإدارة العثمانية.

و أصبح للأندلسيين فائض مالي كبير كان لا بد من البحث عن ميادين أخرى إلى جانب عملهم التجاري، كاستثمار فائض رأسمالهم فيها و كانوا حريصين كل الحرص على أن هذه المجالات الإستثمارية، تعطي لهم ربحا. كما تميز الثغريون، العناصر الأكثر تحالفا و نشاطا مع السلطة الحاكمة من بين مختلف الفئات الأخرى، التي تكون الجالية الأندلسية، و ذلك لنوعية النشاط الممارس، و تمركزهم الخاص بمدينة الجزائر قاعدة الحكم العثماني.

فالثغريون استفادوا من مداخيل القرصنة و بيع الأسرى، و جعلوا من تجارة الرقيق بضاعة و تجارة مربحة على حد تعبير أحد الباحثين الغربيين، لأنهم عاملوا الأسرى الإسبان بسوء و قسوة[2] .

و تشير بعض المصادر بأن عدد الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يباعون في أسواق مدينة الجزائر ما بين (1520-1660م)، كان يتراوح ما بين خمسمائة ألف و ستمائة ألف نسمة، كما توجد قصص، عن سوء معاملة القساوسة من قبل

---

[1] مؤلف مجهول، قانون أسواق الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1378، 116 ص.

[2] D. Brahimi, op. cit, p. 42.

الموريسكيين. و كان هؤلاء يعملون في تجارة الغداء و التي كانت مظهرا هاما من مظاهر مجموع اقتصاد إيالة الجزائر[1].

و الحقيقة أن المتتبع لدور التجار الأندلسيين و خاصة في مدينة الجزائر، و استثمار أموالهم في عمليات القرصنة (غنائم الجهاد البحري) ليقف مندهشا لهذا الدور الذي لعبه هؤلاء التجار في هذا المجال، حيث اشتهروا بجمعهم للضرائب، و مساعدتهم للأتراك في تنظيم موارد الخزينة العامة.

و لا غضاضة أن نعتبر هذه الفئة التجارية طبقا لاتساع نشاطها المالي و بفضل خبرتها التجارية، أنها أصبحت تمثل النخبة المدبرة لشؤون القرصنة و النخاسة و مبادلة الأسرى في الجزائر العثمانية[2].

كان المهاجرون الأندلسيون في الجزائر يمثلون أقلية، و مع ذلك فإنهم كانوا أغنياء جدا، و ذلك لبيعهم الأرقاء إلى عائلاتهم المسيحية في أوربا، و استثمارهم للأموال في سفن الجهاد البحري لأسر أرقاء آخرين و جلب الغنائم[3] .

و من الأمور المتعلقة بثراء الأندلسيين في مدينة الجزائر و تجب الإشارة إليها، أن كثيرا من أفراد الجالية الأندلسية إلى جانب استثمارهم للعقارات، قاموا بوقف الكثير منها، إما على أنفسهم حال حياتهم، ثم على ذريتهم من بعدهم أو على أوجه البر، و طلبة العلم، أو على فقراء الأندلس، و الحرمين الشريفين.

و جاءت هذه الأعمال نتيجة اجتناب الأندلسيين لمضرات الزمن و خاصة تخوفهم من مصادرة السلطات لمثل هذه الأملاك. و من واقع سجلات المحاكم الشرعية ما جاء في عقد نشره **ابن شنب** يتضمن شراء جنة بفحص طريلية من طرف الولية **عائشة بنت سعيد الأندلسي** بثمن قدره 1550 دينارا، و هذا بتاريخ أواسط شوال 1058هـ/1648م.وقد اشترت المذكورة، الجنة من السيد **عثمان أودباشي بن عبد الله** و من المعلم بلقاسم الحوكي، و بحضور الحاج أحمد قاضي مدينة الجزائر[4].

---

[1] جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 207-214.

[2] L. de Tassy, op. cit, p. 69.

[3] جون (ب) وولف، المصدر السابق، ص 166.

[4] S. Bencheneb, op. cit, pp. 287-290.

و تشير وثيقة أخرى إلى أن الحاج **أحمد بن سعيد الأندلسي** اشترى جنة بفحص السد خارج باب الواد بثمن قدره 30000 دينارا، و ذلك بتاريخ أوائل رمضان من عام 1052هـ/1643م، و مما جاء في الوثيقة[1] : "... المكرم الأفضل الحاج **أحمد بن سعيد الأندلسي** جميع الجنة المذكورة و حقوقها و حرمها و منابعها و مرافقها داخلا و خارجا فيها صحت... و الخيار بثمن قدره الجنة المذكورة و في كافة جقوقها ثلاثة آلاف دينارا كلها خمسينية العدد..."[2] . و قد شهد على صفقة البيع كل من المكرم **علي بن علي الأندلسي** و **محمد بن علي الأندلسي** و بحضور الشيخ **عبد الرحمن** قاضي مدينة الجزائر. و ذلك بعد تسوية الإرث الحاصل بين الوارثين بخصوص الجنة المذكورة[3].

و تشير وثيقة أخرى إلى أن **محمد الحرار الأندلسي** المعروف بالطويل تمكن هو الآخر من شراء حانوت خارج باب عزون بثمن قدره 400 دينار بتاريخ شهر ربيع الثاني من عام 976هـ/1568م. حيث جاء فيها: "...و أنه باع له الحانوت و أطراف منها من ناحية القبلة للمكرم **محمد الحرار الأندلسي** عرف الطويل و بقي على ملكه ثلاثة حوانيت... و هي القريبة من الطريق الذي يسلكه بفندق الذهب ... بثمن قدره بجميع الثلاث الحوانيت، و الرواء المذكور فيها أربعمائة دينار دراهم خمسينية[4] العدد جزائرية الضرب..."[5] .

يستطيع الباحث عن طريق استقراء وثائق المحاكم الشرعية، التي كانت قائمة في الجزائر في العهد العثماني، و المتعلقة بأفراد الجالية الأندلسية، أن يرسم خريطة الجزائر الحضرية بكل دقة، أسواقها، أحيائها، شوارعها، حيث أن هذه الوثائق المتعلقة بنشاط الأندلسيين في هذه الأسواق و الأحياء، التي كان يقطنها أو يتواجد بها الأندلسيون، أو التي لهم بها أوقاف و عقارات، و امتلاك البيوت و المحال التجارية؛

---

[1] لقد حرصنا أثناء اعداة نسخ نصوص و ثائق المحاكم الشرعية خلال هذه الدراسة، على الابقاء على الصيغة الأصلية، بل حافظنا على الشكل الذي قدم به، كي يتعرف القارئ على اللغة المستخدمة و على الطريقة المعتمدة من طرف الموثقين وقتذاك.

[2] س.م.ش، علبة، 106.

[3] نفسه.

[4] عملية جزائرية أصبحت متداولة منذ العشرينات من القرن السادس عشر.

[5] س.م.ش، علبة، 32.

تدل على ذلك. و الجدير بالذكر أن الأندلسيين استقروا منذ عهد مبكر بفحص مدينة الجزائر.

و في هذا السياق نشير إلى أن **ابن علي الأندلسي** وكيل جامع سيدي عمر اشترى أرضا زراعية بـ 80 دينارا ذهبيا، كما تملك **حسن بن سعيد الأندلسي** جنة ببوسكور خارج الجزائر بـ324 دينارا ذهبيا، و **حطاب الحوكي بن محمد الأندلسي**، تملك جنة بالوشاحية خارج مدينة الجزائر بثمن قدره 425 ريالا من الفضة، و الحاج **أبو عبد الله محمد بن أبي حفص عمر الأندلسي** اشترى هو الآخر جنينة بأبي معزة خارج باب الواد بـ70 ريالا من الفضة[1].

و تفيدنا وثيقة من سجلات المحاكم الشرعية بمعطيات في غاية الدقة[2]، عن صفقة تجارية تتمثل في عقد شراء و بيع لمنزل يقع بأحد أحياء مدينة الجزائر من طرف جماعة من الأندلسيين خلال القرن السابع عشر الميلادي. و قد عالجت نصوص الوثيقة هذه الصفقة لمدة سبع سنوات، حيث يعود تاريخ الوثيقة ما بين نهاية ربيع الثاني 1068هـ و شهر رمضان 1075هـ/1665م.

و لعل من المفيد أن نلخص أحداث هذه الصفقة التجارية لما لها من أهمية عن حجم الأسرة و عدد الأولاد، داخل الشريحة الأندلسية بالجزائر في العهد العثماني.

و في عام 1658م، توفي **محمد بن غزلان** و ترك لزوجته **رحمة بنت طالب أحمد** إرثا، و حيث أوصى بالثلث لفائدة بين المال.

و كان القائد **حسن آغا بن مصطفى** المشرف على المواريث، قد أشرف على بيع المنزل المذكور و ذلك بموافقة الزوجة، و تملك الحاج **حمودة بن ابراهيم** و **الحاج علي بن علي**، المنزل عن طريق قناة البيع بثمن قدره 355 ريالا بقسمة متعادلة.

---

(1) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...المصدر السابق، ج2، ص 60 61.

(2) Sakina, Missoum: « Présence andalouse dans la Medina d'Alger au XVII^{e} siècle à travers des documents arabes, des archives nationales d'Alger », in, Actes du V^{e} symposium international du C.I.E.M...op.cit, TI, pp.505-512.

و في نفس السنة، تم إشعار الطرفين من قبل وكيل الموارث بأن عملية البيع أصبحت متساوية ما بين **الحاج حمودة** (البابوجي) **بن ابراهيم الأندلسي** و صهره **الحاج على الحرار بن علي**.

و قد باع **الحاج علي** لزوجته **فاطمة بنت ابراهيم** جزاء من ملكيته في المنزل بثمن قدره 550,50 دينارا، في الوقت الذي قدر فيه ثمن المنزل بحوالي 2222 دينارا. و بواسطة الإشتراك الثلاثي في عملية البيع، تدل على أن نصف ثمن المنزل يعود إلى **الحاج حمودة** و الربع يعود لزوجة **الحاج علي**[1].

و في عام 1661م، تمكن الفقيه **عبد العزيز** ابن المرحوم **ابراهيم الشريف** من شراء نصف ما يملكه **الحاج حمودة** من ثمن المنزل. و من الحاج **علي الحرار** الربع. و بهذه العملية أصبح **الحاج عبد العزيز** مالكا لثلاثة أرباع المنزل المذكور إلى جانب زوجته **زهرة بنت حمو** مع العلم أن ملك **الحاج حمودة** في المنزل قدر بـ243 ريالا[2]، في حين قدرت ملكية **الحاج عبد العزيز** بـ 121,50 ريالا.

و في نفس السنة (1661م) لجأت كل من **فاطمة بنت الحاج عبد العزيز** و زوجته **زهرة بنت حمو** من شراء ثلاثة أرباع ثمن المنزل بمقدار 364,50 ريالا.

و في عام 1662م، شهر القاضي المشرف على عقد البيع بأن **فاطمة بنت ابراهيم الأندلسي** اشترت المنزل المذكور، عن المبتاعين، قسمة من ثمن البيع تحصلت عليه عن طريق الشراء. و القسمة الثانية من خلا الشفعة[3].

و بحضور الشهود على عملية البيع، صرحت **فاطمة** بأنها باعت فيما سبق، لزوجها **علي الحرار الأندلسي** ثلثي مجموع ثمن المنزل في إطار الشفعة بثمن قدره 324 ريالا.

و في عام 1665م، توفيت **فاطمة** المذكورة، و تركت زوجها **علي بلكباشي بن الوالي** و ولدين هما **مصطفى** و **محمد بن الأشقر الأندلسي**، و أمها **الزرقة بنت أحمد**

---

(1) S. Missoum, op.cit, T1, pp. 506-508.

(2) الريال الإسباني، عملة انتشرت و سيطرت على أسواق الجزائر منذ أوائل العهد العثماني.

(3) الشفعة، مأخوذة من الشفع، لأن الشفيع يضم قسمة شريكه إلى قسمته فتصير شفعا. و هي رخصة أباحها جمهور الفقهاء دفعا لضرر الشريك.

الأندلسي. فأصبحت التركة من 24 قسمة، لأنه اجتمع في الفريضة الربع و السدس[1]، إن مجموع هذه القسمة، تمثل ثلثي مبلغ المنزل، حيث باع **علي بلكباشي** سهمه من التركة إلى جانب حق إبنه، إلى الحاج **علي الحرار**.

و يلاحظ أن حسن الخياط تملك ثلثي المنزل عن طريق القناء بفائض قيمة، بينما تحصل الوارثان للمرحومة **فاطمة** على ثلثي الثمن المحدد في الصفقة[2] .

يتضح من خلال هذه الدراسة و التي استندت على وثائق المحاكم الشرعية و خلال فترات زمنية مختلفة؛ أن ثمن المنزل ظل مستقرا رغم تكرار عملية البيع و الشراء، حيث لوحظ عدم التزام المتعاملين على مبدأ المضاربة العقارية.

و فيما يبدو أن الأندلسيين حافظوا على مثل هذه التقاليد، و خاصة في مجال بيع العقارات فيما بينهم، و أكدوا عل أشكال التضامن و التآزر فيما بينهم في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية.

و لكن لا يمكن تعميم هذه الظاهرة على باقي مجموع النشاط التجاري بالموازنة مع نقص الوثائق حول التاريخ الإقتصادي للجزائر في العهد العثماني. إن تداخل عناصر أخرى في عملية البيع يدل على كزوموبولية (Cosmopolite) مجتمع الجزائر العثمانية.

و الظاهر أن مدينة الجزائر في العهد العثماني، كانت مدينة دولية، فسكانها يتكونون من مختلف الأجناس (أتراك، كراغلة، أعلاج، عرب، بربر، يهود و مسيحيين). بالإضافة إلى تعدد الأديان و اللغات، حيث كانت البلاد مفتوحة للتيارات الخارجية إلى حد كبير[3] .

و من بين الأنشطة التي مارسها الأندلسيون خلال الفترة العثمانية و المذكورة في نصوص الوثيقة، مهنة الحرار (صانع الحرير) و الخياط، و صانع البلغة (الأحذية). هذه المهن الثلاث كانت رائجة و مرموقة في الجزائر العثمانية. و هذا يدل على أن

---

[1] هذه القسمة تعود بناءا على المذهب المالكي، و تسمي هذا الميراث بالتعصيب.

[2] S. Missoum, op. cit, pp. 507-510.

[3] أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 167.

الأندلسيين منذ أوائل القرن السابع عشر، انتظموا في طوائف أهل الحرف و كانت هذه الطوائف تدفع الضرائب للبايلبك، و هي ضرائب مهمة في ميزانية الإيالة آنذاك.

و من خلال الوثيقة أيضا، يتعرف الباحث على نوعية النقود المستعملة و حركتها. و لا شك أن تداخل عناصر أجنبية في الشهادة على عملية البيع كما هو معروف، أمثال **محمد الطنجي** (المغرب) و **محمد الحسن بن محمد القفصي** (تونس)، و **محمد الموهوب بن رمضان بن تلمون اليهودي** كما يدل عليه إسمه، في الجزائر العثمانية، تدل على علاقات الأمان و السلم السائدة زمنئذ، و خاصة ما بين الأندلسيين و اليهود. و مما يجدر الإشارة إليه، أن فاطمة ذات الأصول الأندلسية و خلال سبع سنوات، كان لها ثلاث أزواج، و هم على التوالي: **علي الحرار الأندلسي** و **علي بلكباشي** و **محمد بن الأشقر الأندلسي**، إثنان منهم من أصل أندلسي، و الثالث **علي بلكباشي**، ربما يكون عثمانيا، إذا علمنا من خلال المصادر التاريخية، أن النساء الأندلسيات كثيرا ما رتبطن بالزواج مع النخب التركية-العثمانية بإيالة الجزائر.

و وجب التذكير في النهاية أن الوثيقة تبين لنا وضعية العقارات التي امتلاكها أفراد الجالية الأندلسية في مدينة الجزائر، و تكشف لنا عن حقائق و تساؤلات، و عن أعداد المنازل التي بحوزة الأندلسيين! و بالتالي يمكننا تحديد الفضائي العمراني لممتلكاتهم بالجزائر في العهد العثماني. و عليه فإن الوثيقة تشرح بشكل دقيق، مختلف نظام و نشاط الأندلسيين، و هي تمدنا بالمعلومات التالية:

أولا: أن تركيبة النص عالجت البيع والشراء على مراحل و خلال سبع سنين لبيت في مدينة الجزائر.

ثانيا: مختلف العملات المستعملة في ذلك الوقت.

ثالثا: مختلف أنشطة الأندلسيين الذين أشرفوا على بيع البيت المذكور.

رابعا: تقسيم الإرث الحاصل من البيع على الورثاء.

3- الأندلسيون و الحياة الإجتماعية

لا يستطيع الباحث في تاريخ الجزائر الإجتماعي في العهد العثماني، و في اطار النظم الإجتماعية التي كانت سائدة في ذلك المجتمع، أن يغفل عن الدور الكبير الذي لعبته الجالية الأندلسية في الحياة الإجتماعية بالجزائر العثمانية. إن اشتغال الأندلسيين الذين استقروا بمدن الإيالة، بالعمل التجاري و الحرف المهنية و الصناعية، و طلب العلم و التدريس، مكنهم من ربط علاقات واسعة و قوية بمختلف شرائح و طوائف المجتمع الجزائري في العهد العثماني.

و بالرغم من التصنيفات التي نعت بها الكتاب الغربيون، الأندلسيين المستقرين بمدينة الجزائر من مدجنين و موريسكيين و تغاربين، فإن الأندلسيين المستقرين بمدن الإيالة، و بالأخص مدينة الجزائر، كانت غالبيتهم تتكون من الفلاحين و أصحاب الحرف و التجارة، عكس العناصر التي هاجرت إلى المغرب الأوسط قبيل الفترة العثمانية، و التي كان معظم عناصرها من النخب المثقفة و الثرية. و يمكن تصنيف الأندلسيين بالجزائر العثمانية إلى ثلاث فئات متميزة حسب نشاطها الإقتصادي و مكانتها الإجتماعية.

فئة الفلاحين: المنتشرين عبر السهول، و التي تتمهن الزراعة و غرس الأشجار المثمرة، و تتمركز في سهول متيجة و مرتفعات الساحل و سفوح الأطلس.

فئة الحضر: المقيمة بالمدن و فحوص دار السلطان و البليدة و القليعة و شرشال، و تتمهن صناعة الأسلحة و تحضير البارود، و الحدادة، و البناء و الخياطة و الفخار و التجارة، كما عمل أفراد هذه الفئة في الوظيف الإداري و الديني و العسكري.

فئة البحارين: تعيش بالقرب من الموانئ، و على متن السفن و بأحياء البحرية، و تمتهن زراعة الخضر و الفواكه و تعمل في الملاحة، و تشرف على تزيين الحدائق و البساتين[1] .

---

[1] ناصر الدين. سعيدوني. الأندلسيون... المقال السالف الذكر. ص 166. - M. Ravillard, op.cit, T2, pp.146-147.

نزح عدد هام من الموريسكيين نحو إيالة الجزائر، خاصة بعد معركة ليبانتو عام 1571م و ما كان لها من نتائج على دول البحر الأبيض المتوسط، من استيلاء إسبانيا للمرة الثانية على تونس عام 1573م بقيادة **دون خوان دي استريا** (D. Juan de Austria)، ثم إعادتها إلى حظيرة الخلافة العثمانية بعد حملة **قليج علي** و **سنان باشا** سنة 1574م.

في مثل هذه الظروف الدولية الحاسمة التي شهدتها الإيالة و كل منطقة البحر الأبيض المتوسط. أرسل السلطان العثماني **سليم الثاني** أحكاما إلى بيلر باي الجزائر **عرب أحمد باشا** (1571-1574م)[1] .

ففي الفرمان الأول الموجه إلى حاكم و قاضي الإيالة بتاريخ 28 جويلية 1571م[2] . يبين كيف أن جماعة العلم و الصلاح الذين قدموا من الأندلس إلى الجزائر، قاموا بإرسال مبعوث عنهم إلى الدولة العثمانية للشكاية من وضعهم الإجتماعي و الإقتصادي بالجزائر، بحيث لما طلب هؤلاء العلماء توظيفهم و خاصة في الوظائف الإدارية و التعليمية، وفضت السلطات المحلية تشغيلهم على أساس أنهم جاؤوا من الخارج.

و أمام هذه الوضعية قام الباب العالي بإرسال أمره السلطاني إلى حاكم و قاضي مدينة الجزائر، بإنصاف هذه الفئة من أفراد الجالية الأندلسية على أن يكون التوظيف على أساس الإستحقاق و الجدارة، بعيدا عن تحزب و دون مراعاة موطن و أصل قدوم هذه الفئة، و هو ما جاء في نص الوثيقة: "... قامت جماعة أهل العلم و الصلاح الذين قدموا من الأندلس بإرسال مبعوث عنهم على أساس أنه عندما طلب هؤلاء العلماء

---

[1] عين عرب أحمد باشا كبيلرباي على إيالة الجزائر عام 1571. بعدما أصبح قليج علي باشا أميرال البحرية العثمانية عقب معركة ليبانت. وهو من أصل عربي. عرفت الجزائر في عهده الإضطرابات و قلة النظام. كما تميز بخشونة طبعه في تسيير أحوال الإيالة. و هذا ما أدى إلى جلب نقمة الأهالي ضده و الشكاية منه لدى الباب العالي. حول هذه الشخصية راجع:

Haedo, Histoire...op.cit, pp. 154-157.

[2] شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ص 48.

و الصلحاء توظيفهم، فإن أهالي رفضوا ذلك و منعهم على أساس أنهم جاؤوا من الخارج، و عليه فإن الحكم و الأمر السلطاني يكون بإعفاء الوظيف و الشغل إلى مستحقيه و الجدير به..."[1].

و من خلال نص الوثيقة نستنتج بعض الحقائق الهامة حول الوضعية الاجتماعية للجالية الموريسكية بالجزائر، خاصة فئة العلماء و النخبة المقيمة بمدينة الجزائر، التي وجدت صعوبة في الحصول على بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء و الامامة و التعليم، و غيرها من الوظائف الإدارية و الدينية و التي كانت مجالا للمنافسة و المزاحمة من طرف طبقة الحضر المحلية بمدينة الجزائر.

و بالفعل فقد رفضت السلطات المحلية تشغيل هذه الفئة من الأندلسيين خلال هذه الفترة، على أساس أنها جاءت من الخارج، و من هنا يطرح السؤال: لماذا هذا الموقف السلبي تجاه الأندلسيين؟ و على أي أساس اعتبرت السلطات هؤلاء الأندلسيين دخلاء في وسط مجتمع الإيالة المعروف خلال العهد العثماني بتنوع أصول طبقاته الاجتماعية[2].

يمكننا أن نستشف خلفية هذا الموقف السلبي من خلال فتاوي **الونشريسي** في كتابه المعيار و خاصة في الفصل الخاص "بالهجرة الأندلسية". حيث ذكر أنه يرفض خطاب و قضاة المدجنين و ذلك لكونهم رضوا أن يكونوا تحت حكم النصارى[3]. و من هنا نلتمس عناصر الجواب في كون أن هؤلاء الموريسكيين قبلوا بالحكم المسيحي و العيش تحت العادات النصرانية و على أساس أنهم تهاونوا عن الهجرة إلى دار الإسلام، مما جعلهم محل شك و تحفظ من قبل السلطات المحلية و الأهالي.

---

[1] شكيب، بن حفري، المصدر السابق، ص 49.

[2] أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 146- 163.

[3] المعيار، ج10، ص 109.

هذا الموقف يعكس من جديد عمق مآساة الأندلسيين، فهم مسلمون و أتراك بإسبانيا، و مسيحيون أو مسلمون من الدرجة الثانية في "دار الإسلام".

تشير الوثيقة، إلى أن الجالية الأندلسية أرسلت مبعوثا عنها إلى الباب العالي، فهل كان لهذه الجالية خلال هذه الفترة تنظيم؟ أو وكيل يسهر على حماية حقوقها و تمثيلها أمام حكام الإيالة و الباب العالي؟ هذا ما سنراه في دراستنا لأوقاف أهل الأندلس.

كما يتعرض فرمان موجه إلى نفس حاكم الإيالة عرب **أحمد باشا** في 14 نوفمبر 1573م[1] . حيث جاء مكملا للوثيقة الأولى، فهو يخبرنا بأن الأندلسيين و المدجنين الفقراء، قاموا برفع شكوى إلى السلطان العثماني **سليم الثاني**، بسبب تردي أوضاعهم الإجتماعية و الإقتصادية بالإيالة. و على الرغم من أن معظم هؤلاء الفقراء هم أهل علم و ثقافة، لا يملكون القدرة على العمل في مجالات أخرى، فإن قضاة و حكام مختلف مناطق الإيالة رفضوا تشغيلهم في الوظائف الإدارية و العلمية و الدينية، و كان الحكام يفضلون أهل البلاد عليهم. و عليه فإن الباب العالي أمر إلى والي الإيالة الإهتمام بهذه الجالية و التي يسميها بأهل الإسلام و فقراء و أهل العلم و القرآن. و العمل على توظيفهم أو تحيز إلى فئة معينة سواء أكانوا من الأندلسيين أو من العرب المدجنين، فالوظائف تعطى لمستحقيها لا غير، كما يركز الأمر السلطاني على أن تعطى الأوامر لقضاة و قياد المناطق التابعة لإيالة الجزائر.

و مما يلاحظ من خلال موقف قضاة و حكام الإيالة و السلطات المحلية عموما، أنها كانت تفضل تعيين الأندلسيين الذين هاجروا عقب سقوط غرناطة دون غيرهم من الفئات الأندلسية.

لقد وجدت الفئة الأندلسية المنافسة الشديدة في الوظائف الإدارية و الدينية (كقضاة، أئمة، وكلاء، نظار). هذه الوضعية الحرجة دفعت بالأندلسيين إلى التذمر، و التي عبر عنها **الونشريسي** في باب الهجرة بقوله: "هؤلاء الأندلسيون الذين هاجروا و استقروا بدار الإسلام، ندموا على الهجرة و سخطوا و زعموا أنهم وجدوا الحال

---

[1] مهمة دفتري رقم 23/حكم 244/تاريخ 19 رجب 981هـ/السبت 14 نوفمبر 1573م.

عليهم ضيقة، بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة رفقا و لا يسرا... و صرحوا بذمهم دار الإسلام و بمدح دار الكفر و أهله و الندم على الهجرة..."[1].

و تكررت مراسلات الباب العالي بشأن الأندلسيين، فمن خلال فرمان أرسل إلى بيلر باي إيالة الجزائر **عرب أحمد باشا** بتاريخ 23 نوفمبر 1573م[2] . يعرض فيه شكاية الموريسكيين المجددة، فهم الذين تركوا الأموال و المتاع و وسائل رزقهم بإسبانيا، و قدموا إلى دار الجهاد الجزائر و المناطق التابعة لها، و التي أصبحوا فيها فقراء لا يملكون شيئا، زيادة على فرض حكام المناطق لضرائب باهضة عليهم مثل باقي الرعية. و كلفوهم بتكاليف جعلتهم يشتكون من ضيق المعيشة، بل و كانت تؤخذ منهم أجورهم اليومية. بالإضافة إلى تعدي بحارة الإيالة عليهم و الذين أخذوا منهم أموالهم و أمتعتهم مما جعل الدولة العثمانية تستفسر عن هذا الموقف و عن هؤلاء المسلمين الذين خرجوا من دار الحرب (إسبانيا) إلى ممالكنا المحروسة.

لقد أمر الباب العالي أخذ الحيطة و الإنقياذ بأن لا تؤخذ الأمتعة و لا الأجور التي تحصلوا عليها، و أن لا يعاملوا على أساس عمال مؤقتين، كما يؤكد على الكشف و التحقيق عن العناصر التي أخذت من أيديهم أجورهم اليومية، و إعادة الأموال و الأمتعة لأصحابها و ألا يتدخل أحد في شؤونهم، و كذلك بإعفاء هؤلاء الموريسكيين من دفع الضرائب و كل التكاليف لمدة ثلاث سنوات، حتى يتم استقرارهم و استيطانهم بمناطق الإيالة و بعد حصولهم على القدرة يمكن أخذ الضرائب منهم شأنهم شأن بقية الرعية.

من خلال هذا الوثيقة نكتشف توافد عناصر جديدة من الموريسكيين على إيالة الجزائر بعد فشل ثورة غرناطة (1568-1570م). حيث تقدر المصادر التاريخية عددهم بحوالي 30000 موريسكي[3] .

---

[1] المعيار. ج2. ص 119.

[2] مهمة دفتري رقم 23/حكم 284/تاريخ 27 رجب 981هـ/الإثنين 23 نوفمبر 1573م.

[3] F. Braudel, op. cit, T2, p. 367.

ظل الموريسكيون بالجزائر يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة، يترقبوا الفرص للعودة إلى الأندلس. و قد عزز هذا الشعور تشبثهم بأصولهم و ميلهم إلى عدم الإختلاط مع غيرهم من السكان. و هذا ما جعلهم يحجمون عن التزاوج خارج جماعتهم، فالمرأة الأندلسية نادرا ما تتزوج من غير أندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة و الفقر إلى ذلك[1] .

و قد اشتهرت العائلات الأندلسية باشتغال أفرادها بالتجارة و الصنائع، مثل ابن **رامول**، ابن هني، **برزوان**، برحال، **بوناتيرو**، **ابن تشيكو**، **ابن الكبابطي**، **ابن الشاهد**، **ابن عمار** و **خوجة**، الخ[2] .

و وصف **لوجي دي تاسي**[3] (L. de Tassy) الجالية الأندلسية بطبقة الأغنياء في مجتمع إيالة الجزائر. فهم يسكنون المدن و يقيمون في منازل كبرى و يملكون الثروة و يتعاطون التجارة و خاصة تجارة الفداء[4] .

كما ساهم الأندلسيون في مداخيل خزينة الإيالة مثل جماعة الموريسكيين بشرشال التي كانت تتعهد لحاكم الضرائب سنويا بضريبة تقدر بـ60 ألف دوكة، و ضريبة أندلسي مستغانم عام 1570م بـ 800 زياني ذهب و 600 قسيمة كبيرة من القمح و الشعير و 2000 رطل زبدة و 70 بغلا مهيئة للخدمة[5] .

و من النقاط التي تثير الجدل حول الجالية الأندلسية بالجزائر، هو أن معظم المصادر و المذكرات التي تركها القناصل و الرحالة الأوربيون الذين زاروا مدينة الجزائر خلال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، عند حديثهم عن أهل الأندلس يحصرونهم في جماعة الثغريين[6](Tagarinos).

---

(1) M. Emerit, « Description de l'Algérie en 1787 par l'officier russe Kokovtsov » in, R.H.M, (N°04), Tunis, juillet 1975, p. 213 - و قارن عند: Haedo, Topographie...op.cit, p. 97.

(2) ناصر الدين، سعيدوني، صورة...المقال السالف الذكر، ص 238-239.

(3) لوجي دي تاسي، ديبلوماسي فرنسي زار الجزائر ما بين سنوات 1724 1725م.

(4) L. de Tassy, op.cit, p.54.

(5) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، ص 142.

(6) لقب موريسكيو مدينة الجزائر في العهد العثماني بالثغريين. و الثغر هي الحدود، و ربما يكون هؤلاء سكان منطقة أرغوال. للمزيد من التفاصيل انظر: Haedo, Topographie...op. cit, p. 68 - H. Lapyre, op. cit, p.208.

فهم الذين يتعاطون بيع الأسرى و يمارسون القرصنة، و هم أصحاب أملاك واسعة و أحوال هامة بالإيالة[1] .

فالراهب الإسباني فرانسيسكو خمينث (F.Ximénez) الذي استقر بمدينة الجزائر ما بين (1718-1718م)، تحدث خلال زيارته لمدينة البليدة عام 1719م، عن الثغري الموريسكي **مصطفى بن عمار** الذي كان يملك بحوزته 100 رقيق من الأسرى المسيحيين.

و بتاريخ 23 ماي 1714، سجل الراهب وفاة **مصطفى بن عمار** و الذي اعتبره من أغنى رجال إيالة الجزائر آنذاك، كما أشار إلى وفاة أحد أساتذة البناء الموريسكي، و الذي حضر جنازته حوالي 500 موريسكي ثغري[2] . لماذا التركيز على فئة الثغريين و حصر الكلام عن الجالية الأندلسية فيهم؟

نستشف عناصر الجواب في نوعية النشاط الذي مارسه الموريسكيون بالإيالة، زيادة على حالتهم الإقتصادية و الإجتماعية الميسورة.

و نستنتج أيضا أن فئة الثغريين كانت الأكثر نشاطا و الأكثر تحالفا مع السلطة العثمانية بالجزائر. و لعل تسمية إحدى قلاع مدينة الجزائر بإسمهم (حصن الثغريين)[3] ، و بقاء هذا الإسم الذي يحمله حتى يومنا هذا أحد أحياء مدينة الجزائر، لدليل على بعد الأثر الذي مارسته هذه الفئة الأندلسية بالذات.

كان ضعف الوزن السياسي و الاجتماعي للجالية الأندلسية لا يعود إلى قلة عددهم بالإيالة، فمعظم المصادر تنوه إلى تلك الأعداد الهامة من الموريسكيين الذين نزحوا إلى إيالة الجزائر في المرحلة الأخيرة التي ضمتها عناصر الجيل الثاني من الموريسكيين (1609-1614م). و شكل في معظم صفوفه عناصر متواضعة (فلاحين، صناع و حرفيين)، فالحالة النفسية عقب النفي و وضعيتهم الجديدة (المجهولة) في

---

(1) D. Brahimi, op. cit, p.39.

(2) Hedi. Quesliti, « Argel, segun el dario inedito de francisco Ximenez (1718-1720) », in, Revista, Sharq al Andalus, Annales de la unversidad de Alicante, N°3, 1986, pp. 179-180.

(3) A. Devoulx, op. cit, pp. 340-342.

الموطن الجديد[1] ، دفعت بهؤلاء الوافدين الجدد و خاصة الذين لم يلجؤوا إلى مدينة الجزائر إلى الانضواء تحت نفوذ الحكام المحليين، فالبحث عن أماكن الاستقرار و تحصيل مصادر الرزق و تأمين وسائل العيش، هي التي كانت وراء امتصاص الوزن الإجتماعي و السياسي لهؤلاء الوافدين الجدد. ثم تلتها مرحلة ثانية تم فيها الاندماج الاجتماعي و الثقافي.

و من المؤكد أن الجماعات التي وصلت إلى مدينة الجزائر ، قاعدة الحكم العثماني، كنات أكثر حظا، و هذا لمؤازرة السلطة و الجالية الأندلسية المستقرة بها سابقا[2] .

و تذكر بعض المصادر بأن الجفاف الذي حل بمدينة الجزائر و ما جاورها ما بين 1611 و 1612م. دفع بحاكم الإيالة آنذاك **مصطفى باشا** (1606-1613م) أمام الأعداد الوافدة من الموريسكيين على المدينة أن أمر من هؤلاء النازحين مغادرة المدينة. و كانت هذه التعليمات وراء الخروج الكثير منهم، بينما فضلت أفواج أخرى من الموريسكيين البقاء، و تحملت نتائج القحط و الجفاف[3] .

و عليه فإن الموقف الموريسكي المؤيد للتواجد العثماني بالجزائر، و المعادية للأهداف التوسعية الإسبانية على السواحل الجزائرية، يعود أساسا إلى إحساس أفراد هذه الجالية بالظلم و تأثرهم بضياع الأندلس. و قد نقل الراهب الإسباني **هايدو** إحدى روايات الأسرى المسيحيين و هي تنم عن مشاعر الكره و الإنتقام الأندلسي منهم: "كل الأماكن و المنازل و الشوارع و الحقول و البساتين بالجزائر، حيث يوجد الأندلسيون هي في الواقع المسكن الطبيعي للشيطان، إذ لا تسمع فيها إلا الضرب و التعذيب و الآلام المتكررة لقتل المسيحيين..."[4] .

---

(1) حول موقف الموريسكيين من مجتمع الإيالة، راجع: Garcia (A). Mercedes. « Los moriscos del campo de calatrava despues de 1610. segun algunos procesos inquisitoriales », in. Cahiers de Tunisie. T XXVI. 1978. N°103. pp. 173-196.

(2) J. Penella. op. cit. p. 86 - G (A). Marcedes. Los moriscos...op.cit. pp. 263-265.

(3) Grammont. (H.D de). op. cit. pp. 150-151.

(4) Haedo. Topgraphie...op.cit. p. 53.

و بسبب هذا العداء المستمر و الذي بالغ الراهب في وصفه، هو الذي جعله يثير مسألة خطيرة، تتمثل في وقوع حوالي 62 راهب في الأسر لمدينة الجزائر عام 1579م[1] .

ارتدى الموريسكيون الملابس الإسبانية على غرار المسيحيين الذين فرضوا عليهم تلك الملابس مدة اضطهادهم في إسبانيا المسترجعة،ثم تدرجوا في الإندماج و ارتدوا لباس الأهالي، و هذا اللباس المحلي بدوره لم يسلم من التأثيرات الأندلسية.

و اتصف أفراد الجالية الأندلسية برقة الذوق في المأكل و الملبس و المتاع فهذا الأسلوب في المعيشة، توارثوه عن أسلافهم بالأندلس. ففي مجال اللباس استطاع الأندلسيون من فرض أذواقهم على غاليهم سكان مدن الجزائر و البليدة و القليعة و شرشال و تلمسان و هذا في العديد من الألبسة كالقمجة و الطوق و الفستان و المحرمة، و الفقطان و الصدرية[2] و البنيقة[3] و البليغة[4] و الشبيكة المرصعة بالذهب. و من أبرز ما يتباهى به الأندلسيون دلالة على أصالتهم و تميزهم، الطبخ الرفيع، فقد عرضت المأكولات الأندلسية بالحلويات و الأطباق (الطواجين)، و يتطلب إعدادها حدقا كبيرا، و إنفاقا كثير لا يقدر عليه إلا العائلات الميسورة، و لا يهون إلا في المناسبات و الأفراح و تغلب عليها الفاكهة.

أما في مجال اللغة و التخاطب، فقد تميزت الجالية الأندلسية في البداية بلهجتها الغرناطية و التي كانت سائدة في حواضر الأندلس، و تأثرت بها المدن الكبرى كالجزائر و بجاية و شرشال و تلمسان نظرا لرقة مخارج حروفها و سهولة التلفظ بها[5] .

---

(1) F. Braudel, op.cit, T2, p. 206.

(2) الصدرية أو البدعية، نقلها الأندلسيون إلى شمال إفريقيا. و قد استعملت لفظة الصدرية في الجزائر بدل البدعية.

(3) دخل هذا اللباس إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة. و يستعمل للحفاظ على زينة الشعر و الوقاية من البرد عند الخروج من الحمام. انظر: Hadeo, Topographie...op.cit, p. 109.

(4) البلغة عبارة عن نعل و كانت مستعملة في الأندلس.

(5) ناصر الدين، سعيدوني، دراسات...العهد العثماني، ص 145.

و يلاحظ أيضا انتشار و استعمال مفردات إسبانيا مع شيوع تعابير لغة الفرنكا Langua franca)[1]، و التي عرفت منذ التوافد الأخير للموريسكيين. و يغلب على هذه اللغة الطابع الإسباني، خاصة في مجال العلاقات الخارجية و الأعمال التجارية.

و ظلت بعض العائلات الأندلسية تحافظ على تداول اللغة الإسبانية بالجزائر العثمانية. كما اعتبر هايدو لغة الفرانكا، اللغة الثالثة في مدينة الجزائر، و يعتقد أنها أدخلت إلى الجزائر من طرف الجنود البرتغاليين بعد معركة وادي المخازن[2] (4 أوت 1578م).

كان مهاجرو الأندلس يعيشون وضعا خاصا في الجزائر قبل اندماجهم في المجتمع الجديد نهائيا. فقد كانوا في البداية لاجئين يبحثون عن أماكن للإستقرار و وسائل للعيش و الأمن. و بتقادم الزمن اسقروا في المدن الساحلية، و مارسوا التجارة و التعليم و الزراعة و الصنائع المختلفة. و لكن هذه الأعمال لم تمنع من شعورهم بالحاجة إلى التضامن كفئة خاصة، لذلك أسسوا بتشجيع من السلطة التي كانت تتعاطف معهم مؤسسة خيرية كانوا يهدفون من ورائها إلى التضامن فيما بينهم من جهة و إلى خدمة فقرائهم من جهة أخرى.

إن حساسية البعد الثقافي-الإجتماعي و الإقتصادي بين أهل الأندلس و الطبقات الإجتماعية المكونة لمجتمع الإيالة، كانت من العوامل التي دفعت بأغنياء الجالية الأندلسية إلى تأسيس جمعية، أشرفت بدورها على إقامة مسجد و زاوية و مدرسة و ذلك في شهر محرم عام (1033هـ-23-1624م) و كانت هذه الجمعية الأندلسية مكونة من الأشخاص التالية أسماؤهم: **محمد الآبلي** و **إبراهيم بن محمد بوساحل** و **المعلم موسى** و **محمد شلالة** و **محمد بن العنجدون** و **محمد السميح** و **علي بن عمر** و **يحي الخياط**[3].

---

[1] هذه اللغة كانت عبارة عن صبير (لغة التعارف بالإسبانية). و هي خليط من المفردات العربية و الإسبانية و التركية و الإيطالية. كانت مستعملة في مدينة الجزائر في العهد العثماني حتى سنة 1830م. و يعتقد الفرنسيون أنها كانت لغة الموريسكيين. راجع:

M. Emerit, « Le voyage de la condamine à Alger, 1731 », in, R.A (N°98), 1954, p. 375 - وقارن عند: وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب و تعليق: د. عبد القادر زبادية)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1980، ص 85.

[2] Haedo, Topographie...op. cit, p. 94.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات...المصدر السابق، ج2، ص 46.

و حبس أغنياء الأندلس على ذلك أوقافا داخل مدينة الجزائر و خارجها، لتنفق على شؤون العبادة و تقديم العون لفقرائهم، و كانت هذه الأوقاف تشمل العديد من الأملاك العقارية و الأراضي الزراعية[1] . حيث جعلوا **محمد الآبلي**[2] مشرفا عليها و الذي أصبح وكيل أوقاف الأندلس[3].

و قد شجع السلطان العثماني **بايزيد الثاني** الأوقاف في الدولة العثمانية، و أسبغ عليها مناعة و حصانة أبعدت عنها أنظار الطامعين و جعلها في مأمن من الضرائب و المصادرات، الأمر الذي أكسب الأملاك العقارية و الأراضي الفلاحية و المراعي التابعة للأوقاف، شكل مؤسسة رعاية إجتماعية و مركز تعليمي و ديني كان له اليد الطولى في رعاية الأعمال الخيرية و المحافظة على الحياة الدينية و الثقافية[4] .

و يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية حيث يعبر به الفرد المسلم عن إرادة الخير و عن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي. و هو شرعة اتبعها المسلمون في بداية أوائل الإسلام، و قد تطور في العهد العثماني نتيجة اعتبارات سياسية و إقتصادية.

و تتجلى أهمية الوقف في الحياة الدينية و العلمية و الإجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا و الأضرحة، و غيرها من المؤسسات. كما أنه مصدر الحياة و النمو للمدارس و الكتاتيب و المساجد و معيشة العلماء الطلبة، و من جهة أخرى لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الإجتماعية بتضامن المجتمع و ترابطه و توزيع ثرواته على فقرائه و العجزة منه[5] . و من الحقيقة أن كثيرا من الأوقاف كانت مشتركة بين الحرمين الشرفين و الأندلس أو بين الجامع الأعظم بالجزائر و فقراء الأندلس.

---

[1] انظر خريطة توزيع الوقف الخيري الخاص بأهل الأندلس في ملحق الدراسة.

[2] A. Devoulx, « Les édifices religieux de l'ancien Alger », in, R.A (N°12) 1868, p. 279.

[3] وكيل الأندلس هو المشرف على الأوقاف. للمزيد من الايضاح راجع:

مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر (تحقيق: أحمد توفيق المدني)، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1980م.

[4] ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985م، ص 141.

[5] أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 225-227.

و كان الأندلسيون يتمتعون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري و خصوصا لدى العثمانيين، حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية عثمانية مثل **حميدة الأندلسي**، الذي كان عضوا في لجنة إدارة سبل الخيرات[1]. و مثل **سليمان الكبابطي** الذي عينه **خضر باشا** وكيلا على أوقاف جامع سوق اللوح[2] .

و يقدم لنا الجدول التالي بعض المعلومات المتعلقة بأملاك المؤسسات الخيرية. و يعطينا صورة عن مدى الدور الحيوي الذي لعبته هذه الأملاك في النظام المالي تحت الرعاية المادية و الأدبية للخزينة العامة، و معلوماته مركزة على مدينة الجزائر دون سواها من أقاليم الإيالة في العهد العثماني.

المؤسسات الخيرية	عدد الأملاك الموقوفة	عدد المساجد و الأفرحة التابعة لها	مدخولها السنوي	نفقتها السنوية
سبل الخيرات	119 بناية	/	16000 ف ف	14583 ف ف
أوقاف المرابطين و الأولياء	/	19 ضريحا	/	/
أوقاف أهل الأندلس	40 بناية	61 مكانا دينيا	5000 ف ف	/[3]

و من خلال ذكر الأوقاف الخاصة بالأندلس و المشتركة بينهم و بين الحرمين الشريفين و عامة الناس. يتضح لنا أن أوقاف الأندلس تأتي في المرتبة الرابعة من حيث الأهمية و عدد الأوقاف و مقدار دخلها، فتتفوق عليها أوقاف الحرمين الشريفين التي تستحوذ على ثلاثة أرباع الأوقاف كلها و تضم 1558 ملكية مردودها السنوي

---

[1] ينسب بعد الكتاب انشاء مؤسسة سبل الخيرات إلى شعبان خوجة التركي سنة 1584م. و اهتمت هذه المؤسسة بالاشراف على المساجد الحنفية.

[2] أبو القاسم، سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص 237-238.

[3] ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...المصدر السابق، ص 145.

يقدر بـ432222,70 فرنك فرنسي، بعدها تأتي أوقاق الجامع الأعظم في الدرجة الثانية إذ تحصى بـ548 وقفا، و في المرتبة الثالثة تدرج أوقاف سبل الخيرات التي ينفق منها على المساجد الحنفية و التي تشرف إلى 331 وقفا مدخولها السنوي لا يقل عن 180000 فرنك فرنسي في السنوات الأولى للإحتلال. و بعد ذلك تأتي أوقاف الأندلس لتحتل المرتبة الرابعة، فقد كانت تتصرف في السنوات الأولى للإحتلال في 40 ملكية و 61 عناء (كراء) توفر دخلا سنويا لا يقل عن 4000 فرنك، و تراوحت مصاريف أوقاف الأندلس خلال الفترة الممتدة من 1836 إلى 1841م: 18736,20 ف و 72515 ف، في حين بلغ فائض مردود هذه الأوقاف خلال نفس الفترة 19979,19ف[1] .

و تبقى وثائق الوقف رغم ما تتصف به من توزيع جغرافي غير متكامل و تغطية زمنية غير كافية الوسيلة المثلى و المصدر الأساسي للتعرف على واقع الحياة الداخلية بالجزائر في العهد العثماني.

و تتوفر الجزائر على غرار الولايات العثمانية على رصيد زاخر من الوثائق الرسمية المحلية العائدة إلى الفترة العثمانية، و هي محفوظة بمركز الأرشيف الوطني الجزائري. و تقتصر هذه الدراسة على سلسلة المحاكم الشرعية، و هي رصيد هام حيث يضم ثلاث و خمسين و مائة علبة، و يحتوي معظمها على أزيد من مائة وثيقة. و هي تخص في معظمها مدينة الجزائر و المناطق المجاورة لها و بعض المدن الأخرى كالبليدة و القليعة و مليانة، أما اللغة المستعملة فهي اللغة العربية[2] . و الأخبار التي تتضمنها الوثائق في مجال الحياة الإجتماعية متنوعة من ذلك العلاقات ضمن الأسرة الواحدة، كما تكشف لنا عن الذهنية السائدة وقتذاك، كإستفادة المرأة من ممتلكات الأباء، و تتيح لنا التعرف على أفعال البر و التضامن و التكافل و التآزر.

و إذا كانت التركات تعرفنا بالثروة المخلفة عن المتوفي، مما يسمح لنا دون شك بدراسة مستوى الثروات و هو أمر في غاية الأهمية، فهي تعكس لنا شتى مظاهر

---

[1] ناصر الدين. سعيودني. دراسات... المصدر السابق. ج2. ص 57- 58.

[2] عبد الجليل. التميمي: "فهرس الدفاتر العربية و التركية بالجزائر". المجلة التاريخية المغربية. العدد 2. تونس. جويلية 1975. ص 134- 150.

الحياة المادية التي كانت بحياة الفرد من بساطة و رفاهية، و تطلعنا عن الممارسات الإقتصادية و الإجتماعية للفرد كالثروة الموظفة في تأثيث البيت و تلك الموظفة في الميدان العقاري. و في هذا السياق فإن الحرة فاطمة بنت أحمد الغبري قد خلفت ثروة تقدر بـ17,173 دينارا بتاريخ 1681م، و أوصت بثلثها إلى فقراء الحرمين الشريفين و فقراء الأندلس[1] .

و بعد وفاة المذكورة **فاطمة**، لجأ أمناء بيت المال[2] إلى تقويم ثروة الهالكة و تصفية تركتها بدءا بتنفيذ وصيتها، فأعطي الثلث من حساب 1500 دينارا إلى شقيقها محمد، و ما تبقى يكون حبسا للفقراء المذكورين جانب الوصية.

كما روثت ابنتها **فاطمة بنت المرحوم الحاج مصطفى الأندلسي** نصف التركة، و العاصب **محمد** ثلثا واحدا، و أوصت المرحومة بحبس الثلث من الثروة المخلفة على أن تكون أربعة أتساع 9/4 لفقراء الحرمين و خمسة أتساع 9/5 لفقراء الأندلس. و من هنا نلاحظ أنه عندما تجمع الوصايا يعطى لفقراء الحرمين الثلثين و ثلثا واحد يعطى لفقراء الأندلس و هذا يدل على أن فقراء الحرمين كانوا أشد فقر من غيرهم. و شهد تصفية التركة و تسوية الإرث كل من **محمد السعدي بن محمد التواتي** و **محمد بن محمد** و بحضور **حسين** قاضي مدينة الجزائر.

و مما يلاحظ أن الوثيقة شملت جزءين، هما الصدر و الحاشية، فصدر الوثيقة تعرض لوصية **فاطمة**، و تصفية التركة على مستحقيها، بينما تعرضت الحاشية إلى تحبيس آمنة على ولدها الحاج محمد الشريف **أحمد بن الحاج علي**، ما قيمته 4657 دينارا، و أمرته بتنفيذ وصية المرحومة أمها بخصوص الوقف الخيري الحاصل للفقراء المذكورين.

و أشرف الحاج **عبد القادر بن علي الغبري** على شؤون نظارة أوقاف الفقراء المذكورين. و يبدو و لا شك في ذلك أن هذا التكليف المزدوج في رعاية الأوقاف، يدل

---

[1] س.م.ش. علبة. 34. وثيقة 2-1ف.

[2] تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة للادارة الاسلامية بالجزائر. تدعمت في العهد العثماني و أصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل و الأسرى. و تتصرف في الغنائم و تشرف على اقامة المرافق العامة. و تتولى تصفية التركات. و كان يشرف على هذه المؤسسة موظف يعرف ببيت المالجي. و يساعده قاضي يلقب بالوكيل.

على المكانة الرفيعة التي وصل إليها علماء و شرفاء أهل الأندلس في مجتمع الجزائر زمنئذ. إذ نصت الوثيقة: "...كله مبين و مفسر في رسم بعدالة بيت المال وقف عليه شهيدا و أراد الوارثان المذكوران و ناظر الفقراء المذكورين و هو السيد **الحاج عبد القادر** في حق فقراء الأندلس و فقراء الحرمين الشريفين، لاستنابة ناظري أوقاف الحرمين الشريفين إياه فيما سيؤدي التفاصل في متروك الهالكة..."[1] .

و تطلعنا تركة **عائشة بنت أحمد** حويجات المتوفي، أنها خلفت حانوتين أحدهما كائن بالخضارين و الآخر بالفكاهين قرب شارع باب عزون، و كانا فيما سبق لابن **الشريف الخضار** و **ابن العباد**، و اختص الحانوتين بنشاط التجارة و بيع الصابون. و قد ورثت **فاطمة بن علي** الصباغ الحانوتين المختلفتين عن أمها **خديجة بنت الحاج محمد الحجام**، و رصدنا من خلال الوثيقة، تنفيذ **فاطمة** لوصية جدتها **عائشة** بإعطاء ثلث التركة لبيت المال، و الباقي يوزع حسب الفريضة، حيث أخذت **فاطمة** النصف (2/1)، و الثلث رجع إلى أبناء الحاج **محمد الخياط بن علي الحجام** زوج **عائشة** عن طريق الوصية أيضا، و هم **الحاج عمر** و **الحاج علي** و **عزيزة**[2] .

و كما هو معروف فإن الوصية في عرف الفقهاء عقد يوجب حقا في ثلث مال عاقده يلزم بموته أو نيابة بعده، و هي مشروعة بنص الكتاب و السنة و الإجماع. و بعد تسوية الإرث، اشترى **الحاج علي بن حسن الأندلسي** صانع الشواشي الحانوتين بثمن قدره 2800 دينار، و أشهر على نفسه بأنه حبسها لفائدة فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة و فقراء الأندلس، مناصفة بينهما. و جعل الناظر على فقراء الحرمين الحاج **محمد بن سالم**، و الناظر على فقراء الأندلس كل من **الحاج يحي الخياط** و **ابن محمد الأندلسي**. إذا نصت الوثيقة على: "...اشترى مكان الناسك ابن الحاج على صانع الشواشي ابن حسن الأندلسي الحانوتين الإثنتين...بحدودهام و حقوقهما... و في كافة حقوقها ألف دينار اثنتان دينار كلها جزائرية...ثم أشهر المسمى الحاج علي المذكور شهير به على نفسه أنه حبس على فقراء الأندلس القاطنين المحروسة الجزائر و على

[1] س.م.ش. علبة. 34. وثيقة 2 1ف.

[2] س.م.ش. علبة 16 مكرر.

الفقراء القاطنين بالحرمين الشريفين مكة و المدينة... و أذن المحبس المذكور... الحاج يحي الخياط وكيل فقراء الأندلس في التاريخ و ابن محمد الأندلسي و السيد الحاج محمد بن سالم وكيل فقراء الحرمين الشريفين..."[1] .

و تمكن **علي طوليض** الأندلسي من تحبيس دار و جنينة بمليانة و بحيرة بفحص حروشة قرب مليانة و المحاذية لواد بوتكتون، لصالح فقراء الحرمين الشريفين، و هذا بتاريخ شهر ذي الحجة من عام 1152هـ/1739م[2] . إن قضية التركات تكتسي هي الأخرى أهمية قصوى، إذا تطلعنا عن الواقع المادي الذي كانت تحياه شرائح مختلفة في مجتمع مدينة الجزائر العثمانية، إذ نصت وثيقة على أن **السيد عبد القادر بن الحاج عبد الرحمن** المعروف **بابن العطار**، أوقف دارا على ابنتيه، **ديرومة** و **آسية**، و على زوجته **الزهرة بنت ابراهيم**، و في حالة زواجها ينتقل نصيبها من ذلك لأولادهما[3] .

و قلد الموصى نية الإمام الأعظم **أبو حنيفة النعمان**، حيث حدد الأطراف المستفيدة من المحبس، إذ يعود إلى شقيقه **إبراهيم** و ذريته، و في حالة انقراضهم، يرجع المحبس المذكور إلى شقيقته **نفسة**، و بعد ذلك يؤول المرجع لصالح فقراء الحرمين الشريفين و الشطر الآخر يعود إلى ففقراء زاوية الأندلس بالجزائر . و نستنتج من هذا المحبس أن الموصى كان حريصا على أن يكون الوقف في العائلة في أي حال من الأحوال[4] . و نقرأ في أحد العقود الشرعية أن جماعة من شرفاء الأندلس و هم علي التواتي الحاج **ابن الناسك الخير**، و **الحاج ابن محمد بن قاسم** و الناسك **ابن الحاج يوسف بن سليمان** و الناسك **ابن الحاج أحمد بن جعفر** و المكرم الأجل **محمد بن قاسم**، قد تملكوا دار بمدينة الجزائر بتاريخ 1073هـ/1663م، عن طريق الشراء بثمن قدره 6000 دينار ذهبية، و حبسا المنزل لفائدة فقراء الحرمين و فقراء الأندلس مناصفة بينهما[5].

---

[1] س.م.ش. علبة 16 مكرر.

[2] س.م.ش. علبة 34، وثيقة 163-34ف.

[3] س.م.ش. علبة 5-1.

[4] نفسه.

[5] س.م.ش. علبة 1 47.

يتضح لنا من خلال وثائق المحاكم الشرعية عدم اقتصار الأندلسيين في تخصيص الأوقاف على فقرائهم، و لم يكتفوا بمشاركة ذويهم فيما كانوا يحبسونه، بل عمدوا إلى وقف أملاكهم لفائدة فقراء الحرمين الشريفين، و ذلك للمكانة التي كانت تحظى بها الأماكن المقدسة بالحجاز.

و تكشف لنا الوثائق مدى اسهام الجالية الأندلسية في الحياة الاجتماعية و الثقافية بما حبسوه من ممتلكات و عقارات على المؤسسات الدينية و الثقافية. و نوه الباحثون بالأهمية التي تكتسيها دراسة الوثائق الشرعية الخاصة بالوقف في الكشف عن جوانب عديدة في الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لمجتمع ما.

و يمكننا التعرف بواسطة وثائق وقف الأندلسيين على ثرواتهم و مختلف الأنشطة التي مارسوها، و مستوى المعيشة التي كانوا عليها و ذلك بحصر الأموال التي أنفقوها في شراء العقارات و امتلاك المحلات التجارية، أو التي كانوا يدفعونها مقابل استغلالهم لبعض الأوقاف.

كما يتضمن الوقف أخبار ذات صلة وطيدة بالحياة الإقتصادية من ذلك العملية المتداولة وقتذاك و أسعار الجناب و المنازل. و من الصعوبة بمكان أن نضع قائمة جامعة لأصحاب هذه العقارات لصعوبة حصر ذلك لكثرتها، و تكفي الإشارة إلى أن الباحث لا تمتد يده إلى سجلات المحاكم الشرعية المحفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري إلا و يجد العديد من الوثائق المتعلقة بهذه الأوقاف و العقارات و طرق الانتفاء بها. فبالمحكمة يتم تسجيل عقود البيع و الشراء و الأحباس، بل و يتم إضفاء الشرعية على تلك المعاملات.

و في هذا السياق نشير إلى أن **سنان بن عبد الله** اشترى ثلاثة حوانيت، حيث حبس حانوتين لصالح جامع القصبة حيث مرقد الولي الصالح **سيدي رمضان** بمدينة الجزائر، و جعل المشرف على الحبس السيد **سعيد بن علي الأندلسي**، و الحانوت الثالث حبسه لفائدة جامع السيدة داخل مدينة الجزائر، و جعل المشرف على ذلك خطيب الجامع المذكور **أبي عبد الله محمد بن حسن التركي**[1]، و ثقة أهالي الجزائر

[1] س.م.ش. علبة 32، وثيقة 32-111ف.

في تولي أفراد الجالية الأندلسية الإشراف على أحباسهم و رعاية شؤونها تدل على المكانة الإجتماعية المميزة التي وصل إليها الأندلسيون في العهد العثماني. و من استقراء سجلات المحاكم الشرعية، و القيام بعملية تتبع لأسماء الأماكن و الشوارع و الأحياء التي كان يقيم بها الأندلسيون، و لهم فيها عقارات و أوقاف، يستطيع الباحث أن يقف على مدى انتشار أفراد الجالية الأندلسية على خريطة مدينة الجزائر، و كيف أنهم أصبحوا يلعبون دورا في بنيتها الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و قد كان هذا الدور في مجمله إيجابيا و مؤثرا.

و عليه فإن أوقاف أهل الأندلس ما لبثت أن اضمحلت و تلاشت و تناقص مردودها، و لم يعد يستفيد منها عام 1837م، سوى 71 فردا ينتسبون إلى أفراد الطائفة الأندلسية. كما تعرضت زاوية أهل الأندلس إلى الهدم من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1843م[1] . و صدر قرار من طرف السلطات الإستعمارية بتاريخ 1 أكتوبر 1844م، يقضي بإخضاع الأوقاف للمعاملات التجارية، و نزع صفة المناعة عنها. و ذلك جعل حدا نهائيا لأوقاف الأندلس بالجزائر[2] .

و من الملاحظات الأولية التي يجب تسجيلها من خلال دراستنا للعقود الشرعية ما يلي:

أولا: تعرفنا وثائق الوقف على أسماء العديد من رجال العلم و موظفي السلك الديني من الأندلسيين و غيرهم من وكلاء و نظار و فقهاء و على سبيل المثال نذكر اعتمادا على الوثائق الموجودة بأيدينا أسماء بعض هؤلاء الأعلام، الحاج **عبد القادر بن الحاج الغبري** ناظر أوقاف الأندلس سنة 1681م، و **الحاج يحي الخياط** وكيل فقراء الأندلس سنة 1568م، و المشرف على فقراء الأندلس السيد **ابن محمد الأندلسي** و **السيد محمد بن علي الأندلسي** وكيل الولي **الصالح سيدي عمر التنسي** و **أبو عبد الله محمد بن حسن** التركي إمام جامع القصبة، و الحاج **محمد بن سالم** ناظر أوقاف الحرمين الشريفين سنة 1662م، و **حسن القاضي** و **الحاج محمد بن عبد الرحمن**.

---

(1) مرسوم 1 أكتوبر 1843م، نص في مادته الثالثة على رفع صفة المناعة على الحبس، و اعتبره مدنيا في قانون المعاملات التجارية التي تهم الأوربيين.

(2) ناصر الدين سعيدوني، دراسات...المصدر السابق، ج2، ص 58.

ثانيا: تطلعنا وثائق الوقف على نوعية النشاط الإقتصادي لأفراد الجالية الأندلسية بالجزائر، و تعطي لنا فكرة عن الأعمال التجارية و الحرف و الصنائع، و هذا ما يمكن استنتاجه من الألقاب الحرفية التي كانت تضاف إلى أسماء الأعلام أو استخراجه من الحرف الوادة في الوثائق و نذكر من ذلك، مهنة الخياطة و العطارة و الحدادة، و الحياكة و الحرارة و صناعة الشواشي.و من خلال وقوفنا عند الأسماء و الألقاب المهنية التي صاحبتها أسماء الشهود و المشرفين على البيع و الأحباس. استطعنا رصد بعض الألقاب التشريفية التي وصف بها أفراد الجالية الأندلسية، و لا بأس أن نشير إلى البعض منها كالمنعم و المكرم و الأجل و الناسك و العلامة و الأبرار و فضلاء الأندلس و العظيم و فضل الخير و غيرها من الألقاب.

ثالثا: ترسم لنا وثائق الوقف صورة عن الحياة الإقتصادية بمدينة الجزائر في العهد العثماني، لما ورد فيها من أسماء الأسواق مثل سوق المقايسية و سوق الفكاهين و سوق الخضارين و سوق الكتان و سوق الشواشي.

رابعا: إن قراءة منهجية في عقود تحبيس الخاصة بوثائق الوقف تسمح لنا برصد الملكيات العقارية، و على المالكين و على كيفية توزيعها ضمن الشرائح الإجتماعية، و تمكننا من التعرف على طوبوغرافية المدينة و على معالمها من أسواق و مرافق عامة، في غياب الخرائط و الأوصاف الدقيقة في كتب الإخباريين.[1] و إنه لمن الأهمية بمكان التنويه بالدقة التي روعيت من قبل الموثقين في تحرير العقود مما لا يدع مجالا لأي إلتباس أو غموض. و يرجع الفضل في هذا إلى الطريقة المتبعة إلى تحديد مهنة الواقف و الموقع (المكان) و الأطراف المستفيدة منه و الغرض من الوقف، و من هنا نستنتج أن أصول التوثيق كانت دقيقة في المجتمع الجزائري في العهد العثماني بالمحاكم الشرعية.و الوثائق التي اشتملت عليها المحاكم الشرعية، قد حددت الدور الذي أضحى يلعبه الحاكم الشرعي أي القاضي بالمدينة، فهو قاض الأحوال الشخصية والوصاية و العتق و القائم على الأحباس و المشرف على البيع و الشراء و الهبات(2).

(1) عائشة ، غطاس :" سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني " مجلة إنسانيات، وهران، المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجية و العلوم الإجتماعية، عدد 3، 1997، ص72

(2) المقال نفسه، ص71

خامسا: تتعرض الوثائق الشرعية للحبس من مختلف جوانبه سواء كان أرضا زراعية أو ملكا عقاريا. كما تنص الوثائق على كيفية التعرف على الوقف و الإصلاحات التي يتطلبها و النفقات التي يستوجبها، مع اثبات مقدار الدخل الذي يوفره الحبس، مع تحديد الوصايا و تسوية الارث، زيادة على ذكر المحبس و مرجعه و المنتفع به و المشتغل به و المشرف عليه و التاريخ الذي يعود إليه (1).

سادسا: يتضح من استقراء المصادر المعاصرة لفترة الحكم العثماني في الجزائر، و سجلات المحاكم الشرعية التي كانت قائمة خلال هذه الفترة، أن الجالية الأندلسية، أصبحت قوة لا يستهان بها و أصبح لها دورها في توجيه سياسة النظام الاداري في المدينة. و قد اكتسب الأندلسيون هذه القوة نتيجة لعاملين أساسيين:

- الثراء الضخم الذي أصبح عليه كثير من أفراد هذه الجالية و بخاصة من فئة التجار و أصحاب الحرف.
- انتماء كثير من أفراد هذه الجالية انتماءا عضويا إلى النخب العثمانية للتمتع بإمتيازاتها المادية و الأدبية. و قد وصل هذا الانتماء إلى حد الارتباط الاجتماعي و التزاوج و المصاهرة.

و من بين النتائج التي يمكن استخلاصها من دراسة أوقاف أهل الأندلس بالجزائر في العهد العثماني ما يلي:

- لم تعرف الأوقاف توسعا ملحوظا و إنتشارا واسعا بالجزائر إلا أثناء الفترة العثمانية، و قد ساعدها على ذلك انتشار الروح الدينية و سياسة الحكام، و تأثير رجال الدين و المرابطين.
- بفعل عوائد الأوقاف تمكن حكام الجزائر من ايجاد حلول ملائمة لتسيير الشؤون الثقافية، التي ما كان لها أن تتم لولا مداخيل الأحباس التي كانت تساهم في نفقات التعليم و سد حاجة العلماء و الطلبة، و التكفل بأجور المعلمين و القائمين على شؤون العبادة بالمساجد و الزوايا و صيانة الأضرحة.

(1) للمزيد حول سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني. راجع : عائشة، غطاس، المقال السالف الذكر، ص71-81.

- كانت الأوقاف خير مساعدة و تخفيف لشقاء المساكين و الفقراء و المحتاجين، بما كانت تقدمه لهم من صدقات و اعانات.
- الحد من المظالم و الأحكام التعسفية للحكام، حيث كان الوقف يوفر وسيلة فعالة للمحافظة على الثروات و الأملاك و الأراضي الموقوفة.
- بفضل الوقف تم رعاية و صيانة المرافق العامة، مثل العيون و السواقي و الآبار و الطرق.
- أدى الوقف إلى اقرار حدود الملكيات الزراعية التي تعتمد على العقود الشرعية[1] .

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1986، ص 101-106.

4- الأندلسيون و الحياة الثقافية

4-1- الأندلسيون و النشاط الثقافي

لم يقتصر الموريسكيون الأندلسيون في التأثير على النشاط الإقتصادي و العلاقات الإجتماعية بإيالة الجزائر فحسب، بل كان لهم دور مهم في ميدان التعليم و مجال الفن و نمط العمارة.

و نلاحظ أن توافد الأندلسيين إلى الجزائر و خاصة "دار السلطان" عمل على تعميق الإحساس بالإنتماء العربي-الإسلامي لدى السكان و الذي ساعد على توطيد و تدعيم مكانة الفقهاء في المدن و زيادة نفود المرابطين بالأرياف و ذلك منذ فترة متقدمة تعود إلى مبادرات علماء و صلحاء أهل الأندلس بالمغرب الأوسط.

و قد ارتقى العديد من الأندلسيين في الوظائف الإدارية و الدينية كالقضاء و الإمامة و النظارة. و اشتهر منهم **ابن النيقرو** و **ابن الكبابطي**، كما سارعت النخبة الأندلسية إلى تأطير مجموعتها من خلال تخصيص الأوقاف للإنفاق على المحتاجين من أبناء جلدتهم للمحافظة على نفوذها في أوساط الأندلسيين، و تظهر نفسها للحكام العثمانيين بالجزائر على أنها الحليف الطبيعي لهم في حربهم ضد الإسبان[1] .

و على الرغم من أن الهجرة الأندلسية المتأخرة في القرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين، لم تكن غالبيتها من ذوي الثقافات الواسعة تماثل مستوى الهجرات السابقة من حواضر الأندلس، إلا أنها ضمنت من بين أفرادها بعض العلماء و الصلحاء الذين تعاونوا مع الفقهاء و المرابطين من أهل الجزائر، مثل سيدي **أحمد بن يوسف** دفين مليانة سنة 951هـ/1524م. و جند هؤلاء السكان بدعوتهم إلى الجهاد لطرد النصارى من السواحل، و كانوا عونا للسلطة العثمانية بالجزائر[2].

و لم يتوقف نشاط صلحاء و علماء الأندلسيين من اثارة الحماس و الدعوة إلى الجهاد، بل تعداه إلى الأعمال الخيرية و الخدمات التعليمية في رعاية شؤون الناس، مما زاد من تقدير السكان لهم فأصبح الولي الأندلسي **سيدي فرج** محل تقدير، و تحول

---

(1) ناصر الدين سعيدوني، صورة...المقال السالف الذكر، ص 239.

(2) ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 119.

ضريحه بعد موته إلى مزار. و نال **سيدي يعقوب الشريف** الزبوج القرطبي مكانة لدى سكان الأطلس البليدي فتحول ضريحه إلى مكان للزيارة و التبرك بالقرب من سطوح الشفة سنة 927هـ-1521م. و سيدي **أحمد الكبير الأندلسي** الذي أيد **خير الدين بربروسة**، و أصبح محل تقدير من قبل سكان البليدة، و سيدي علي **بن مبارك الأندلسي** الذي التف حوله المدجنون بالقليعة، و بعد وفاته. نسجت الكرامات حوله، حيث ظلت سلالة هذا الولي تحظى بالتقدير لدى الناس[1].

لقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم و احترفوا مهنته بالجزائر في العهد العثماني، و نقلوا طريقتهم الخاصة بهم كما ساهم التراث الأندلسي في الميدان العلمي على تلقين السكان طرق و أساليب علمية أندلسية من تصانيف في مختلف العلوم النقلية و العقلية. فعمل أهل الأندلس على تجديد طرقَ التدريس، و طورا أسلوب تلقي المعلومات التي تجاوزت الطريقة المغربية التقليدية، التي تعتمد على حفظ القرآن و استظهار الحديث النبوي، إلى طريقة البحث و التفكير و الاعتماد على أسلوب المحاور و المناقشة. كما عمل الأندلسيون على نشر خطهم حتى ساد على الخط المغربي. و يمكننا تسجيل الفروق في المناهج التعليمية بين الأندلسيين و المغاربة عموما، استنادا لما أورده **ابن خلدون** في هذا الصدد: "...و لم يتصل سند التعليم فعسر عليهم حصول الملكة و الحذق في العلوم، و أيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة و المناظرة في المسائل العلمية..."[2].

أما في مجال تعليم الأطفال من لدن الأندلسيين و المغاربة، فيورد: "...فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الإقتصار على تعليم القرآن فقط. لا من حديث و لا من فقه، و لا من شعر، و لا من كلام العرب، ... و أما أهل الأندلس فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب... و أخذهم بقوانين العربية و حفظها و تجويد الخط و الكتاب..."[3].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون...المقال السالف الذكر، ص 119.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ط6، بيروت: دار القلم 1989، ص 431.

[3] المصدر نفسه، ص 538.

و لا تكاد المؤسسات الثقافية بالجزائر في العهد العثماني تخرج عن المسجد و المدرسة و الزوايا و المكتبة. لهذا ساهمت الجالية الأندلسية بإنشاء الزوايا و المعاهد و خاصة في مقاطعة الجزائر "دار السلطان" و من أشهرها:

- زاوية أهل الأندلس الملحقة بالمسجد يحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر. و قد ظلت هذه الزاوية منذ إنشائها سنة 1639م، مقصد للعلماء و الطلاب، و أشرف عليها الكثير من النظار و الفقهاء الأندلسيين أمثال **محمد محمد الآبلي**، و **محمد العنجدون** و **محمد السميع** و **محمد بن بكير** و غيرهم.
- زاوية سيدي **أحمد الكبير** الأندلسي بالبليدة.
- زاوية سيدي **علي بن مبارك** بالقليعة.

كما ساهم الأندلسيون في نشاط الزوايا ببلاد القبائل مثل زاوية **الشيخ محمد التواتي** ببجاية[1] .

أما في الميدان الفني، فقد نشط الأندلسيون الحياة الفنية بإيالة الجزائر من خلال الموسيقى التي طورها عبر الموشحات و الأزجال (المالوف)[2] .

و تناول الغناء الأندلسي وصف الطبيعة و المولوديات و الإخوانيات و هي تعكس النموذج الأندلسي المغربي، التي حافظت عليها الأجواق المحلية بالجزائر و البليدة و شرشال و بجاية و تلمسان.

و غلب على الموشحات قصائد المدح "المولوديات" و من أشهر روادها **أبو العباس أحمد بن عمار** الأندلسي (ت 1766م)، و **عمر بن محمد بن سيدي علي الأندلسي** (ت 1749م) و **محمد بن الشاهد الأندلسي** (ت 1793م)، و الذي عرف بترديده لموشحات **ابن سهل** و **ابن زهر** و **لسان الدين بن الخطيب**[3].

---

[1] ناصر الدين سعيدوني. الأندلسيون... المقال السالف الذكر. ص 120.

[2] المالوف الأندلسي اخترعه زرياب و هو فن تلحيني على نظام النوبات. للمزيد راجع : أحمد. سفطي. دراسات في الموسيقى الجزائرية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1988.

و يرى المؤرخ التونسي طالبي. أن المالوف المعروف بالمغرب العربي. لم يأتي به الموريسكيون لأن هؤلاء كانوا يجهلون اللغة العربية. انظر: محمد. طالبي: "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين". مجلة الأصالة. العدد 26. الجزائر. جويلية أوت 1975. ص 64 78.

[3] ناصر الدين سعيدوني. الأندلسيون... المقال السالف الذكر. ص 121.

و كانت الموشحات تنشد على الآلات الموسيقية في المواسم الدينية و الحفلات و السهرات العائلية. و قد تفنن سكان دلس و شرشال و البليدة و الجزائر و القليعة و تلمسان بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية كالعود (الكويترا) و الرباب و القانون و الكامنجا، أو الصوت كالقصبة و الزرنة و الغايطة أو الإيقاعية كالطبل و الدف و الطبيلة و الطار و الدربوكة. و عمل الأندلسيون على تحسين معظم هذه الآلات[1] . و لعل أعمق تأثر خلده الأندلسيون في الجزائر هو حدث الموسيقى و مما لا شك فيه أن استيطان العناصر الأندلسية ببجاية، هو الذي جعل منها مدينة تشبه إشبيلية في شغفها بالموسيقى[2] و انصرافها في الطرب.

و حافظ سكان تلمسان على جانب كبير من التراث الموسيقي الغرناطي، حتى أن كلمة غرناطة بتلمسان صارت مرادفة لكلمة موسيقى، ففي تلمسان اشتهر **أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مسايب الأندلسي** (ت 1776م)، بنظم الموشحات و تلحينها، و قد نسب إليه نظم حوالي 3034 قطعة شعرية (مالوف) معظمها في مجال المدائح النبوية (المولوديات)[3] .

4-2-الأندلسيون و النشاط العمراني

و في مجال العمارة، فقد تميزت أماكن تجمعات الأندلسيين بمدن و فحوص الجزائر و البليدة و شرشال و القليعة و دلس بطابع عمراني خاص، فاستعمل الأندلسيون القرميد بدل السطوح التي كانت شائعة قبل حلولهم بالجزائر الغربية، كما عرفوا أيضا باستعمال الزخارف و المجصصات و التفنن بتشكيلها و ترخيمها. و لعل أحسن صورة لرقي هذا الفن على يد الأندلسيين نجده ماثلا للعيان بمساجد الجزائر و تلمسان مثل **الجامع الكبير** (530هـ/1136م) و جامع **سيدي بلحسن** (696هـ/1296م) و جامع **العباد** (739هـ/1338م) التي لا زالت محاريبها تشهد على تفوق المهندسين الأندلسيين في مجال فن الزخارف و النقوش و الكتابة[4].

---

[1] وليم. سبنسر. المصدر السابق. ص 101.

[2] محمد. طالبي. المقال السالف الذكر. ص 73.

[3] ناصر الدين سعيدوني. دراسات... العهد العثماني. ص 144.

[4] نفسه.

أما المنظر الخارجي للمنازل الأندلسية فهي تتميز بطلاء أبيض ناصع بمادة الجير الذي اشتهرت به مدينة الجزائر التي عرفت "ببلد الجير"، و يستخدم القرميد الأجوف الأحمر أو المائل إلى الزرقة في تغطية المنازل كما هو الحال في مدن البليدة و شرشال و القليعة و دلس. و أدخل الأندلسيون بمدن الجزائر نمطا جديدا من العمارة، يعتمد أساسا على وجود ساحة عامة و منها تنطلق الشوارع المستقيمة.

و يرى الباحث التونسي **سعداوي** أنه من مميزات المدينة الموريسكية بالمغرب العربي تماثل الفضاءات العمرانية التالية:

- تخطيط منظم للطرقات و العمل على توسيعها بشكل مستقيم.
- اقامة ساحة عامة في وسط المدينة بمثابة العصب تنطلق منه الشوارع.
- البعد الديني للنشاط العمراني من خلال بناء المساجد و المنارات و اقامة الحمامات و الأسواق[1] .

و توصل الباحث التونسي في بحثه عن الفضاء العمراني الموريسكي على أن هذا النموذج يعمل في إقصاء النمط العمراني البدوي الذي عرفه المغاربة في البناء، و أن المدن التي شيدها الموريسكيون تشبه في نهضتها الجديدة، ما أنجزه الرومان سابقا في شمال إفريقيا[2] .

و من الانجازات العمرانية الأندلسية، شوارع مدينة البليدة القديمة[3] و تأسيس الموريسكيين لحي الأبيار بالجزائر سنة 1610م[4] . و يرجع الفضل لاسهامات **سيدي معزوز** المري في تطور عمران مدينة مستغانم[5] . بالاضافة إلى تشييد مدرسة مدينة مازونة من طرف الشيخ **محمد بن الشريف البولداوي**[6].

---

(1) Ahmed. Saadaoui. Etablissement des morisques andalous au Maghreb, son impact sur l'urbanisation et la vie urbaine, D.E.A, Paris, 1984, pp. 40-43.

(2) Ibid, p. 44.

(3) C. Trumelet, op. cit, p. 902.

(4) M. Ravillard, op. cit, T2, p. 146.

(5) M. Belhamissi, Histoire de Mostaganem (des origines à l'occupation française), Alger, C.N.E.H, 1976, pp. 35-36.

(6) M. Belhamissi , Mazouna, une petite ville, une longue histoire, Alger, SNED 1982, p. 49.

و تفنن الأندلسيون في تشييد الأسبلة، حيث أنجز **الخشاش** الأندلسي احدى هذه الأسبلة بمدينة الجزائر[1] عام 1579م. كما ساهم هؤلاء الأندلسيون في انشاء قناة لجلب مياه عيون بير طريلية على عهد عرب **أحمد باشا** سنة 1573م، لتأمين مياه الشرب للجزء الشمالي من مدينة الجزائر المهددة آنذاك من طرف الأساطيل الإسبانية، و يبلغ طول هذه الساقية 1700م[2] .

و من أشهر مظاهر الشبكة المائية في العهد العثماني، إنجاز ساقية الحامة على يد أحد المهندسين الأندلسيين يعرف ببساطة **بموسى** الذي أنهى العمل فيها عام 1610-1611م، في ولاية قوصة **مصطفى باشا** الذي حكم الجزائر في فترتين متقاربتين (1605-1607م و 1610-1613م)، و منبع الساقية يبعد عن مدينة الجزائر بـ4300م[3] .

و مما يجدر الإشارة إليه هو أن دور الأسبلة و المنشآت المائية بصفة عامة في المجتمعات العربية الإسلامية منذ عهودها الأولى، كانت إحدى مميزات حضارتنا، فهي تؤكد على المرامي السياسية و الدينية و الأهداف العمرانية و الاجتماعية في انتصاب المرافق العمومية.

و تعتبر الأسبلة إحدى نماذج العمارة الأندلسية بالبلاد المغاربية،و بالرغم من المساهمة الفعالة للأندلسيين في إيالة الجزائر طيلة القرنين السادس عشر و السابع عشر ما لبث أن ضعف التأثير الأندلسي مع مستهل القرن الثامن عشر، حيث اندمج العنصر الأندلسي مع بقية السكان مع مطلع القرن التاسع عشر.

---

(1) Haedo, Topographie...op.cit, p.383.

(2) ناصر الدين، سعيدوني: "من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر، الشبكة المائية في العهد العثماني". مجلة الدراسات التاريخية. العدد 9، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995م، ص 72.

(3) نفسه.

و الملاحظ أنه ابتداء من أواسط القرن الثامن عشر فإن الأخبار عن الجالية الأندلسية، تكاد تكون معدومة، فكتابات الرحالة الأوربيين أمثال **فانتور دوبارادي** (Venture de Paradis)[1] (1788-1790م) و **بايصونـــال**[2] (Peysonnel) و **ديسفونتان**[3] (Des fontaines)، و كذا تقارير القناصل الذين زاروا الجزائر أمثال الطبيب الإنجليزي شاو (Shaw)[4] . فهذه المصادر لن تعد تذكر الأندلسيين على أنهم عنصر متميز في المدن. فهم كغيرهم من سكان المناطق، يحملون إسم المور (Maures)، و أصبحوا يصفون الأندلسيين ضمن طبقة الحضر بإيالة الجزائر، و لم يبق العنصر الأندلسي محافظا على نسبه كما كان في السابق، و لم يعتز بأصوله، سواء تلك العائلات الأندلسية الثرية أو تلك العناصر التي تعاملت بقوة مع السلطة العثمانية.

و لم يستطيع الموريسكيون بالجزائر الاتصال المباشر مع إسبانيا خارج العلاقات الديبلوماسية و التجارية بسبب تفوق الأساطيل الأوربية على القوة البحرية الجزائرية. و ظل الحكم العثماني ينظر إلى الموريسكيين المستقرين بالجزائر على أنهم لا يختلفون عن باقي سكان الإيالة[5] . و كان انكماش المدن بالإيالة و البليدة و القليعة و الشرشال و بفعل انتشار الفقر و ظهور الأوبئة و انعدام العناية الصحية، و انخفاض مستوى المعيشة، و تكرر حدوث المجاعات بمقاطعة الجزائر و ما نتج من تقلص سكان المدن، سببا رئيسيا في اندماج العائلات الأندلسية في بقية الطوائف.

(1) Venture. de Paradis. Tunis et Alger au XVIIIe siècle. (présenté par Joseph Cuoq). Paris. ed. Sindbad. 1983. 292p.

(2) J (A). Peyssonnel. Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger. présentation et notes (Lucette Valenci). Paris. ed la découverte. 1987. 267 p.

(3) R (L). Desfontines. Fragments d'un voyage dans les régences d'Alger et de Tunis. 1785-1786. Paris. 1958.

(4) Thomas. Swah (D). Voyage dans la régence d'Alger. Traduction par S.Mac Carthy. Paris. 1834. 405 p.

(5) M. Emerit. Le voyage...op.cit. p. 376.

و يرجع السبب في تلاشي العنصر الأندلسي بمدن إيالة الجزائر إلى ضعف نشاط أفراده في الميدان المالي، نتيجة مضايقة و استبداد الحكام الأتراك و قادة الجيش. و هذه العوامل حددت من إمكانيات التطور الاجتماعي و الاتصال القائم على مبدأ العمل و المبادرة الفردية للجالية الأندلسية.

بالإضافة إلى انغلاق الطائفة التركية على نفسها، و منافسة جماعة الكراغلة و الأهالي، و ضغط القبائل المحلية و الجماعات الريفية على الوسط الحضري بالمدن، حيث تمركزت الجالية الأندلسية، و شيوع البداوة، عملت على طمس المساهمة الأندلسية في مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية و الاجتماعية[1] .

و على الرغم من أن الإسم أندلسي (Andalous) وحد أفراد الجالية، فإن اختلاف مصادر الثروة و نوعية النشاط الممارس و مراحل و مكان الإستقرار و التوزيع الجغرافي بالجزائر، كانت كلها عوامل جعلت عند الحديث عن الأندلسيين بالجزائر، لا يكتسي نفس البعد من التشابه و المضمون لدى التحدث عن العناصر الأندلسية بتونس أو المغرب الأقصى.

و عليه فإن العنصر الأندلسي بإيالة الجزائر و بالأخص مقاطعة الجزائر قد ساهم بنشاط إقتصادي إجتماعي مميز، و اسهام حضاري، كان له تأثير واضح خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر الميلاديين.

[1] ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي...المصدر السابق، ص 226.

الخاتمة

مثلت الهجرة الأندلسية الأخيرة أهم حدث شهده مطلع القرن السابع عشر الميلادي، في العالم المتوسطي بانعكاساته المختلفة على موازين القوى بين إسبانيا و البلدان المستقطبة للمهاجرين، و بين الإسلام و المسيحية، باعتباره النهاية الحتمية و المؤلمة لمأساة تواصلت أكثر من قرن على سقوط غرناطة، و هدفت إلى استئصال المسلمين من أوروبا المسيحية، و القضاء نهائيا على الحضور العربي -الإسلامي في إسبانيا المسترجعة بصورة ترسم مصير الأقليات العرقية و الدينية في العالم المعاصر.

تتبعنا خلال هذه الدراسة وضعية الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط خلال قرنين كاملين. فقد رأينا أولا علاقة المغرب الأوسط بهؤلاء و هم في بلدهم (الأندلس)، و الدور الذي قامت به إيالة الجزائر بمساعدة الدولة العثمانية في عمليات الانقاد، في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

و درسنا في مرحلة تالية ظروف استقبال هؤلاء و أماكن توزيعهم و استقرارهم في مختلف مناطق الجزائر.

و وضحنا دور إيالة الجزائر في فتح مجالات و فرص العمل للطاقات الأندلسية، و سجلنا مختلف أنشطتهم العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، و كذا عن دورهم الفعال في تثبيت قواعد الحكم العثماني بالجزائر.

ومن جهة أخرى سمحت هذه الدراسة من الخروج بالإستنتاجات التالية:

أولا: ظل أفراد الجالية الأندلسية خلال هذه الفترة، يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة، فهم يتحينون الفرصة للرجوع إلى الأندلس.

ثانيا: شكل أفراد الجالية الأندلسية فئة إجتماعية متميزة، فهم لا يميلون إلى الإختلاط بغيرهم، فالمرأة الأندلسية مثلا لا تتزوج من غير أندلسي، إلا إذا اضطرتها الحاجة و الفقر إلى ذلك، لاعتزازهم بالأصل الأندلسي.

ثالثا: على مستوى التأطير العسكري و الجهاد البحري، كانوا أشد أعداء المسيحيين (الإسبان)، و من أجل ذلك مارسوا تجارة الفداء و بيع الأسرى، و ساهموا في تمويل مشاريع الجهاد البحري، كما شاركوا -إلى جانب الجند العثماني في الجزائر- في الكثير من الحملات العسكرية.

رابعا: أصبح أفراد الجالية الأندلسية -وخاصة في مجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني- يشكلون فئة إجتماعية بإمكانيات إقتصادية معتبرة، جعلها تبرز كنخبة مميزة في الجزائر العثمانية. و كانت مشاركتهم فعالة في أوجه الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية.

خامسا: أنشأ الأندلسيون بمدينة الجزائر، زاوية و مسجدا، و خصصوا أوقافا لمساعدة فقرائهم،ووضع مرتبات رجال علم و طلبة جاليتهم من فقهاء و مدرسين و أئمة و ونظار، إلى جانب مساهمتهم في تخصيص أحباسا لفائدة فقراء الحرمين الشريفين.

سادسا: كانت الهجرة الاندلسية إلى الجزائر، بحكم سياسة الإستقبال و التوطين، رافدا حضاريا هاما و متميزا مساهما في تقدم البلاد خلال الفترة العثمانية.

سابعا: فقدت الجالية الأندلسية تفوقها الحضاري و السياسي، و بدأت تندمج تدريجيا مع باقي أفراد المجتمع الجزائري، و ذلك مع بداية القرن الثامن عشر الميلادي.

تلك كانت بعض الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها، من خلال تتبعنا لمراحل التواجد الأندلسي بالجزائر.

و إذا ما إتجهت الأبحاث مستقبلا إلى نشاط الجالية الأندلسية بالجزائر العثمانية و هذا بالإعتماد على وثائق المحاكم الشرعية، فإنه يمكن الخروج بقواعد معلومات موسعة و هامة عن التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي للجزائر في العهد العثماني.

الملاحق

تعريب الفرمانات التركية - العثمانية

1. ترجمة الدكتور محمد داوود التميمي .

2. ترجمة الأستاذ شكيب بن حفري .

-نماذج مصورة للوثائق العثمانية (فرمانيين) ، و هي موجـــودة بمركـ

الأرشيف الوطني الجزائري ضمن وثائق تاريخ الجزائـــر العثمـــاني

و التي كانت محفوظة بالمركز الوطني للدراسات التاريخية سابقاً.

مهمة دفتري رقم 23 / حكم 244 / تاريخ 19 رجب 981هـ / السبت 14 نوفمبر 1573 م

السلطان : سليم الثاني **الوالي :** أحمد عراب

الملخص : الأندلسيون بالجزائر يشتكون من ضيق ذات اليد ، يقولون أن القضاة يعطون مخصصاتهم لأهل البلاد .

مهمة دفتري رقم 23 / حكم 284 / تاريخ 27 رجب 981 هـ / الاثنين 23 نوفمبر 1573 م .

السلطان : سليم الثاني . **الوالي :** أحمد عراب

الملخص : شكوى الفقراء اللاجئين من الأندلس من التعدي عليهم و حرمانهم ، الأمر الذي أدى بالتحري عن ذلك ، و رد ما أخذ منهم و إعفائهم من الضرائب

وثيقة رقم 01

مهمة دفتري رقم 23/حكم 244/ تاريخ 19 رجب 981هـ/السبت 14 نوفمبر 1573م.

(1)- حكم إلى أمير أمراء الجزائر

تقدم فقراء الأندلس (كذا) و مدجل (كذا) بعرض حال جاء فيه أن غالبيتهم من الفقراء و أهل العمل و أنهم غير قادرين على الكسب و العمل ليس لهم حرفة يشتغلون بها، و أنهم من ضيق العيش نتيجة ذلك.

و ذكروا بأنه يوجد مخصصات (جهات) كثيرة لبلادهم في الجزائر، إلا أن القضاة و المباشرين يعطون تلك الخصصات في حالة شغورها إلى أهالي البلاد و يدعون بأنها ليست من حق الأندلسيين أو من حق أعراب مدجل، و بناء عليها فإننا نأمر:

بإعطاء تلك المخصصات في حالة توفرها إلى المستحقين من فقراء المسلمين من أهل العلم و القرآن، سواء كانوا من أعراب مدجل أو من الأندلسيين و غيرهم و أمرنا حال وصوله عليه بالتنبيه على القضاة و الحكام و متولي أوقاف هناك، بألا يتعللوا أو لا ينحلوا الأعذار إزاء توزيع المخصصات، و يجب إعطاء المستحقين من أعراب مدجل و الأندلس منها كما جاء أعلاه.

2- حكم و أمر إلى إيالة الجزائر

حكم إلى بيلر باي إيالة الجزائر، فإن أهل الأندلس و المدجنين الفقراء قاموا برفع شكوى و عرض حالتهم، بأن معظم هؤلاء الفقراء هم أهل علم و ثقافة، و ما دام أنهم لا يملكون قدرات للإشتغال في مجالات و أنشطة أخرى، فقد اشتكوا من ضيق و عسر المعيشة. و زيادة على ذلك ففي المناطق التي استقروا و سكنوا فيها. و في الكثير من الأحيان و رغم ظهور مناصب شغل شاغرة، فإن قضاة و حكام تلك المناطق، كانوا يعطون هذه المناصب إلى أهل البلاد الأصليين الذين يفضلون عنهم، حتى أصبح من العسير و من الصعب إعطاء هذه الوظائف إلى الأندلسيين و المدجنين. و بناء على ذلك، فإن أهل الإسلام فقراء أهل العلم و القرآن سواء كانوا من الأندلسيين أو من العرب المدجنين أو من غيرهم، تعطى الوظائف و مناصب الشغل لمستحقيها لا غير.

و عليه فإن عند وصول حكمي هذا، لا بد من تنبيه ساتر القضاة و حكام تلك المناطق، و كذلك المشرفين على الأوقاف، بأنه في حالة ظهور مناصب عمل شاغرة لا بد من تعيين و توظيف المستحق و اللائق بها لا غير، و ذلك حسب الوجه المشروع و لا يعذر و لا يعلل هذا الموقف عند توجيه و إعطاء الوظيف بأن هذا أندلسي و ذلك عربي مدجن و غيره من الأقوال.

وثيقة رقم 02

مهمة دفتري رقم 23/حكم 284/تاريخ 27 رجب 981هـ/الإثنين 23 نوفمبر 1573م.

1- حكم إلى أمير أمراء الجزائر

أرسل فقراء الأندلس(كذا) و تقترن (كذا) و مدجل (كذا) إلى شدة سعادتنا برسول أعلمنا بأنهم خرجوا من (دور الحرب) و قدموا إلى الجزائر و الأماكن التابعة لها، ذكر أن القواد و المباشرين طالبوهم برسوم و حقوق كساتر الرعايا على جبن أنهم فقراء و لا يملكون شيئا، كما يطالبون تكاليف لا طاقة لهم بها، مما أثقل عليهم، و أن بعضهم أخذ يعمل كعمال و مزارعين، إلا أن ما حصلوا عليه أخذ من أيديهم عنوة

و إن البحارة سلبوهم ألبستهم و متاعهم و أموالهم و مارسوا أنواع التعدي عليهم، فما السبب في نزع ألبسة و اغتصاب أجور المزارعين من فقراء المسلمين الذين وفدوا من ديار الحرب إلى ممالكنا المحروسة؟

و عليه فإننا نأمر:

بالتقيد في هذا الصدد حال وصول الحكم، و التحري عمن اغتصبوا أموال و متاع و لباس و أسباب و أجور الفقراء و بعد تثبيت ذلك، عليك برد و تسليم تلك الأموال إلى أصحابها كاملة، و لا يسمح لأي كان من سلب أجورهم و لباسهم و أسبابهم و يجب أيضا إعفاء الفقراء من كافة التكاليف لمدة ثلاث سنوات، و عليك بإسكانهم و حمايتهم طيلة هذه الفترة حيث يستردوا قواهم، و يصبحوا قادرين على دفع الرسوم المترتبة عليهم كسائر الرعايا و ذلك بموجب القوانين الجارية في تلك المناطق، و لا يسمح مطلقا بالتعدي على الفقراء خلافا للشرع و القانون و الأمر الهمايوني، و بعد الإطلاع على هذا الحكم يجب إبقاء في أيديهم.

2- حكم و أمر إلى إيالة الجزائر

حكم إلى إيالة الجزائر: قام حالبا الفقراء الأندلسيون و الثغريون و المدجنون بإرسال مبعوث عنهم إلى الباب العالي ذكر بأنهم بعد ترك اموالهم و وسائل رزقهم (بإسبانيا)، فقد نزلوا بإيالة الحرب (الجهاد) الجزائر و المناطق التابعة لها، و أصبحوا فقراء لا يملكون أي شيء. و رغم ذلك فإن قياد و حكام تلك المناطق قاموا بفرض و أخذ الضرائب منهم، كغيرهم من رعايا البلاد و تكليفهم بتكاليف أخرى، جعلتهم يشتكون من ضيق و عسر المعيشة، بل و حتى الأجور التي كانوا يتحصلون عليها من عملهم اليومي. فقد كانت تؤخذ من أيديهم و حتى البحارة فقد أخذوا أموالهم و أمتعتهم و التعدي عليهم و هذا حسب الدعوى التي رفعوها.

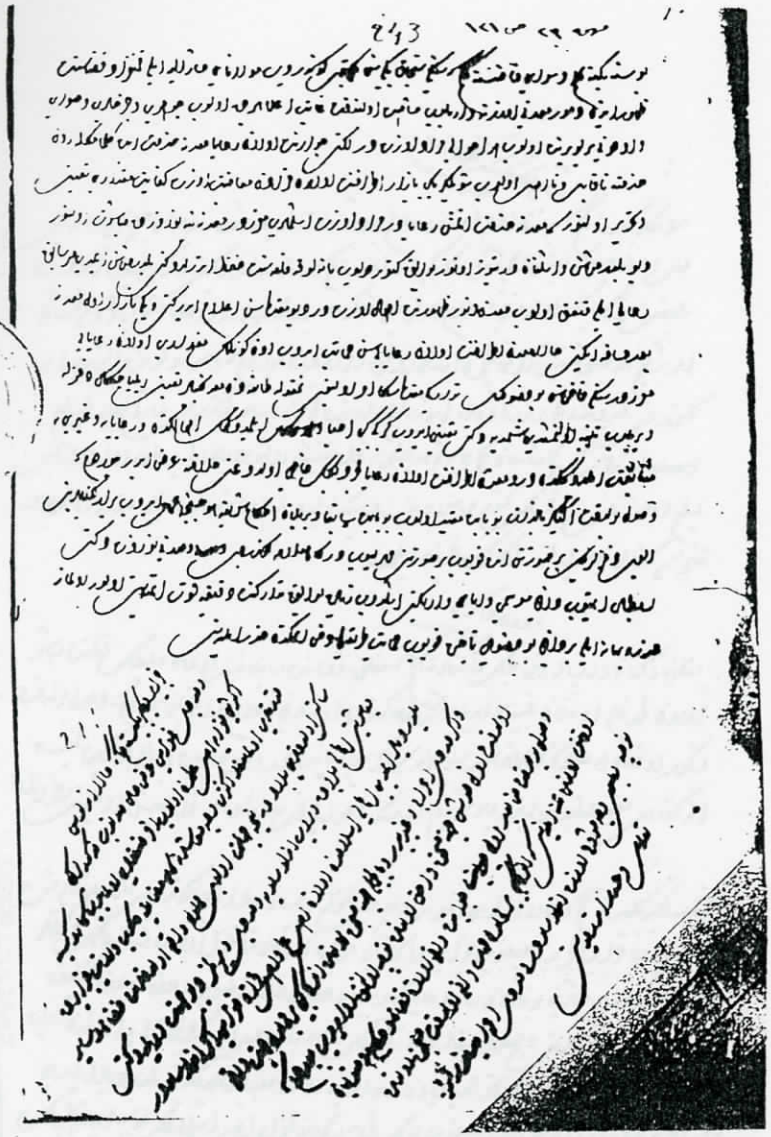
و عليه ما هو سبب أخذ أمتعة و أموال و الأجور التي تحصل عليها هؤلاء الفقراء أهل الإسلام الذين خرجوا من دار الحرب (إسبانيا) إلى ممالكي المحروسة؟ و عليه فإنه بموجب الأمر السلطاني عليك بالإنقياد و الحيطة بأن لا تؤخذ اموال و أمتعة هؤلاء الفقراء و لا الأجور التي تحصلوا عليها من عملهم، و أن لا يعامل كعمال مؤقتين، و العمل على كشف الأشخاص و التحقيق معهم الذين أخذوا منهم أجورهم اليومية و إعادة و رد تلك الأموال لأصحابها و كذلك أمتعتهم و كل وسائل رزقهم، و أن لا يتدخل أحد في شؤون هؤلاء الفقراء الذين يعفون من دفع الضرائب و كل التكاليف لمدة ثلاث سنوات كاملة، و هذا حتى يتم إستقرارهم كغيرهم من رعايا الإيالة و ذلك حسب القانون الجاري بتلك المنطقة، و لذا يؤكد أن الأمور المخالفة للشرع الشريف، فهي غير جائزة و كذا كل أنواع التعدي، غير مقبولة و ليبقى الأمر السلطاني هذا، هو النافذ و السائر المفعول.



- مهمة دفتري رقم 23 | حكم 244 | تاريخ 19 رجب 981هـ |

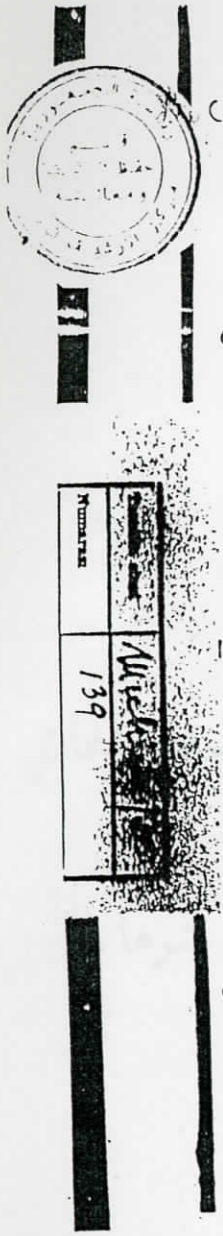
السبت 14 نوفمبر 1573 م





- مهمة دفتري رقم 23 | حكم 244 | تاريخ 19 رجب 981هـ |

السبت 14 نوفمبر 1573 م



مهمة دفتري رقم 23| حكم 284 | تاريخ 27 رجب 981 هـ |

الإثنين 24 نوفمبر 1573 م

الوثـــائـــق

وثائق خاصة بالجالية الأندلسية و نشاطاتها مختارة من سجلات المحاكم

الشرعية المحفوظة بالأرشيف الوطني الجزائري لم يسبق نشرها .

الوثيقة رقم 01

علبة 32، وثيقة 32-111ف، (أوائل شهر ربيع الثاني عام 976هـ-أوائل شهر محرم 991هـ/1568-1583م)

موضوع الوثيقة: تتناول عقد بيع و تحبيس لأربعة حوانيت، تقع خارج باب عزون، بحيث اشتري السيد محمد الحرار الأندلسي المعروف بالطويل حانوتا بثمن قدره 400 دينار، كما حبس السيد سنان بن عبد الله الحوانيت المتبقية على جامع القصبة و جامع السيدة بمدينة الجزائر.

"الحمد لله هذه الوثيقة تنقل هنا للحاجة إليها و التوثق بها، نصت الحمد لله هذه نسخة رسم، بل رسوم أربعة تقيد الثاني منها بصره الأول. و اختتم أسفله و الثالث معول و الأول و الرابع أسفله و أعلاه تقيد عنه الثاني... منها باسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما. أشهد الأمين المكرم المرعي و الأكمل و الأفضل الأجل القائد صفر ابن المرحوم أبي العباد أحمد الناظر وقت تاريخه على مواريث الخزينة و بيع ما هو ملك بيت المال ثمن لله تعالى من الدور و كل الأراضي داخل الجزائر المحروسة و عمله إذ باع بحق نضرة من المكرم إسكندر بن علي و الجشاري من المتفرقة جميع الموضع الكائن خارج باب عزون أحد أبواب الجزائر بإزاء موضوع الجيارين و لمن حانوت هم كذا و قدر الموضع المبيع المذكور طوكا قيم و نصف و عرض خمس قيم بالقامة الوسط بيعا صحيحا جائزا ناجزا... سالما من جميع المفاسد كلها و من المبطلات بأسرها و من الشرط و الخيار بثمن قدره عشرون دينار دارهم جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه المعترف بقبضها و سلم له في المبيع المذكور التسليم التام.

بحيث لم يبق لبيت المال في ذلك بقية حق و لا شبهة... و لا حال فتسلم ذلك منه و ملكه دون بيت المال و حل فيه محل المالك في أملاكه بعد المعرفة بقدر ذلك المعرفة التامة النافية للخطر و الجهالة و عرف معا قدر ما تبايعاه مجملا و لاشينا منه و أمضياه بينهما على واجب السنة فيه و المرجع فالرد بها حيث يجب شهر عليها بما فيه عنها من أشهاده به على أنفسها و هي بحال الصحة و الصوع و الجواز و عرفها و عرف ناظر الأمين المذكور على المواريث حي القائم من قبل من لدن ذلك عاقب بيع أوائل شهر ربيع الثاني من عام ستة و سبعين و تسعمائة (976 هـ) أحمد بن سعيد البكرتي وفقه الله تعالى و محمد بن عثمان بن حمزة وفقه الله.

الثاني الحمد لله حضر بمحضر السيد المكرم اسكندر بن علي المذكور عما في الرسم المفيد أمامه و ذكر له أنه أحرى في الموضع المذكور حيث اشترى أربع حوانيت... و أنه باع الحانوت و الأطراف منها من ناحية القبلة للمكرم محمد الحرار الأندلسي عرف الطويل و بقي على ملكه ثلاثة حوانيت مع الرواق المذكور... بعد ذكره أشهد به على نفسه أنه باع جميع الثلاثة حوانيت الباقية على ملكه مع الرواق المذكور للمعلم سنان أبو عبد الله العلام الحجام صناعة الجير المبيع المذكور من جهة القبلة الحانوت المبيع من محمد الطويل المذكور... أثره و من الشرق في الطريق الواسع الكبير و من أخرى و هي القريبة الطريق... عليها فندق الذهب بما للثلاث حوانيت و الرواق المذكور من الحدود و الحقوق و الحرم و المنافع و المرافق الداخلية فيها و الخارجية عنها و ما عرف منها و عرف بها و نسبب قديما و حديثا إليها بيعا صحيحا تاما... ناجزا سالما من المفاسد... و من الشرط... و الخيار بثمن قدره بجميع

الثلاثة حوانيت و الرواق المذكورين فيه أربعمائة دينار (400) دراهم خمسينية العدد جزائرية الضرب من سكة تاريخه، قبض البائع المذكور من المبتاع سنان المذكور دنانير ذهبية...

و نص الثالث الحمد لله حبس المكرم المرعي سنان بن عبد الله العلام الحجام صناعة المذكور مبتاعا في الرسم المفيد بالغرة اليمنى من الرسم حبسا على جامع القصبة الفرعية المعروف بالولي الصالح سيدي رمضان داخل بلد الجزائر أمنه الله و أهلها جميع الحانوت الواحدة الموالية لناحية البلد... مع قطعة مقتطعة من الرواق المذكور... ذلك و يعرف فيما يحتاج إليه الجامع المذكور من زيت و حصور و ما أغنى له عنه على الدوام و الاستمرار بعد أن تفرع منها مصالح الموضعين المذكورين من بناء و غيره مما... به غلتها حبسا تاما مؤبدا كما ذكر يغير عن حاله و لا يبدل عن سبيله فمن المحبس المذكور و بذلك وجه الله الغفور جاز ثوابه الجزيل أن الله يجزي المتصدقين و لا يضيع أجر المحسنين فمن سعى في تبديله أو تغييره، فالله حسيبه و سائله وولي الإنتقام منه و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. و تخلى المحبس المذكور عن ذلك كله و أسلم إلى المكرم سعيد بن علي الراعي الأندلسي فقبضه منه... بعد أن أذن له في حوزه مجاز للجامع المذكور عاينه... في أوائل ذي حجة الحرام عام ثمانين و تسعمائة بذله مصلح، بل مغروب عليه... منصور بن يوسف ابن السيد وفقه الله و علي بن ابراهيم... و نص الرابع الحمد لله يشهد بضمنه من يتسمى بعد من الشهر أو معرفة المكرم الأجل و الأخص و الأرض سنان العلام المذكور أعلاه...

أشهرهم على نفسه أنه حبس جميع الحانوتين الباقيتين على ملكه الكائنتين خارج باب عزون أحد أبواب بلد الجزائر المحوط بالله المذكورتين بجميع حدودها و حقوقها و حرمهما على جامع السيدة بداخل المدينة المذكورة، تصرف غلتها فيما يحتاج إليه المسجد المذكور حبسا مؤيدا و وقفا محميا لا يغير عن حاله و لا يبدل عنه سبيله إلى أن يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين و تخلى عنها و أذن في حوزهما للفقيه الأجل العالم العلم العلامة خطيب الجامع المذكور أبي عبد الله محمد بن المرحوم حسن التركي فقبضهما منه بتفرغه إياه لذلك و احتازهما بمحضرهم و على ذلك كله... بتاريخ أوائل ذي حجة الحرام عام إحدى و تسعين و تسعمائة..."

الوثيقة رقم 2

علبة 102-103 وثيقة، 65-9ف، أواخر شهر ذي القعدة عام 1065هـ/1654م

موضوع الوثيقة: تتناول عقد شراء أرض بفحص مجبر القديم من طرف السيد محمد بن على الأندلسي بثمن قدره 80 دينارا.

" الحمد لله باع بيمين الله تعالى الشاب الأجل التالي كتاب الله عز و جل السيد الصديق بن المرحوم بكرم الله تعالى الحاج سالم العنابي من المكرم الأجل السيد محمد بن علي الأندلسي وكيل الوالي الصالح البركة سيدي عمر التنسي نفعنا الله به، كافة جميع القطعة الأرضية، من (كذا) التي على ملكه المجاورة لجنته الكائنة بفحص مجبر القديم يجد القطعة المذكورة قبلة بذكر المبتاعين جنة الشيخ سيدي عمر المذكور و جنة الحاج محمد بن بروشو و غربا الضحوة الكبيرة الكائنة هنالك القريبة من النادر...

و المعروفة بابراهيم أغاوش في جنة المبتاع المذكور للمبيع المذكور من الحدود و الحقوق و الحرم و المنافع و المرافق الداخلية فيه و الخارجية منه و ما عرف منه و عرف به و نسب قديما و حديثا إليه

بيعا صحيحا مستوفى الشروط الشرعية بثمن قدره في المبيع المذكور و في كافة حقوقه ثمانون دينارا جزائرية خمسينية (80) العدد من سكة التاريخ قبض البائع المذكور من المبتاع المذكور جميع الثمن المسطور اعترافا القبض التام... و وضع الشهادة فيه أواخر شهر ذي قعدة الحرام من عام خمسة و ستين و ألف.".

الوثيقة رقم 03

علبة رقم 16 مكرر، وثيقة 1-218ف، شهر جمادى الثانية عام 1073هـ/1662م

موضوع الوثيقة: تتناول عقد شراء و تحبيس، لحانوتين قرب باب عزون، من طرف الحاج علي بن حسن الأندلسي صانع الشواشي بثمن قدره 2800 دينار، و حبسهما لفائدة فقراء الأندلس و فقراء الحرمين الشريفين.

"الحمد لله بحق أن خلص للحرة خديجة بنت الحاج محمد الحجام، تملك جميع الحانوتين الإثنين الكائنة أحدهما بالخضارين فوق شارع باب عزون أحد أبواب محروسة الجزائر الملاصقة للحانوتين الإثنين أحدهما لصيقة باب الواد المعروفة لابن قارا أحمد الكائنة هنالك داخل البلد المذكورة. و الحانوت الآخر بالفكاهين قرب الشارع المذكور بداخل البلد المذكور. الشهيرة أولاهما بابن الشريف الخضار و الثانية لعلي العباد شهرة كافية المخلفتين عن أمها المرحومة الحاجة عائشة بنت أحمد حويجات الصائرتين لأمها المذكورة إرثا من ابنتها فاطمة بنت علي الصبان المتوفي عنها و عن ولديها الفاضلين السيد أحمد و السيد محمد ابني المرحوم الحاج أحمد الهنجيط بمصالحة خديجة المذكورة جانب بيت المال من البلد المذكور عن ماله من متخلف أمها المذكورة أصلا و سواء... بواسطة بعلها الحاج محمد الخياط بن علي الحجام مع أولادهما الموصي لهم بالثلث و هو الحاج علي و عمر و عزيزة في متخلف أمها المذكورة حسبما ذلك كله مسعى في رسم بشهادة عن وال بين المال المذكور في التاريخ مؤرخ في أواخر جمادى الأولى من عام تاريخه.

و قبض عليها شهيدا الخلوص التام، اشترى منها الناسك الحاج علي صانع الشواشي ابن حسن الأندلسي جميع الحانوتين الإثنين المعروفة أحدهما لابن الشريف و الأخرى لعلي العباد بحدودهما و حقوقهما و عامة منابعهما الداخلية فيها و الخارجية عنها و ما عرف منها و عرف بها و نسب قديما و حديثا إليهما اشترى صح عقده دون شيء يفسده من الشرط... و الخيار بثمن قدره في الحانوتين المذكورتين و في كافة حقوقهما ألفا دينار إثنان و ثمانمائة دينار (2800) كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه....

ثم أشهد المشترى الحاج علي المذكور شهير به على نفسه أنه حبس على فقراء الأندلس القاطنين بمحروسة الجزائر و على الفقراء القاطنين بالحرمين الشريفين مكة و المدينة زادهما الله تشريف جميع الحانوتين الإثنتين المذكورتين بما لها من حدود و حق داخلا فيها و خارجا عنها و ما عرف منها و عرف بها و نسب قديما و حديثا إليهما شطرهما لفقراء الأندلس المذكورين و شطرهما الآخر الباقي منها لفقراء الحرمين الشريفين يقتاتون سبيله و منواله حتى يرث الله الأرض و من عليها و هو خير الوارثين... و أذن المحبس المذكور للناسكين... الحاج يحي الخياط وكيل فقراء الأندلس في التاريخ

و ابن محمد الأندلسي و السيد الحاج محمد بن سالم وكيل فقراء الحرمين الشريفين في التاريخ في حوز الحانوتين المذكورتين عنهما فجازاهما عنه لمن ذكر...

شهد على المشتري و البائعة و الحائزين المذكورين فيه بما فيه عنهم... بتعريف بعلها المذكور بتاريخ غرة جمادى الثانية من عام ثلاثة و سبعين و ألف".

الوثيقة رقم 04

علبة 1-47، وثيقة 7-19ف، أوائل شهر شوال من عام 1073هـ/1663م.

موضوع الوثيقة: تتناول رسم تحبيس لدار بطريق الشراء بمدينة الجزائر، لفائدة فقراء الأندلس و فقراء المدينة المشرفة، و المحبس هم جماعة من شرفاء الأندلس، حيث اشتروا الدار بثمن قدره 6000 دينار.

"الحمد لله هذه نسخة رسمين إثنين ينتقلان هنا للحاجة إليها و التوثق بها. نص الأول منهما: الحمد لله تعالى باع المكرم الناسك ابن الحاج أحمد بن موسى عرف بو زويجة المذكور مبتاع أعلاه... جميع الدار المذكورة حيث أوصى من الكرام و أخبار الجلة الأبرار جماعة فضلاء الأندلس و هم الحاج ابن الناسك الخير الحاج ابن أحمد بن قاسم و الناسك ابن الحاج يوسف بن سليمان و الناسك ابن الحاج أحمد بن جعفر و المكرم الأجل محمد بن قاسم، بجميع حدودهما و حقوقهما و حرمهما و منافعهما و مرافقهما الداخلية فيها و الخارجية عنها... بثمن قدره في جميع الدار المذكورة و في كافة حقوقها ستة (6000) آلاف دينار كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة تاريخه قبض البائع المذكور من المشترين المذكورين من الثمن المذكور أربعة آلاف (4000) دينار من الصفقة. معاينة، و الباقي لتمام الثمن المذكور الذي قدره ألف دينار و إثنتان و مائة دينار (1102) واحدة من الصفقة.

أنظرهم البائع المذكور بأدائها لتمام سنة تاريخه لا براءة لهم من ذلك الواجب شرعا، و بسبب ذلك و من أجله سلم لهم ثمن بيعه المذكور التسليم التام، يتسلموه منه و ملكوه دونه و حل فيه محله محل ذي المال و ماله و ذي المال الصحيح في ملكه بعين الرؤية و التفليس و الرضى باعتراف المشترين المذكورين و فيهم الجميع... و أمضوا ذلك بينهم على رحب سنة...

ثم أشهر المبتاعون المذكورون شهير به على أنفسهم أنهم حبسا جميع الدار المذكور على المكرم الأجل فضل الخير أرض المرتضي السيد أحمد العطار ابن أحمد الأندلسي عرف الغماري و على عقبه و عقب عقبه المذكور و ما تناسلوا... فإن انقرضت عن أحدهم و تولى... على جميعهم رجعت الدار المذكورة نصفين، النصف منها حبس على فقراء الأندلس بالجزائر المحمية و النصف على فقراء المدينة المشرفة و الأندلسي منهم على ساكنها... برضى من فضلاء الأندلس بالجزائر المحمية بالله حبسا... بتاريخ أوائل شوال المبارك من عام ثلاثة و سبعين و ألف... في دار السيد أحمد العطار المرابط في فحص سوق الكتان بجوار زنقة الموجاجو".

وثيقة رقم 05

علبة 34، وثيقة 2-1ف، أوائل شهر صفر عام 1092هـ/1681م.

موضوع الوثيقة: تتناول وصية فاطمة بنت أحمد الغبري بثلث ثروتها بعد موتها لفائدة فقراء الأندلس و فقراء الحرمين الشريفين، بعد تسوية الإرث.

"بعد أن توفيت و صارت إلى.... أن المرحومة فاطمة بنت أحمد الغبري... إبنتها الحرة، امنة بنت المرحوم الحاج مصطفى الأندلسي و عصبها السيد محمد و هو المكرم الأجل الشاب محمد لا غير... و قد كانت الهالكة أوصت في حياتها أنه مهما انتهى أجلها المحتوم و توفاها الحي القيوم، فيخرج الثلث الواحد... و يعطى منه عن شقيقها المرحوم السيد محمد المذكور بجانب فقراء الأندلس بمحروسة الجزائر ما قدرة خمسمائة دينار (500) و ذلك الألف (1000) دينار الباقية لهم بذمته مما كانت أوصت لهم... ملكا يكون وقفا على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة... و فقراء الأندلس... و هو ثلثان إثنان يكون حبسا على فقراء الحرمين الشريفين و آخر يكون وقفا على أولاد ابنتها آمنة المذكورة و هم محمد و يوسف و آمنة و أولاد المعظم السيد أحمد بن الحاج علي الغبري و على من سيولد لإبنتها المذكورة بقيمة عمرها من الذكور و الإناث أن قدر الله تعالى بذلك ثم على ذريتهم و ذرية ذريتهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام.

و الذكر و الأنثى في ذلك على حد السواء و يكون المرجع في ذلك بعد إنقراض الجميع لفقراء الحرمين الشريفين و فقراء الأندلس المذكورة على النسبة المرسومة و جعلت النظر في ذلك كله كإبنتها المذكورة مدة حياتها كل ذلك بذكر البنت و العاصب المذكور و بذلك الناظر وقت التاريخ على أوقاف فقراء الأندلس و هو المعظم الأجل السيد الحاج عبد القادر بن الحاج علي الغبري لا وارث لمن ذكرت وفاتها فيه سوى عن ذكر في علم من علمه و صحت العريضة بين الوارثين، و جانب الوصية المذكورتين من ثلاثة أسهم لكل واحد منهم سهم واحد و تلك جملتها. و خلفت الهالكة المذكورة رحمها الله موروثا عنها جميع الطبقة السفلى من العلوي و الكائن بسوق المقايسية قرب باب البحر داخل البلد المذكور الذي كان في إعتماد بعلها الحاج مصطفى المذكور المشتمل على غرفتين إثنتين و هي الطبقة الثانية بإعتبار الحانوتين أسفل العلوي مع نصف واحد من الطبقة التي فوقها التي نصفها الآخر على ملك البنت المذكورة و جميع الحانوت الواحدة من الحانوتين اللتين أسفل العلوي المذكورتين و هي (كذا) الخارج من العلوي المذكور التي في اعتماد عبد الرحمن المقايسي و أسبابا و أثاثا و حليا و غي ذلك مما سيؤدي و دينا لها على إبنتها آمنة المذكورة قدره ثلاثة آلاف دينار و تسعمائة دينار (3900) بمئتان (200) مقدمة و ثلاثة و خمسون (53) دينارا كانت أحيلت بذلك عليها من قبل جانب بيت المال مما صار لها إرثا في بعلها المذكور المتوفي عنها و عن إبنته المذكورة و عصبة بيت المال حسبما ذلك كله مبين و مفسر في رسم لعدالة بيت المال.

وقف عليه شهيدا و أراد الوارثان المذكوران و ناظر الفقراء المذكورين و هو السيد الحاج عبد القادر المذكور في حق فقراء الأندلس و فقراء الحرمين الشريفين الاستنابة ناظري أوقاف الحرمين الشريفين إياه فيما سيؤدي التفاصل في متروك الهالكة المذكورة و توصل كل منهم إلى منابه منه من ناب منهم عن نفسه فعن نفسه و من ناب عن غيره فعن غيره فقوم على الإبن بل على العاصب المذكور جميع الحانوت المذكورة بثلاث آلاف دينار (3000) و قوم عليه و على البنت المذكورة جميع الثلاثة الأرباع المخلفة عن الهالكة المذكورة من العلوي.... بستة آلاف دينار (6000)، بتأخير المثنات و ثلاثمائة دينار (300) من حساب ثمانية آلاف دينار و أربعمائة (8400) لجميع العلوي على نسبة.

إن للبنت المذكور من الثلاثة الأرباع المسطورة ثلثين و للعاصب المذكور ثلثا واحد و نسبته من جميع العلوي ربع واحد. و بيع جميع ما خلفته الهالكة من أسباب و أثاث و حلي بها تحمل من أثمان جميعها ما قدره ثلاثة آلاف دينار و مائتا دينار ثنتان (3200) و بيع نصف خروبة كانت لها بمركب بن رجب رايس بثلاثمائة دينار (300) و بيع جميع ما نابها من الجلود البغاري من مغنم إلى ثمن البيع المسطور و إلى الدين المسطور المترتب للهالكة بذمة إبنتها المذكورة بأربعمائة دينار و عشرين دينار (420) ثم أضيف القيمتان المذكورتين إلى ثمن المبيع المسطور و إلى الدين المسطور المترتب للهالكة بذمة إبنتها المذكورة فتعمل من جميع متروك الهالكة المذكورة مقوما و مبيعا و دينا بالإضافة ما قدره سبعة عشر آلاف دينار موحدة (17000) و مائة دينار واحدة و ثلاثة و سبعون دينار (173) بموحدة خرج من ذلك في حق الهالكة المذكورة، و مؤن تجهيزها مائة دينار واحدة (100) و في دين عليها لبعل إبنتها المذكورة و هو السيد أحمد المذكور مائتا دينار ثنتان و خمسون دينار (250) كل ما ذكر فيه من المبيع.

و الخارج المذكورين بذكر الوارثين و الناظر المذكورين أسقط جميع الخارج المذكور و من المتحمل المسطور بقي للقسم بين من ذكر بعد مراعات الخارج المذكور ما قدره ستة عشر آلاف دينار (16000) بمثنات مؤخرة و ثمانمائة دينار و ثلاثة و عشرون دينار (823) أقسم ذلك بينهم على قدر نصابهم المذكورة من فريضتهم المسطورة ناب من ذلك كل واحد من الوارثين و جانب الوصية المذكورين ما قدره خمسة آلاف دينار و ستمائة دينار (5600) بتأخير المثنات و سبعة دنانير موحدة (7) و كسر الدينار.

حوسبت البنت المذكورة بثمن المبيع المذكور كله لتحصل جميع ذلك بيدها و بقيمة ما قوم عليها من العلوي المذكور و بالدين المترتب عليها بذمتها للهالكة المذكورة زاد عندها على منابها المذكور ما قدره ستة آلاف دينار (6000) بمنتان (200) مؤخرة و أربعمائة دينار و ستة و ستون دينار (466) بمثنات مؤخرة في العقد...

كما حوسب العاصب المذكور بقيمة جميع الحانوت المذكورة و بقيمة ربع العلوي المذكور المقوم عليه ذلك أنها بقي لتمام منابه المذكور ما قدره خمسمائة دينار و سبعة دنانير (507) قبض جميع ذلك من البنت المذكورة مما زاد عندها على منابها باعتراف القبض التام و من يجب اراؤه من ذلك الإبرام العام و ما بقي عند البنت المذكورة مما زاد عندها على منابها بعد مراعات ما قبضه منها العاصب المذكور.

دفعت من جميع الخارج في الكفن و التجهيز و دين بعلها المبين ذلك كله ءانفا و الباقي ما قدره خمسة آلاف دينار و ستمائة دينار (5600) بتأخير المثنات و سبعة دنانير (7) و كسر الدينار تؤدي بجانب الوصية و ذلك ما ينوب جانب الوصية المذكورة.

ثم أنها دفعت بجانب فقراء الأندلس المذكورين جميع الخمسمائة (500) دينار الموصى لهم بها قبضها منها الناظر الحاج عبد القادر المذكور باعتراف قبضا تاما و دفعت لمباركة المذكورة جميع الخمسين دينار (50) الموصى لها بها قبضتها منها اعتراف قبضا تاما و دفعت مما ذكر أيضا في ثمن أمة أعتقت عن الهالكة المذكورة ليصل بها بذلك أربعمائة دينار (400) و ما بقي من العدد المتعين بجانب الوصية بعد مراعات ما خرج منه فيما ذكر و ذلك أربعة آلاف دينار و ستمائة دينار (4600) بتأخير المثنات و سبعة و خمسون دينار (57) بموحدة بقي تمت يدها على وجه الحفظ و الأمانة لجعل الموصية

المذكورة النظر لها في الوصية المذكورة إلى أن يشتري بشطره ملكا يكون وقفا على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة و فقراء الأندلس على النسبة المفسرة و يشتري شطر الآخر ملكا يكون وقفا على أولادها المذكورين و ذريتهم و ذرية ذريتهم ما تناسلوا و بعد انقراضهم يكون المرجع في ذلك لفقراء الحرمين و فقراء الأندلس.

على النحو الموقوم و ذلك كله بمقتضى نص الموصية المذكورة حسبما بين و فسر في ذلك صدر الوثيقة... فبعد كون ما ذكر كما ذكر حضر الآن بمحضر شهيد به البنت و العاصب المذكوران في حق أنفسهما و الناظر السيد الحاج عبد القادر المذكور في حق جانب الفقراء المذكورين و وافقوا على الجميع ما ذكر فيه الموافقة التامة.

و توصل العاصب المذكور لجميع ما بقي... منابه بعد محاسبته بما قوم عليه كما توصلت البنت المذكورة لجميع العدد الباقي في جانب الوصية بعد إخراج ما ذكر منه تحت يدها إلى أن تعرفه فيما ذكر اعتراف التوصل التام و سلم كل واحد من البنت و العاصب المذكوران للآخر تملك منابه مما قوم عليه فتسلمه منه بعد المعرفة بقدر ذلك كله و على السنة و على السنة و مرجع... حيث يجب و تفاضل الوارثان و الناظر المذكوران في جميع متروك الهالكة المذكورة بمفاضلة تامة آتية على القليل و الكثير... و الخطير بحيث لم يولوا أحد ممن ذكر قبل من عداه في جميع ما ذكر بقيمة حق و لا دعوى و لا مطلب أصلا بوجه و لا حال و خلص بما سطر فيه للبنت آمنة المذكورة جميع الثلثين من ثلاثة أرباع العلوي المذكور و الذي نسبة ذلك من جميعه ربعا اثنان.

كما خلص اللعاصب محمد المذكور تملك جميع الحانوت المذكورة مع جميع الثلث الواحد من ثلاثة أرباع العلوي المذكور الذي نسبة من جميعه ربع واحد الخلوص التام و تقررت الشراكة الآن بين البنت و العاصب المذكورين في جميع العلوي المذكور و المشتمل على طبقتين ثنتين دون الحانوت المذكورة على نسبة أن للبنت المذكورة من جميعه بما رقم فيه و بما كان لها أصلا ثلاثة أرباعه و للعاصب السيد محمد المذكور ربعه الباقي و على.... بينهما الآن في جميعه بتوافقهما على إشاعته التقرر التام و شهد بل و الدنانير المذكورة فيه كلها جزائرية خمسينية العدد من سكة التاريخ و شهد عليهم مما فيه عنهم في أحوالهم الجائزة شرعا و عرضهم آمنة و مباركة المذكورتين بتعريف بعل آمنة و هو السيد أحمد المذكور بتاريخ أوائل شهر ربيع الأول الأنور النبوي من عام واحد و تسعين و ألف به ملحق مثاله في ذلك و مصلح...

الضمير من إبنته و مخرج و أربعمائة دينار (400) و خرج آخر مثال و له فجعل آخره المذكورة مع الجميع منه للتاريخ محمد السعدي بن محمد التواتي وفقه الله بمنه و نص خطاب القاضي صح ما فيه من التفاضل عنده نمقه الفقير إليه تعالى حسين القاضي بمحروسة الجزائر و عفى عنه.

انتهت قليلها بأصلها بما تلته و شاكلته و نقل شهادته منه إليها محققا لها ذاك موطنها بتاريخ أوائل صفر الخير من عام اثنين و تسعين و ألف (1092هـ)".

"الحمد لله... بعد أن خلص للمكرم و الأجل السيد محمد بن المرحوم و السيد محمد الغبري المذكور في النسخة التي يلصق آخرها عندها بأولها إن شاء الله تعالى تملك جميع الحانوت الكائنة بسوق المقايسية قرب باب البحر داخل محروسة الجزائر التي هي الآن في اعتماد ووسط عبد الرحمن المقايسي المذكورة

معه حيث أشير بمضمن ما سطر حيث أوصى الخلوص التام و كان ذلك كذلك باع الآن السيد محمد المذكور من ابن عم أبيه و هو المعظم الناسك الأبر السيد الحاج عبد القادر بن الحاج علي الغبري الناظر هو الآن على أوقاف فقراء الأندلس القاطنين بمحروسة الجزائر و من ابنة عمته و على الولية الحرة آمنة بنت المرحوم الحاج مصطفى... و الثلاثة بينهما جميع الحانوت المذكورة.

على أن السيد الحاج عبد القادر المذكور منها ثلثا واحد و لامنة المذكورة ثلثين اثنين بما لها من حدود و حق داخلا و خارجا بيعا تاما مستوى في الشروط الشرعية بثمن قدره فيما بيع كافة حقوقها ثلاثة آلاف دينار (3000) جزائرية خمسينية العدد قبضها منهما على وفاتها و تمامها اعترافا قبضا تاما و ابراهما من جميع جميعها أبراه عاما و سلم لها تملك المبيع المذكور. تم تسليم واعمرها بين بل سلماه منه ملكا دونه بعد معرفتهم...

ثم شهد السيد الحاج عبد القادر المذكور ابتاعه لثلث الحانوت المذكورة إنما هو لجانب أوقاف فقراء الأندلس القاطنين بالبلد المذكور و بما تحصل لهم بيده دفع عنهم ما يخصهم من الثمن الموقوم و ذلك ألف دينار (1000) واحد و هي التي كان قبض لهم شطرها الواحدة من متروك برحمة عمة البائع المذكورة متوفاة في النسخة الموصي إليها لا يصابها بربع ذلك عن شقيقها المرحوم السيد محمد و البائع المذكور من ثلث متخلفها. حسبما بين، حيث أشير و شطرها الآخر كان قبضه لهم من البائع المذكور من متروك والده السيد محمد المذكور لكون الألف دينار (1000) المذكورة كانت كلها بذمة السيد المذكور بجانب الفقراء المذكورين.

كما أشهدت آمنة المذكورة أن لبنت عمها لثلثي الحانوت المذكورة إنما ذلك لجانب فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة زادهما إليه شرفا على نسبة أن فقراء الحرمين المذكورين من ذلك ثلثين اثنين و لجانب فقراء الأندلس ثلثا واحدا و مما تعين لهم من الثلث الذي كانت أوصت لهم به أمها المرحومة فاطمة المذكورة حيث أوصى الباقي لهم ذلك تحت يدها حسبما بين حيث أشير، دفعت عنهم ثلثي الثمن الموجود و الأحق للمبتاعين المذكورين مع من ذكر... و بهذا صارت الحانوت المذكورة كلها حبسا على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة زادهما الله شرفا و فقراء الأندلس بالبلد المذكور على نسبة أن لفقراء الحرمين الشريفين منها أربعة أتساع و لفقراء الأندلس بإضافة الثلث الذي ابتاعه لهم الحاج عبد القادر المذكور إلى ما نابهم في مشتري آمنة المذكورة خمسة أتساع إشاعة بينهم فيما يختلونها كإختلالهم سائر الأوقاف الموقوفة عليهم حيث لا تباع و لا تشترى و يكون النظر في ثلثي الحانوت المذكورة للمبتاعة آمنة المذكورة مدة حياتها لجعل لها ذلك حسبما ذكر حيث أشير و بعد إنقراض فقراء الأندلس من البلد المسطور يرجع منابها من جميع الحانوت المذكورة لفقراء الحرمين... لم يعرف منهم التاريخ تقدم بنحو عشرة (10) أشهر و تأخر الكتب و وضع الشهادة فيها في أوائل صفر الخير من عام اثنين و تسعين و ألف 1092هـ".

- و جاء في حاشية النسخة الأولى من الوثيقة ما يلي:

"الحمد لله بصدور الإشتراك الربع بين الولية آمنة بنت الحاج مصطفى شهر جراد الأندلسي و بين المعظم السيد محمد بن السيد المذكورين في النسخة المنتسخة أمامه في جميع العلوي الكائن بسوق

المقايسية المشتمل على الواحد العلوي كما هو مبين و مسطر من هذا بشهادة الفقير المعدلين المرضيين السيد محمد ابن الحاج بلقاسم و السيد حمودة بن منصور وقف على رقم التحبيس المذكور شهيداه كما انتقل على ملك الولية، آمنة بنت الحاج مصطفى جراد المذكور جميع الغرفة الواحد من العلوي... التحبيس المذكور شهادة تامة. و قد ترتب بذمة الولية آمنة بنت الحاج مصطفى جردا المذكور بجانب الوصية التي أوصت بها أمها فاطمة بنت أحمد الغبري ما قدره أربعة آلاف دينار و تسعمائة دينار و سبعة و خمسون دينار (4657)... كما مبين في الرسم الأخير سجل الرسم المنتسخ أمامه بشهادة أول شهيد عن غيره و بقي بذمته جميع الشطر الآخر من العدد الموصى به الذي قدره ألفا دينار اثنتان و ثلاثمائة دينار و ثمانية و عشرون (2328)... و على عقبه و عقب عقبه ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام فإن انقرضوا عن آخرهم. يكون ذلك وقفا على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة و فقراء الأندلس القاطنين بمحروسة الجزائر... الجائزة شرعا و عرفها بتعريف المعظم الأجل الزكي الأفضل الخير الأكمل الناسك ابن السيد الحاج عبد القادر ابن الحاج علي الغبري بتاريخ أواخر شهر رمضان المعظم...".

- و جاء في حاشية النسخة الثانية من الوثيقة ما يلي:

« ... النسخة المنتسخة أمامه في جميع العلوي الكائن بسوق المقايسية المشتمل على طبقتين اثنتين المذكور معهما حيث اشترى على نسبة أن للولية آمنة ثلاثة أرباع و للسيد محمد المذكور الربع الواحد الباقي منه بمحضر ما قيد، حيث أوصي و على الشهيد بينهما فيه، و كما انتقل على ملك الولية آمنة بنت الحاج مصطفى المذكورة جميع الغرفة الواحدة من الطبقة العليا التي تشرف الغرفة المذكورة على الطريق الجادة و هي ربعا واحدا من جميع العلوي المذكور بالتحبيس على ولدها المعظم الأجل السيد الحاج محمد الشريف ابن السيد أحمد ابن الحاج علي... ما قدره اربعمائة آلاف دينار و ستمائة دينار و سبعة و خمسون دينار (4657) على أن يشتري بهما ملكين إثنين واحد يكون وقفا على ولدها و الآخر يكون وقفا منجزا كما هو مبين و مفسر في النسخة الموصى إليها.

و ابتاعت الولية آمنة المذكورة بشطر العدد المترتب بذمتها... بعدد الموصى به الذي قدره ألفا دينار اثنان و ثلاثمائة دينار و ثمانية و عشرون دينار أو كسر الدينار (2328). أشهدت الولية آمنة بنت الحاج مصطفى جراد و المذكورة شهيد به على نفسها أنها صبرت في جميع العدد المترتب بذمتها الجانب الحبس جميع... لفقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة و فقراء الأندلس القاطنين بمحروسة الجزائر على نسبة أن لفقراء الأندلس من غلة الحبس المذكور ثلثا واحدا و باقية لفقراء الحرمين الشريفين.

كما نصت عليه أمها فاطمة المذكورة نصيبا تاما و خلص الابن بهذا النصيب و بما كان له... الحاج عبد القادر ابن الحاج علي الغبري بتاريخ أواخر شهر رمضان المعظم قدر الملاح خمسة و مائة بعد الألف و له نصية من معناه في الأصل الذي أخذت منه النسخة المنتسخة أمامه في التاريخ".

وثيقة رقم 06

علبة 5-1، وثيقة 36، أواخر شهر شوال عام 1149هـ/1737م.

موضوع الوثيقة: تتناول رسم تحبيس لصالح فقراء الحرمين الشريفين و فقراء زاوية الأندلس، من طرف المحبس السيد عبد القادر بن الحاج عبد الرحمن المعروف بابن العطار، بعد تسوية الإرث.

"... خلص السيد عبد القادر بن الحاج عبد الرحمن المعروف بابن العطار أنه حبس و وقف جميع الدار و اصطبلها القريبة من العين الحمراء و مجاورة لدار ابن الرواز... حيث أوصى الخلوص التام حضر بمحضر شهير به عبد القادر المذكور و أشهر مما على نفسه أنه حبس و وقف لله تعالى جميع الدار و اصطبلها المذكورين ابتداء على نفسه ينتفع بغلتها مدة حياته مقلدا في ذلك نية الإمام حنيفة النعمان رضي الله عنه جميعهم و أرضاهم، و بعد وفاته يرجع ذلك حبسا على بنيته الموجودتين و هما ديرومة و آسية و ما يتزايد له بقيمة عمر ان قدر الله بذلك و زوجه الولية ابنة ابراهيم أم ابنتيه المذكورتين مدة (كذا) أما فإن تزوجت ينتقل نصيبها من ذلك لأولادهما... في الخمس ثم إلى أولاد أولادها المحبس و ذرية ذرية و أعقابهم و أعقاب أعقابهم و ذرية ذرياتهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام على أن يكون بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين.

فإن انقضت ذرية المحبس المذكور و لم يبقى منهم أحد ينتقل المحبس المذكور لشقيقه السيد ابراهيم ثم على أولاده و أولاد أولاده و ذريته و ذرية ذريته و أعقابه و أعقاب أعقابهم ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام يكون ذلك بينهم على النحو المرقوم فإن انقرضوا عن آخرهم يرجع ذلك حبسا على شقيقته الولية نفسه ثم على أولاد و أولاد أولادها و ذريتها و ذريتة ذريتها و أعقابها و أعقاب أعقابها ما تناسلوا و امتدت فروعهم في الإسلام يكون ذلك بينهم على النحو المفسر. إنما لا يرضى من المحبس عليهم المذكورين في المحبس المذكور للأبناء مع وجود الآباء و الطبقة السفلى مع العليا و من مات منهم عن ذرية رجع نصيبه لمن عداه لذريته و من مات عن غير ذرية رجع نصيبه لمن عداه فمن هو في درجته من المحبس عليه.

فإن انقرضوا عن آخرهم و آتى الامام على جميعهم يرجع شطر المحبس المذكور على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة زادهما الله مهابة و تعظيما و الشطر الآخر لفقراء زاوية الأندلس من بلد الجزائر المحمية بالله تعالى... انتهت قابلة من أصلها المنقولة منه فأما نما سواء من حقوق المقابلة و التصحيح لذلك و بصحة المقابلة... قيد شهادة هنا عبد الله تعالى بتاريخ أواخر شوال عام 1149 تسعة و أربعين مائة و ألف...".

وثيقة رقم 7

علبة 34، وثيقة 163-34ف، ذي الحجة عام 1152هـ/1739م

موضوع الوثيقة: تتناول رسم تحبيس لدار و جنينة بمليانة و بحيرة بفحص حروشة قرب مليانة، من طرف السيد علي طوليض الأندلسي، لفائدة فقراء الحرمين الشريفين، بعد تسوية الإرث.

"الحمد لله هذه نسخة رسم ينتقل هنا للحاجة إليه و التوثق به و نصه الحمد لله و صلى الله على سيدي و موكلي محمد و آله و سلم شهودا الموضوعة فيه أسماؤهم عقب تاريخه يشهرون بضمنه و بأنهم يعلمون و يتحققون من غير شك منهم في علمهم و من جميع لما تزعم المكرم الصابر إلى عبد الله و كرم السيد محمد بن سندبار...

و ذلك الدار الكائنة بحومة العين الكبيرة داخل محرمة مليانة و الجنينة الملاصقة لها و البحيرة الكائنة بفحص حروشة المحاذية لوادي بوتكتون خارج البلد المذكور. حبس معقب على أولاده و أولاد أولاده إلى هلم جرا و بعد انقراضهم يصير وقفا على فقراء الحرمين الشريفين مكة و المدينة على صاحبهما أفضل

الصلاة و أزكي التسليم هذا ما بصمت به الشهود و حققته إشهادا صحيحا تاما سمع منهم و أصروا عنهم و هم بالحالة الجائزة شرعا علم كما ذكر و تقرر على نحو ما سطر و بمضمنه قيدت شهر و ذلك شهر ذي الحجة الحرام أمر متتم عام اثنين و خمسين و مائة و ألف (1152هـ) المكرم المسمى علي طوليض الأندلسي شهر بما به و المكرم الناسك الحاج محمد بن سي علي برنونة شهر بما فيه و المكرم المسمى أحمد... و نص كاتباه الحمد لله ثبت الرسم المقيض أعلاه أعزه الله فأجاب عنه بتاريخ أعلاه عبيد ربه... و نص ما فيه عنده نمقه الفقير إلى الله سبحانه و تعالى محمد بن عبد الرحمن في بلد مليانة عفى الله عنه بيمينه انتهى فاصلها بأصلها المنقول نصا سواء و حقق المقابلة و انتهى كما يلي و بصحته دلت قيد شهادته هنا أوائل محرم الحرام عام مائة و ثلاثة و خمسين و ألف".

وثيقة رقم 08

علبة 106، وثيقة 3-9ف: أوائل رمضان من عام 1052هـ/1642م

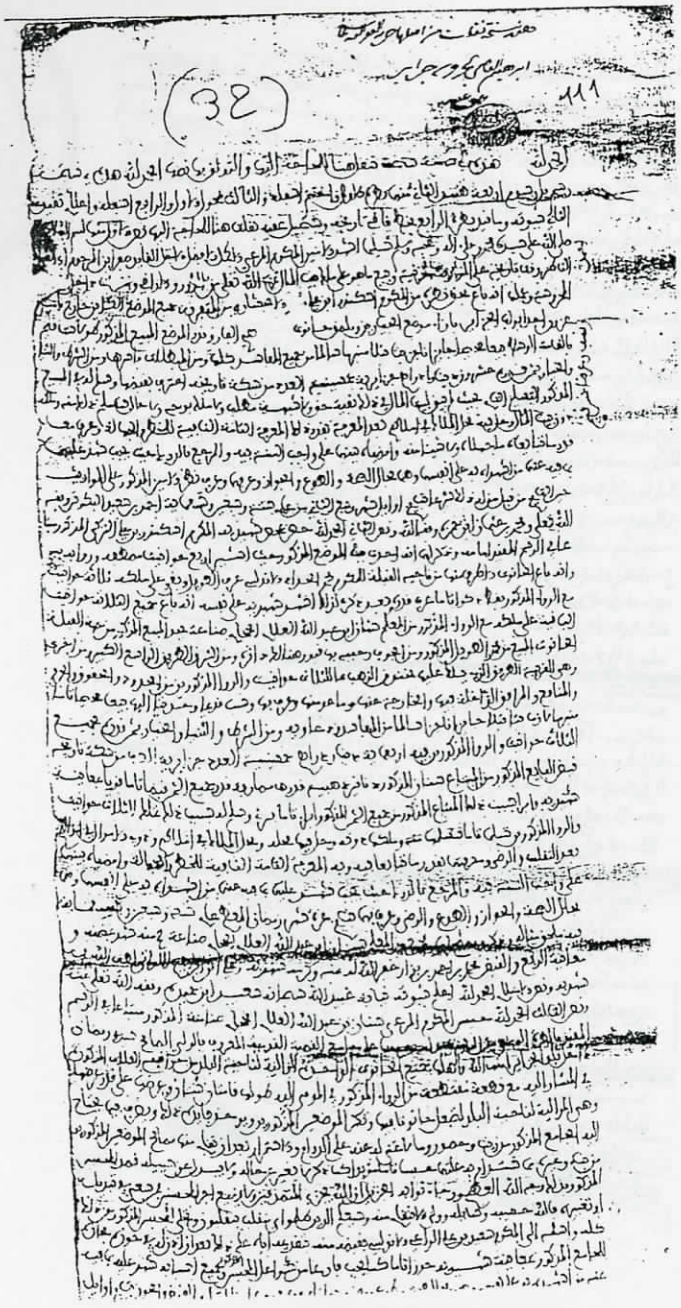
موضوع الوثيقة: تتناول شاء جنة بفحص السد خارج باب الوادي بمدينة الجزائر من طرف أندلسي و إثبات ملكيتها بإشراف القاضي الموثق بالجزائر. و قدر ثمن الجنة بـ 3000 دينار.

« الحمد لله يشهد به من من يقضي إسمه... فعرف الجنة الكائنة بفحص السد المعروف بالمنعم جعفر... خارج باب الوادي أحد أبواب الجزائر المحمية بالله المجاورة من ناحية لجنة موسى الحمراء... و من يشهد المعظم محمد ابن مصطفى و المعلم موسى الحمراء ابن أحمد الأندلسي و الحاج محمد بن بكير الأندلسي و علي بن علي الأندلسي...

الحمد لله أشهر الشيخ الفقيه العالم العلامة... محمد ابن الشيخ عبد الرحمن قاضي الجزائر المحمية بالله أنه كتب الرسم المفيد أعلاه...

الحمد لله بعد أن... اشتراك بين الزوجين السيد علي بن بكير... جميع الجنة الكائنة بفحص السد المذكور أعلاه على نصيب لكل منها نصيبا ثم توفيت الحرة عزيزة المذكورة عن بعلها السيد بن بكير المذكور... و اتفق الشركاء المذكورون على بيع الجنة المذكورة... و قلة منفعتها لضياعها و رفعوا أمرهم إلى الشيخ الفقيه... الحاج محمد بن الشيخ عبد الرحمن قاضي الجزائر المحمية و طابعه الرفيع أحسن الله إليه و سالوا منه النظر في ذلك بإذن لهم ابتاع منه شهيرا لثبوت... بمحضر شهد به السيد مصطفى المذكور في حق نفسه في حق ابنه و بحوزة علي بن علي بن بكير المذكور... و الزوجة فاطمة المذكورة في حق نفسها باعا واحدا من المكرم الأفضل الحاج أحمد بن سعيد الأندلسي جميع الجنة المذكورة و حقوقها و حرمها و منافعها و منابعها و مرافقها داخلا و خارجا فيها... بثمن قدره في الجنة المذكور و في كافة حقوقها ثلاثة آلاف دينار كلها خمسينية (3000) العدد قبض السيد مصطفى المذكور و الشاب حميدة... من المبتاع المذكور جميع الثمن المذكور قبضا تاما... بتاريخ اوائل شهر رمضان عام اثنين و خمسين و ألف...".

قسم
حفظ الأرشيف
ومعالجته

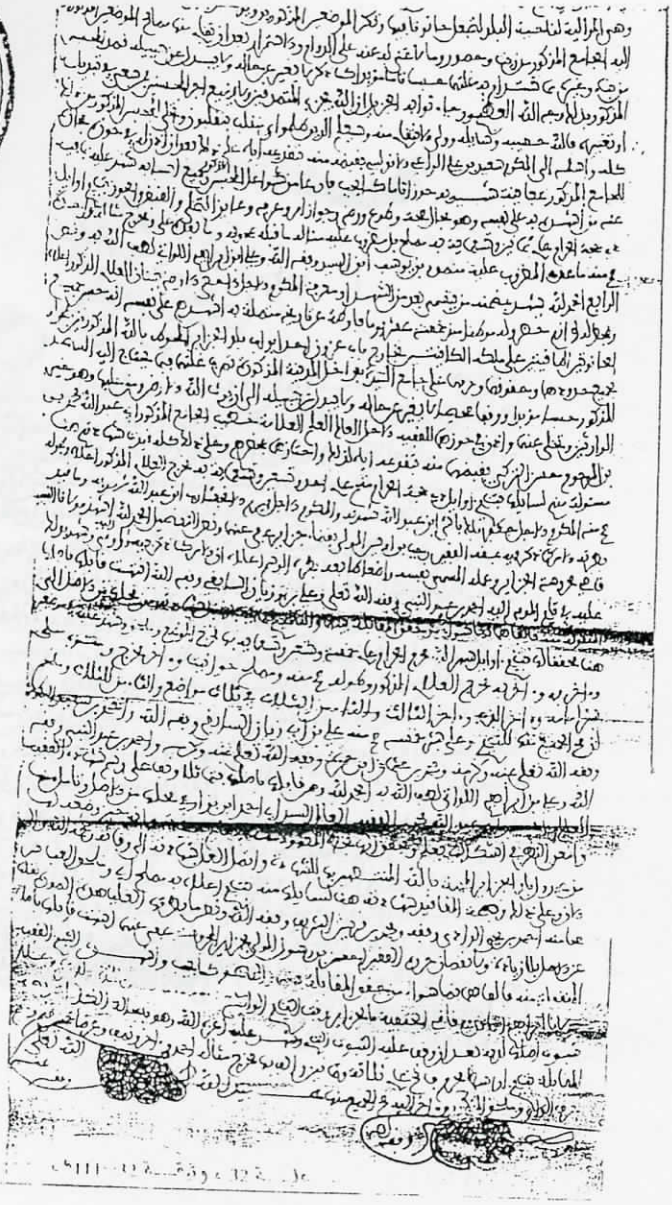


(32)

111

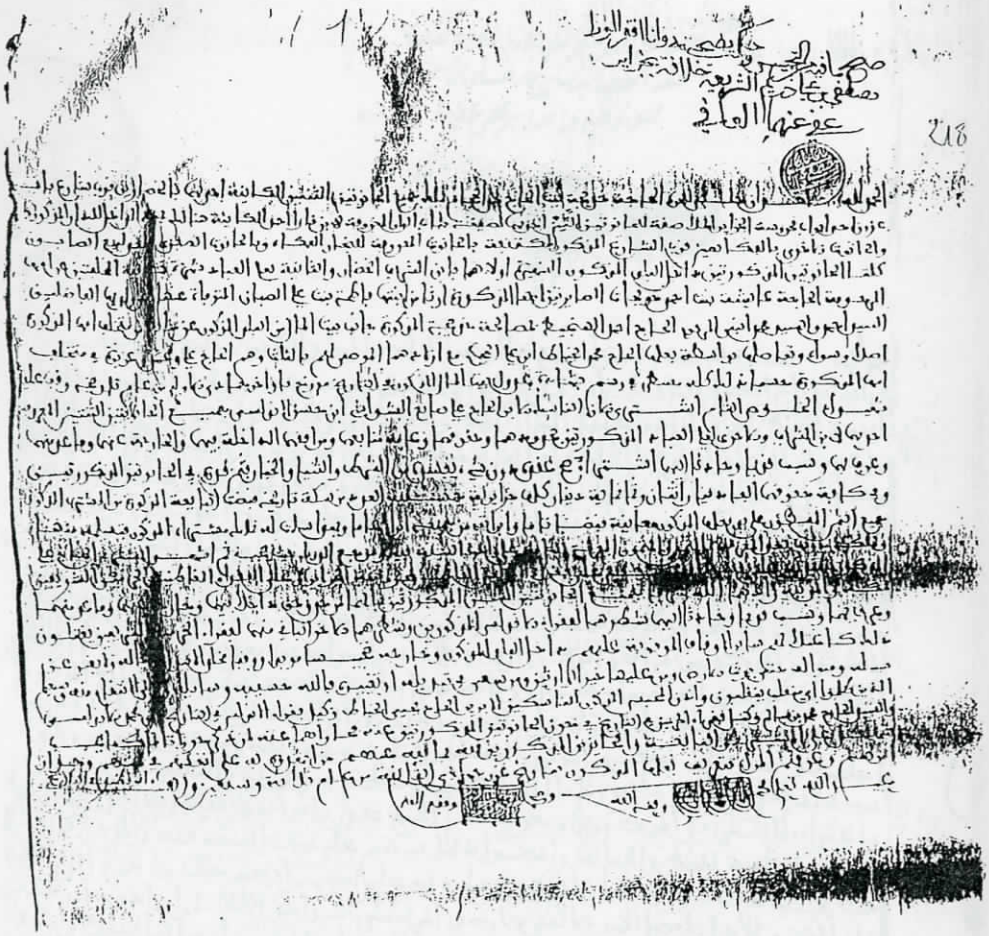
علبة 32 ، وثيقة 32-111ف

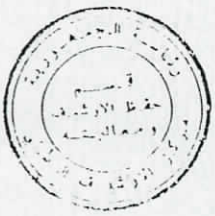
قسم
حفظ الارشيف
ومعالجته



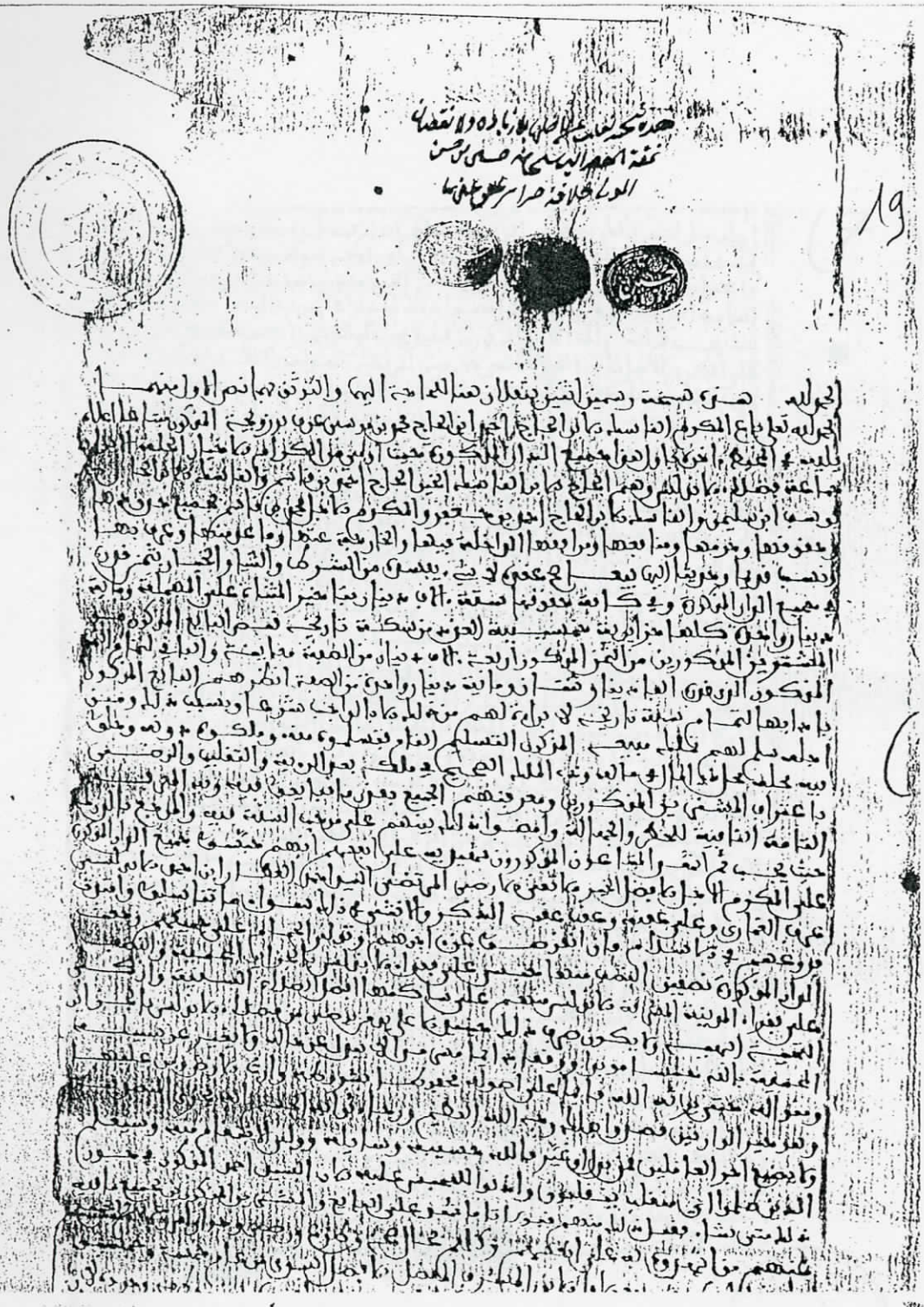


- علبة 102–103 ، وثيقة 65–9ف

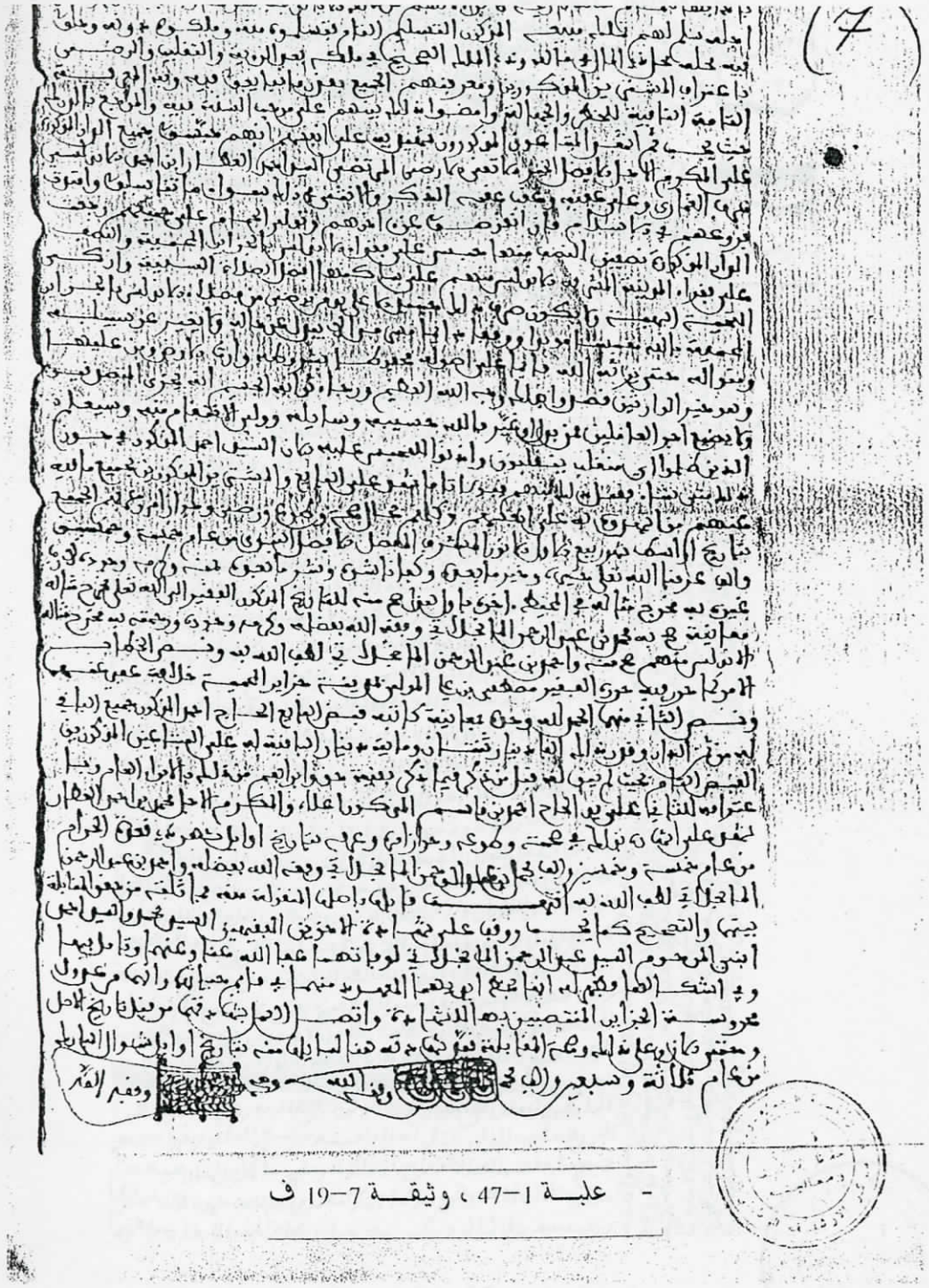




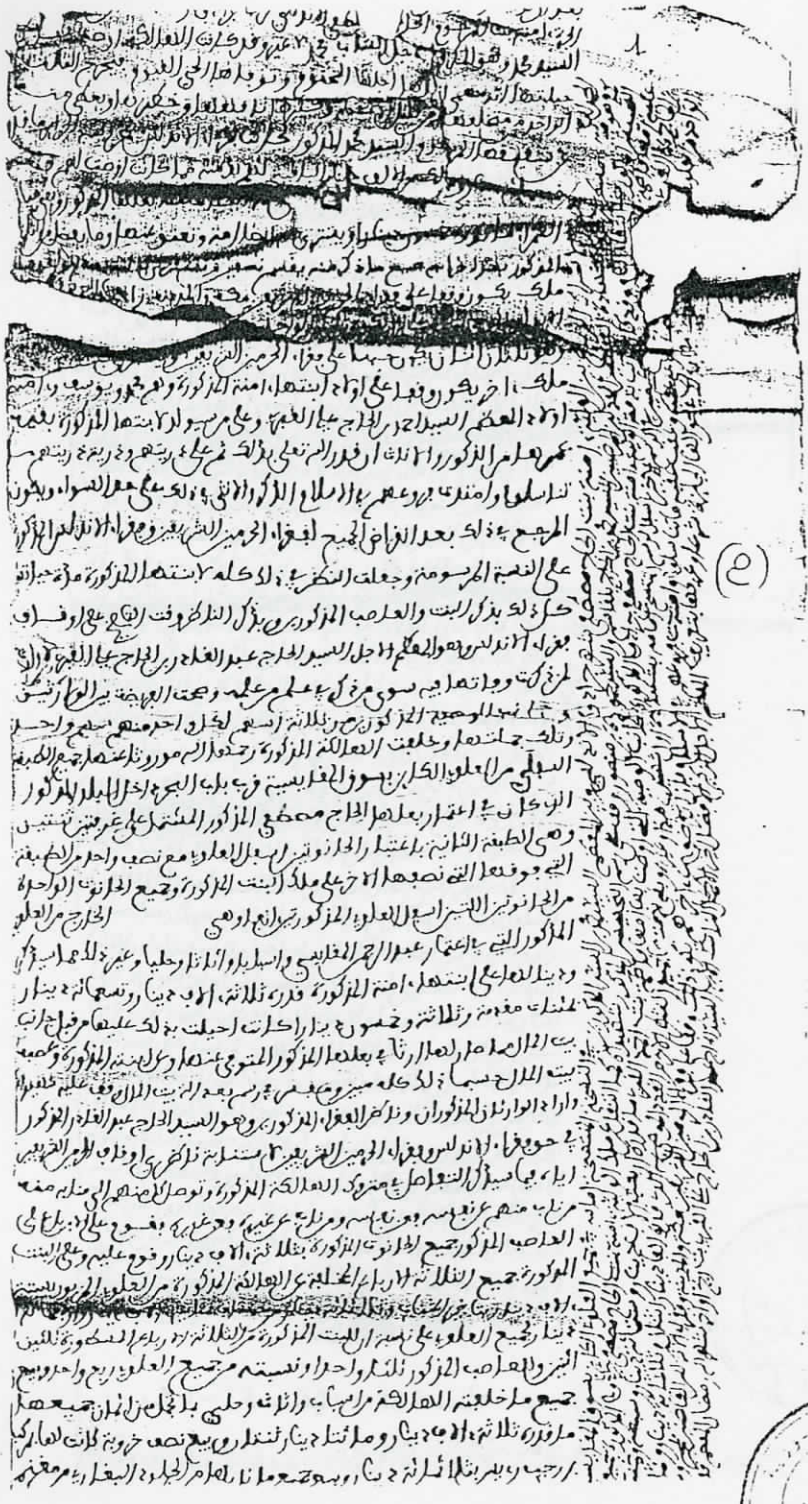
علبة 16 مكرر، وثيقة 1-218 ف



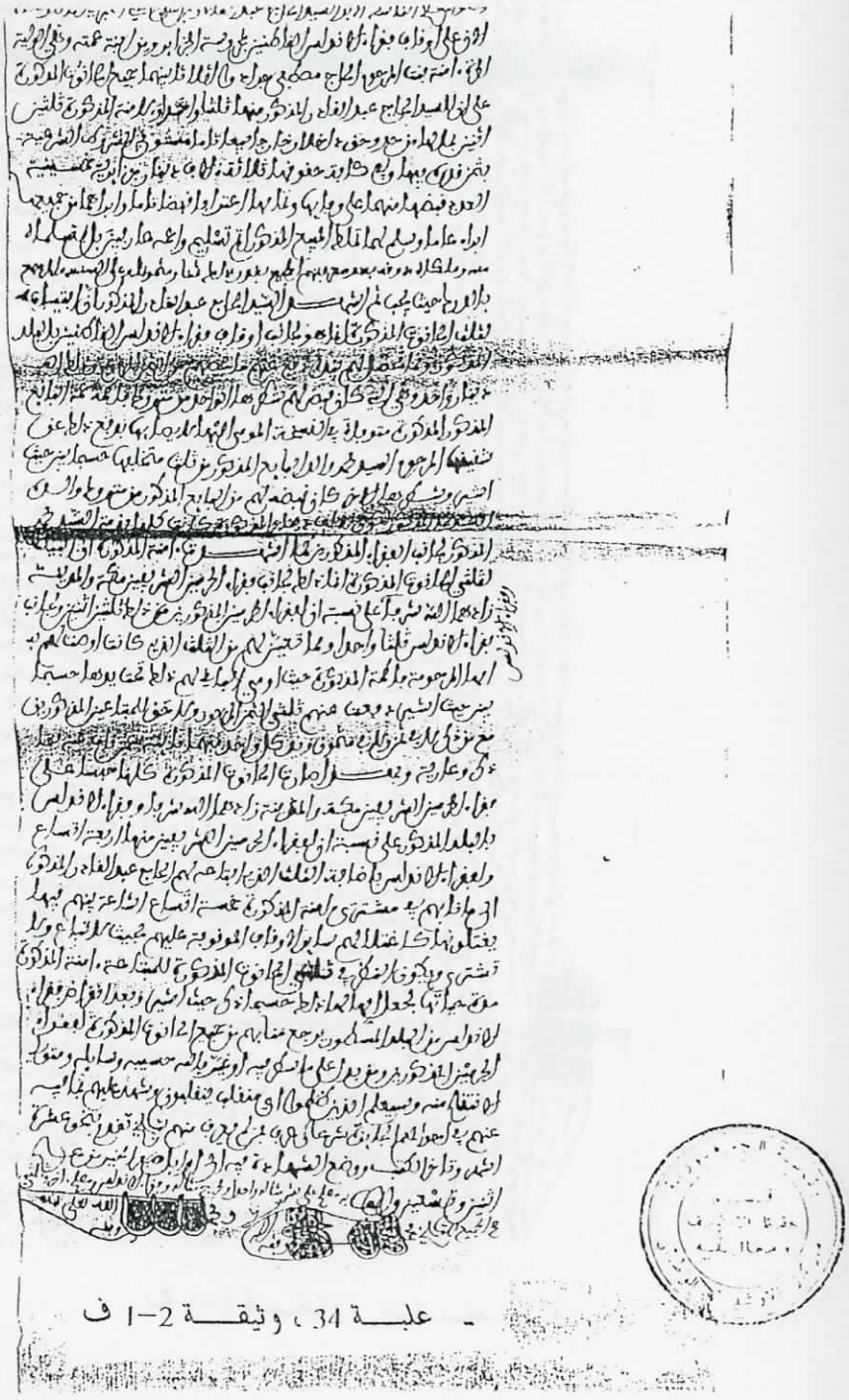
- علبة 1–47 ، وثيقة 7–19 ف



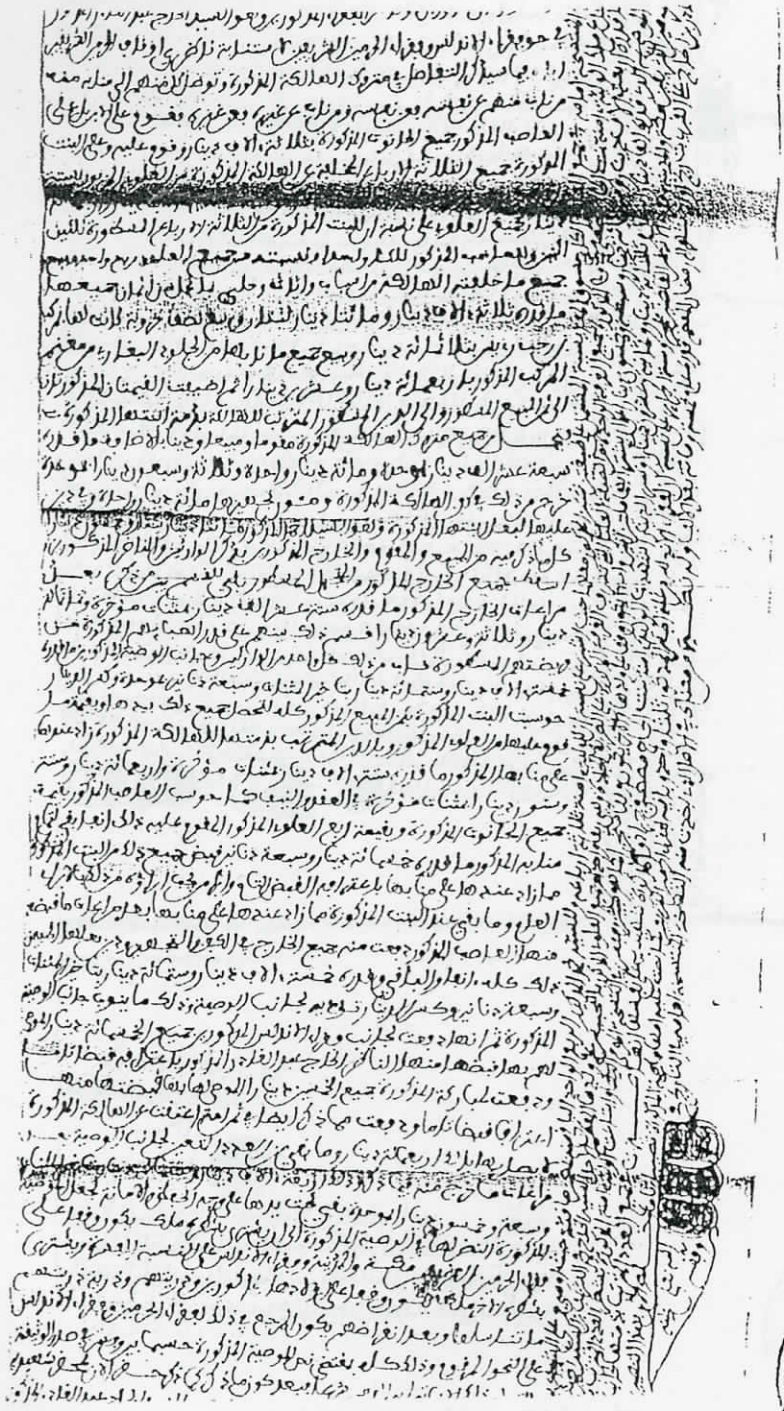
- علبة 1-47 ، وثيقة 7-19 ف -



- علبة 34 ، وثيقة 2-1 ف 1 ف .



علبة 34 ، وثيقة 2-1 ف



علبة 34 ، وثيقة 2-1 ف



- علبة 34 ، وثيقة 2-1 ف



- علبة 5-1 ، وثيقة 36 ف

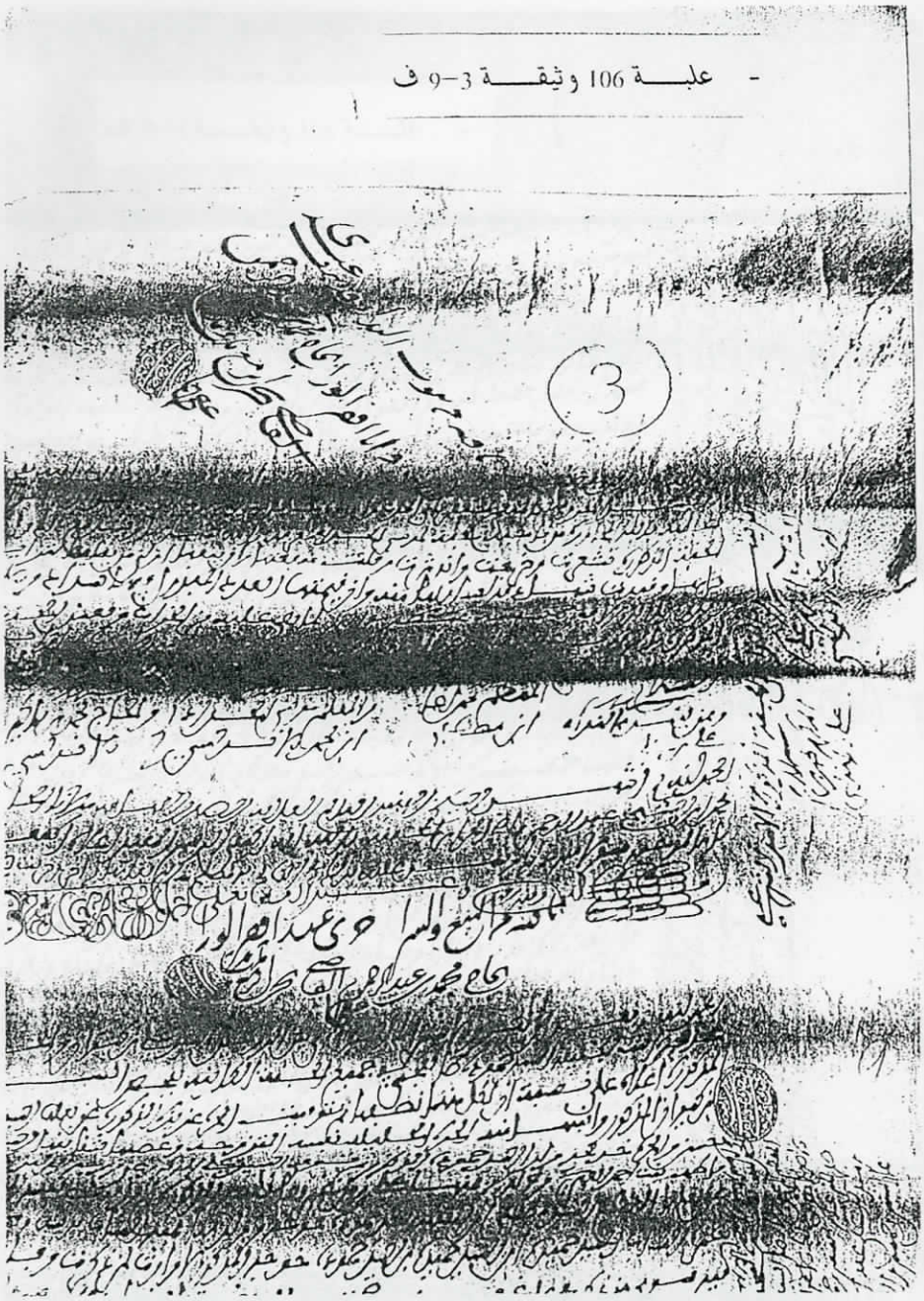
(163)

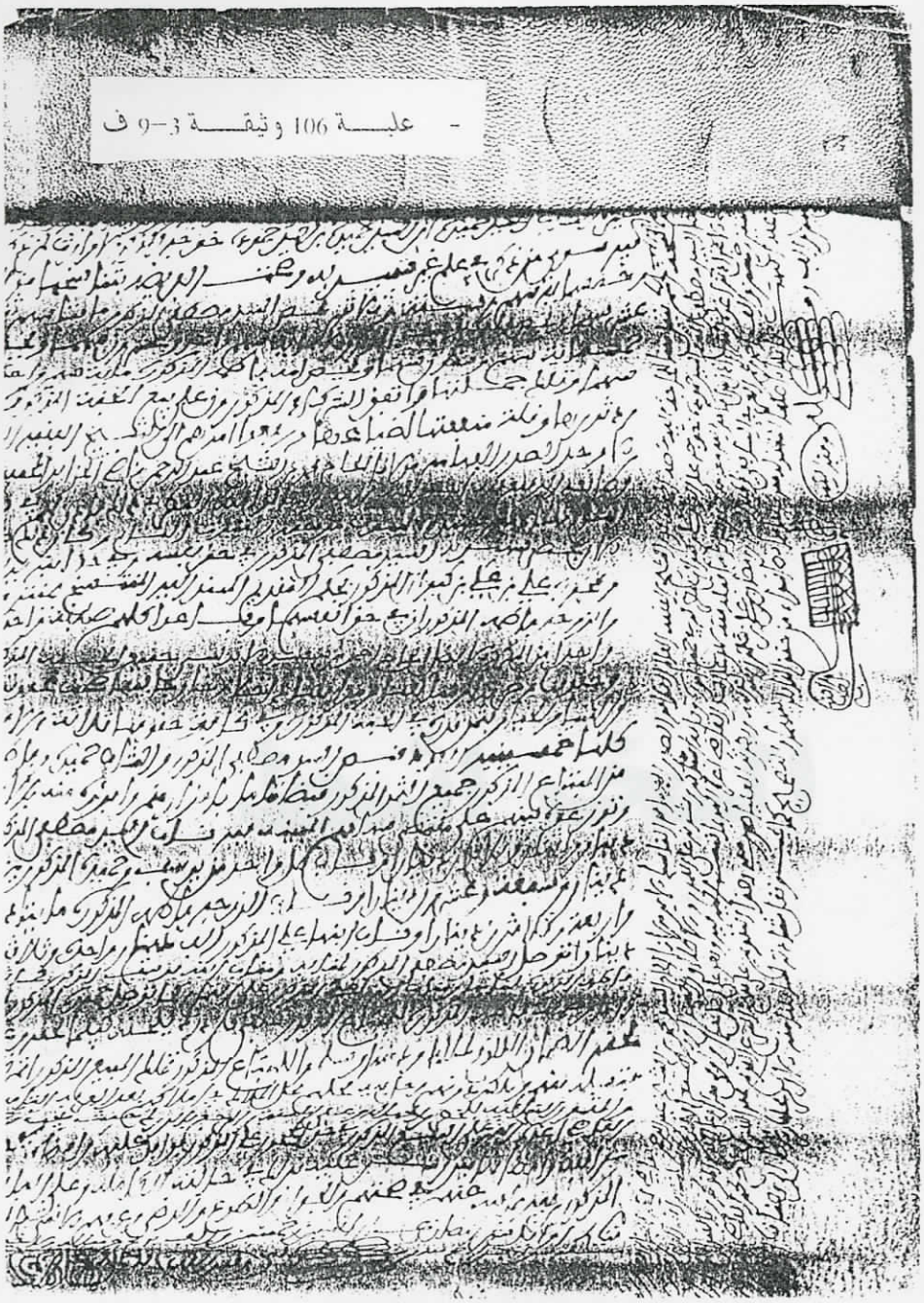
34



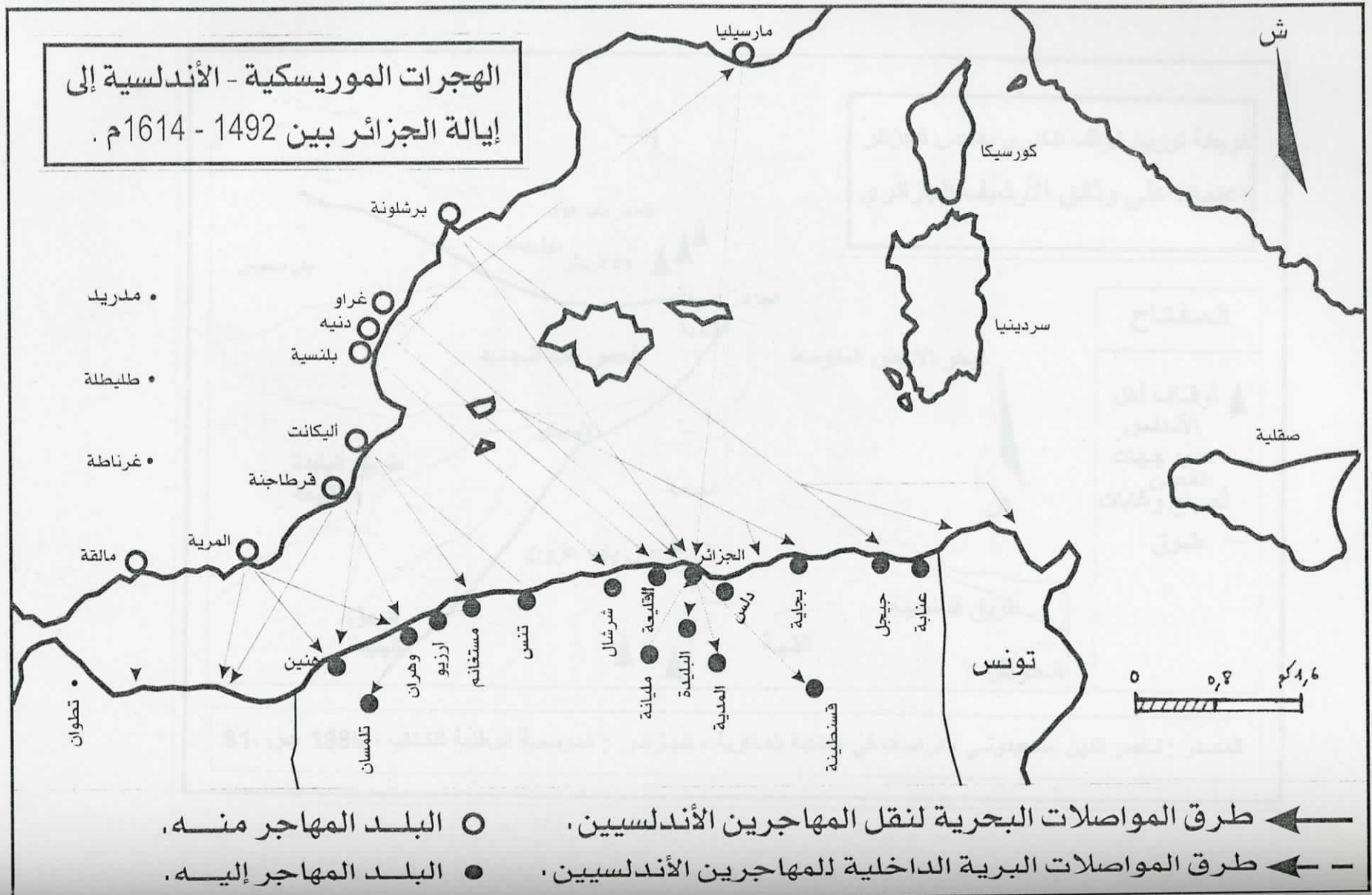
- علبـــة 34 ، وثيقـــة 163–34 ف

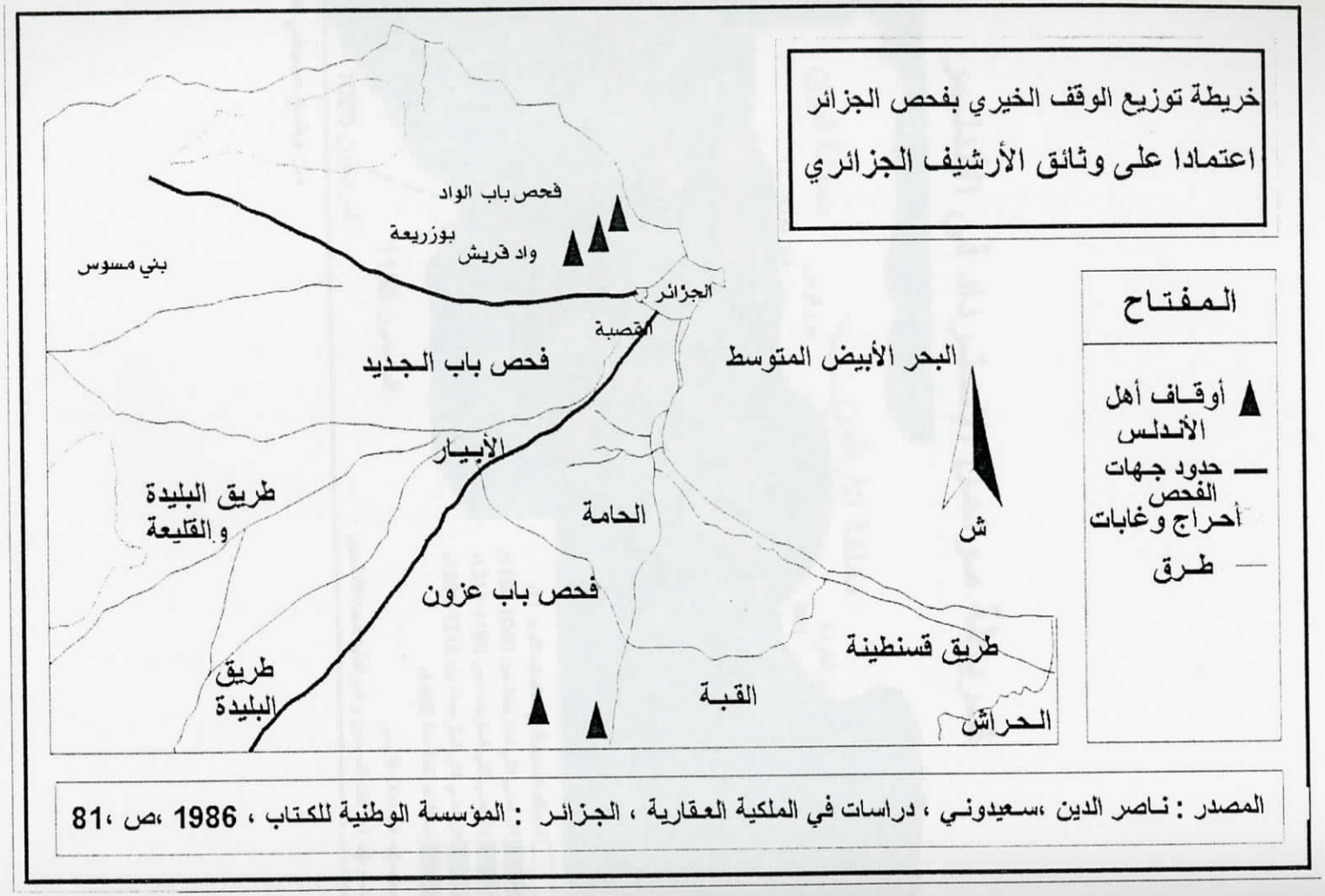
- علبـــة 106 وثيقـــة 3–9 ف




- علبة 106 وثيقة 3-9 ف

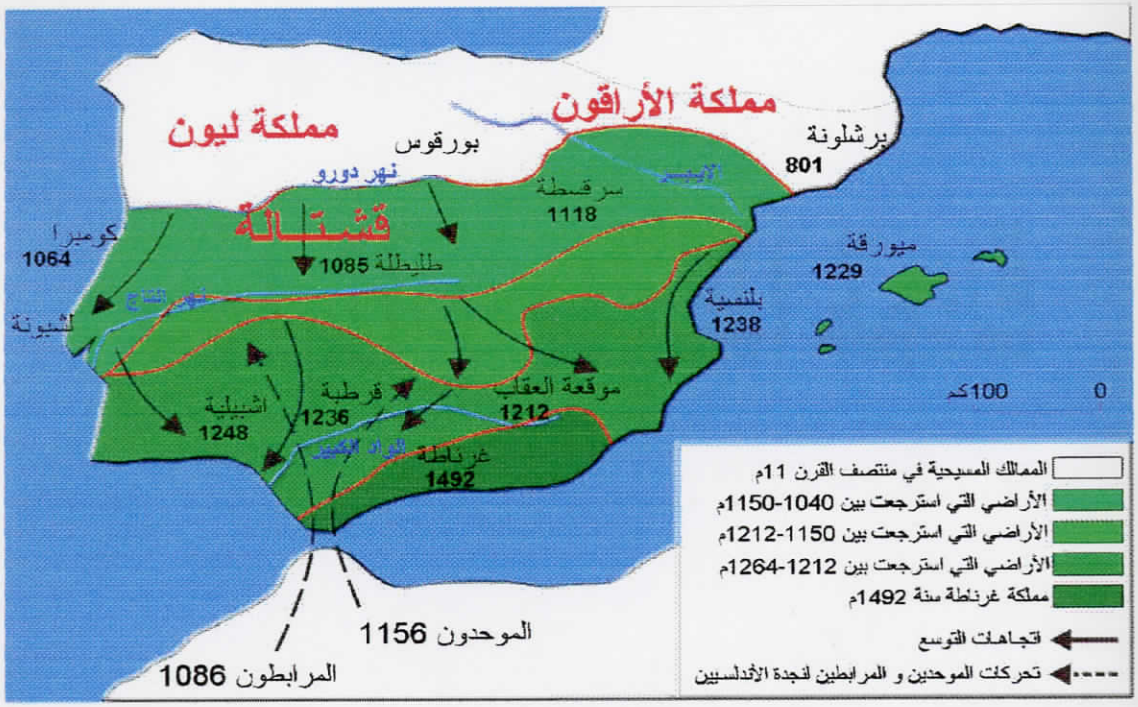
الخرائط


الهجرات الموريسكية - الأندلسية إلى
إيالة الجزائر بين 1492 - 1614م .
ش
مارسيليا
كورسيكا
سردينيا
صقلية
برشلونة
غراو
دنيه
بلنسية
مدريد
طليطلة
غرناطة
ألبكانت
قرطاجنة
المرية
مالقة
الجزائر
بجاية
جيجل
عنابة
تونس
شرشال
القليعة
مليانة
البليدة
المدية
قسنطينة
وهران
أرزيو
مستغانم
تنس
تلمسان
تطوان
0 0,8 1,6 كم
طرق المواصلات البحرية لنقل المهاجرين الأندلسيين.
طرق المواصلات البرية الداخلية للمهاجرين الأندلسيين.
البلد المهاجر منه.
البلد المهاجر إليه.



المصدر : ناصر الدين ،سعيدوني ، دراسات في الملكية العقارية ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ،ص ،81

خـريـطة مـراحـل الإسـتـرداد في الأنـدلـس



من وضع حنيفي هلايلي

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

I- باللغة العربية

اولا: الوثائق

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري

1- مهمة دفتري

- مهمة دفتري رقم 23/حكم 244/ تاريخ 19 رجب 981هـ/ السبت 14 نوفمبر 1573م.

- مهمة دفتري رقم 23/ حكم 284/ تاريخ 27 رجب 981هـ / الإثنين 23 نوفمبر 1573م.

2- سجلات المحكم الشرعية:

- علبة 34، وثيقة 2-1

-علبة 32، وثيقة 32-111 ف

- علبة 106، وثيقة 3-9

- علبة 16 مكرر، وثيقة 1-218 ف

- علبة 1-47، وثيقة 7-19 ف

- علبة 5-1، وثيقة 36

- علبة 34، وثيقة 163-34 ف

ثانيا: المخطوطات

1- مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1623

2- مؤلف مجهول، قانون أسواق الجزائر، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1378، 116ص.

ثالثا: المصادر المطبوعة:

1- **ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد**، المقدمة، ط 6 ، بيروت: دار القلم، 1989.

2- **ابن خلدون، يحي بن محمد**، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (تحقيق:د. عبد الحميد حاجيات) ج1، الجزائر، 1980.

3- **ابن أبي دينار، أبو عبد الله الرعيني**، المؤنس في أخبار افريقية و تونس (تحقيق: محمد شمام)، تونس: المكتبة العتيقة، 1967.

4-**ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي**، صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

5- **ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله**، أعمال الأعلام (تحقيق و تعليق د. احمد مختار العبادي و أ – محمد إبراهيم الكتابي)، في كتاب تاريخ المغرب لعربي في العصر الوسيط، القسم الثالث، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964

6- **الإدريسي، أبو عبد الله محمد الشريف السبتي**، نزهة المشتاق (الجزء الخاص بالقارة الإفريقية و جزيرة الأندلس) (تحقيق و تقديم و تعليق: إسماعيل العربي)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

7- **البكري، عبد الله بن عبد العزيز المرسي**، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب (نشره دي سلان)، باريس، 1965.

8- **الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد**، طبقات المشايخ بالمغرب (تحقيق: إبراهيم طلاي)، قسنطينة، 1974.

9- **الراشدي، احمد بن محمد بن علي بن سحنون**، الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني (تحقيق و تقديم البوعبدلي المهدي)، قسنطينة: منشورات وزارة التعليم الأصلي، سلسلة التراث، 1973.

10- **الشهاب الحجري، أحمد بن قلسم**، ناصر الدين علي القوم الكافرين، (تحقيق: محمد رزوق)، الدار البيضاء، 1987.

11- **الغبريني أحمد أبو العباس**، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء السابعة ببجاية (تحقيق: ررابح بونار)، الطبعة 2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.

12- **مؤلف مجهول**، الإستبصار في عجائب الأمصار (تحقيق و تعليق: د. عبد الحميد زغلول)، الدار البيضاء، 1985.

13- **مجهول كتاب غزوات عروج و خير الدين** (تصحيح و تعليق: نور الدين عبد القادر)، الجزائر: المطبعة الثعالبية، 1934.

14- **المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، (نشر و تحقيق: د. إحسان عباس)، بيروت: دار صادر، 1988، 8 أجزاء.

15- **الونشريسي، أحمد بن يحي**، المعيار المعرب و الجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية و الأندلس و المغرب (إشراف: محمد حجي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، 13 جزءا.

16- **الوزان، الحسن بن محمد**، وصف إفريقيا (ترجمة: محمد حجي و محمد الأخضر)، الرباط، 1982، جزءان.

رابعا: المراجع

1- **ابن عبد الكريم، محمد**، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية (دراسة و تحقيق)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981.

2- **أرفينج، واشنطن**، سقوط غرناطة (ترجمة و تعليق: إسماعيل العربي)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

13- **رائف، أحمد**، و تذكروا من الأندلس الإبادة، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

14- **رزوق، محمد**، الأندلسيون و هجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17م، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 1991.

15- **رزوق، محمد و آخرون**، التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، الدار البيضاء: لشركة النشر و التوزيع و المدارس، 1991.

16- **سبنسر، وليم**، الجزائر في عهد رياس البحر (تعريب و تعليق: د. عبد القادر زبادية)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980.

17- **سعد الله، أبو القاسم**، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1981، جزءان.

18- **سعد الله، فوزي**، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزائر: شركة دار الأمة، بدون تاريخ:

19- **سعيدوني، ناصر الدين**، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

20- **سعيدوني، ناصر الدين**، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة و المعاصرة)، ج2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

21-**سعيدوني، ناصر الدين**، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830) الطبعة 2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

22- **سعيدوني، ناصر الدين**، دراسات في الملكية العقارية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

3-**بوعزيز، يحي**، علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500-1830، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1985.

4- **التميمي، عبد الجليل**، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين، زغوان: سيرمدي، 1991.

5- **التميمي، عبد الجليل**، دراسات في التاريخ الموريسكي الأندلسي، زغوان، سيرمدي، 1993.

6- **جوليان، شارل أندري**، تاريخ إفريقيا الشمالية (تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة)، الطبعة2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983، جزءان.

7- **جمال الدين، عبد الله محمد**، المسلمون المنصرون او الموريسكيون الاندلسيون، الطبعة 1، القاهرة: دار الصحوة، 1991.

8- **الجيلالي، عبد الرحمان**، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: المطبعة العربية، 1375هـ-1955م.

9- **حتاملة: محمد عبده**، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1474-1516م)، الطبعة 1، عمان: منشورات الجامعة الأردنية، 1980.

10- **حمادي، عبد الله**، الموريسكيون و محاكم التفتيش في الأندلس (1492-1616م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب و الدار التونسية للنشر، 1989.

11- **الحمروني، أحمد**، الموريسكيون الأندلسيون في تونس: دراسة و بيبليوغرافيا، الطبعة1، تونس: ميدياكوم، 1998.

12- **حومد، أسعد**، محنة العرب في إسبانيا، الطبعة1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1980.

23- **سفطي، أحمد**، دراسات في الموسيقى الجزائرية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

24- **الشناوي، عبد العزيز**، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، 1980.

25- **شوفالييه، كورين**، الثلاثون سنة لقيام دولة مدينة الجزائر (ترجمة حمادنة جمال)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، بدون تاريخ.

26- **الطمار، محمد**، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1983.

27- **الطمار، محمد**، تلسمان عبر العصور، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

28- **عنان، محمد عبد الله**، نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين، الطبعة4، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987.

29- **فارس، محمد خير**، تاريخ الجزائر الحديث، من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي، الطبعة 2، بيروت، مكتبة دار الشرق، 1979.

30- **قنان، جمال**، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987.

31- **كارديناك، لوي**، الموريسكيون الأندلسيون و المسيحيون، المجابهة الجدلية (1492-1640م)، (تعريب و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، الجزائر: الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

32- **لونقا، بدرو**، الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين (تعريب: د. جمال عبد الرحمان و مراجعة: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سبريدي، 1993.

33- **لي، شارل**، العرب و المسلمون بعد سقوط غرناطة، (تعريب حسن سعيد الكرمي)، بيروت، منشورات: دار لبنان للطباعة و النشر، 1988.

34- **المدني، أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا (1492-1792)، الطبعة2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.

35- **نوشي، أندري** و آخرون، الجزائريين الماضي و الحاضر (ترجمة: إسطمبولي رابح و منصف عاشور)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

36- **وولف، جوب (ب)**، الجزائر و أوروبا (ترجمة و تعليق: د. أبو القاسم سعد الله)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.

37- **يلس، شهاب و سعيدوني، ناصر الدين**، الفهرس التحليلي للوثائق التاريخية الجزائرية للرصيد العثماني (1058-1279هـ/ 1648-1862م)، الجزائر، 1981.

خامسا: الدوريات

1- **أجقو، علي** :" الدولة الجزائرية الأولى (1514-1830)، دراسة مؤسساتية"، **مجلة العلوم الإجتماعية**، جامعة باتنة، العدد 2، ديسمبر، 1994، ص 137-154.

2- **برافوكار، خوان خيسوس** :" عواقب طرد الموريسكيين في مملكة غرناطة" (تعريب و مراجعة د. عبد الجليل التميمي)، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 69-70، تونس، ماي، 1993، ص 309-310.

3- **التميمي، عبد الجليل** :" رؤية منهجية لدراسة العلاقات العثمانية – المغربية في القرن 16م"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 29-30، تونس، جويلية، 1983، ص 71-107.

4- **التميمي، عبد الجليل** :" الخلفية الدينية للصراع الإسباني العثماني على الإيالات المغاربية في القرن السادس عشر"، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 10-11، تونس، جويلية، 1978، ص 5-44.

5- **التميمي، عبد الجليل** :" أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519م"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 6، تونس، جويلية، 1976، ص 116-120.

6- **التميمي، عبد الجليل** :" الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 23-24، تونس، نوفمبر، 1981، ص 187-293.

7- **التميمي، عبد الجليل** " مناورات لخطة عصيان بالأندلس سنة 1582 و دور الجالية الموريسكية بإستانبول في سياسة هولندا حيال طرد الموريسكيين سنة 1610"، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 95-96، زغوان، ماي 1999، ص 671-690.

8- **التميمي، عبد الجليل** :" رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1541" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 3، تونسن جويلية 1975، ص 37-47.

9- **التميمي، عبد الجليل** :" رسالة من السلطان العثماني أحد الأول إلى دوج البندقية حول الموريسكيين"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 7-8، تونس، جانفي 1977، ص 7-14.

10- **التميمي، عبد الجليل** :" فهرس الدفاتر العربية و التركية بالجزائر" **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 2، تونس، جويلية 1975، ص 134-150.

11- **حركات، إبراهيم** :" مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد الموريسكيين"، **مجلة الأصالة**، عدد خاص، الجزائر، جويلية 1975، ص 277،490.

12- **رزوق، محمد**:" الجالية الاندلسية بالمغرب العربي: تونس و الجزائر"، **المجلة التاريخية المغاربية**، العدد 43-44، تونس، نوفمبر 1986، ص 107-144.

13- **سعيدوني ناصر الدين**:" الاندلسيون (الموريسكيون) بمقاطعة الجزائر (دار السلطان) أثناء القرنين السادس عشر و السابع عشر"، **حوليات جامعة الجزائر**، العدد 7، الجزائر، 1993، ص 107-129.

14- **سعيدوني، ناصر الدين:** « صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر » ، **المجلة العربية**، العدد 27، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، سبتمبر 1994، ص 222-243 .

15- **سعيدوني ناصر الدين:** « من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر: الشبكة المائة في العهد العثماني» ، **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 9، جامعة الجزائر، 1415هـ/1995، ص 61-81.

16- **الصباغ، ليلى :** «ثورة مسلمي غرناطة عام 976 هـ أواخر عام 1568 م، و الدولة العثمانية» ، **مجلة الأصالة**، العدد 27 ، الجزائر ، سبتمبر - أكتوبر 1975، ص 116-175.

17-**طالبي ، محمد:** « الهجرة الأندلسية إلى افريقيا أيام الحفصيين » ، **مجلة الأصالة**، العدد 26،الجزائر، جويلية-أوت، 1975،ص 64-78.

18- **عبد الله الشيخ، عبد الرحمان:** « دور المسلمين في إنهاك الاقتصاد الإسباني في القرن السادس عشر و بداية القرن 17م» ، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز** للآداب و العلوم الاسبانية، الرياض، 1408هـ -1988م،ص 121-146.

19-**العكاك، عثمان:** « عنابة قبل و بعد الإسلام» ، مجلة الأصالة، العدد 34-35،الجزائر، جويلية 1976، ص 117-118.

20 -**عنان، محمد عبد الله:** «موقف القسطنطينية و باقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها و أمام الغزو الأوروبي للعالم الإسلامي عموما» ، **مجلة الأصالة**، العدد 27،الجزائر، 1975،ص 101-115.

21-**غطاس، عائشة:** « سجلات المحاكم الشرعية و أهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بمجتمع مدينة الجزائر في العهد العثماني» ، وهران، **المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجية و العلوم الاجتماعية** عدد 3-1997،ص 69-86.

22- **فورنال جاكلين، قارين:** « الصيدلية الموريسكية وممارسة الطب لدى المجموعة الموريسكية بمنطقة أرغوان 1540- 1620»، (تعريب د، عبد الجليل التميمي)، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 15-16، تونس، جانفي 1979،ص 50-60.

23-**القفصي، عبد الكريم:** « الموريسكيون الأندلسيون و تجارة الصوف» الكراسات التونسية، العدد 155-156، تونس،1991، ص 53-83.

24- **مؤنس، حسين** :" أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر"، (تحقيق)، **مجلة الدراسات الإسلامية**، العددان 1-2، المجلد الخامس، مدريد 1957، ص 129-191.

II- باللغة الأجنبية

أولا: المصادر المطبوعة

1- **BORNAT Y BARRACHINA (Pascual)**, los moriscos espanoles Y sur expulsion, Espana, ed Earsimil, 1992.

2- **DAN (P)**, Histoire de la Barbarie et ses corsaires, Paris , 1637.

3- **DE PARADIS (Venture)**, Tunis et Alger au XVIIIe siècle (Présenté par Cuoq Joseph), Paris, ed Sindbad, 1983.

4- **DESFONTINES (R.L)**, Frangments d'un voyage dans les régences d'Alger et de Tunis 1785-1786, Paris, 1958.

5- **HAEDO (Fray Diegode)**, Histoire des Rois d'Alger, Traduit et annotée par H.D, de Grammont, Alger, 1881.

6- **Marmol Carvajal (luis de)**, Descripcion général de Africa, Granada, 1573.

7- **PEYSSONNEL (J.A)**, voyage dans les régences de Tunis et d'Alger, Présentation et notes (Lucette Valenci), Paris , ed la découverte, 1987.

8- **Swah Thomas (D)**, voyage dans la régence d'Alger, Traduction par S. Mac carthy, Paris, 1834 .

9 - **Tassy (de) Laugier**, Histoire du royaume d'Alger, Paris, ed Loysel ,1992 .

ثانيا: المراجع

1- **ARIE (Rachelle)**, L'espagne musulmane au temps des nasrides, Paris, P.U.F, 1973.

2- **BELHAMISSI (Moulay)**, Histoire de la marine Algérienne (1516-1830), Alger, ENAL, 2ed, 1986 .

3- **BELHAMISSI (M)**, Histoire de mostaganeme (des origines à l'occupation française), Alger, C.N.E.H, 1976.

4- **BELHAMISSI (M)**, MAZOUNA, une petite ville, une longue histoire, Alger, SNED, 1982.

5- **BENNASSAR (Bartolomé)**, l'inquisition Espagnol Xvé Xxé Siècle, Paris, Hachette, 1979.

6- **BRAUDEL (Fernand)**, La Méditerranée et le monde méditerraniéen à l'époque de philippe II, Paris, Armand colin, 2ed, 1966.

7- **CARO (Baroja)**, los Moriscos del reino de granada, Madrid, 1976.

8- **Chouraqui (André)**, Les juifs d'Afrique du Nord, Paris, P.U.F, 1952.

9- **COHEN (Bernard) et AYOUN (Robert)**, Les juifs d'Algérie deux milles ans d'histoires judaique, Paris, 1982.

10- **DEFONTIN (Maxange)**, EUD j'Ali, Paris, edition, A. Pedone, 1930.

11- **DHINA (A)**, Les Etats de L'occident musulman au XIIIe, XVIe et Xve siècle, Alger, O.P.U, 1984.

12- **DESOLA (Jean)**, Histoire d'ESpagne, Paris, 1979.

13- **DOMINGUEZ Ortiz (A) et vincent (Bernard)**, Historia de los moriscos, vida y tragedia de una minoria, Madrid, Biblioteca de la Revista de occidente, 1978.

14- **EISENBETH (Maurice)**, Le judaisme nord Africain, études démographiques sur les ESRAELITES, Constantines, S.D.

15- **EPALZA (Miguel. de) et petit (Ramon)**, Etudes sur les moriscos andalous en Tunisie, Madrid - Tunis Direccion général de relaciones culturales 1973.

16- **GAID (Mouloud)**, l'Algérie sous les Turcs, Alger, Edition Mimouni, 2ed, S.D.

17- **GAIGNARD (Catherine)**, Maures et chrétiens à grenade 1492-1570, Paris, L'harmattan, 1997.

18- **GARCIA ARENAL (Mercedes)**, Los moriscos, Madrid, Biblioteca de Visonarios, 1975.

19- **GRAMMONT (H.D. de)**, Histoire d'Alger, sous la domination Turque 1515-1830, Paris, 1887.

20- **HAUSER (Henri)**, la préponde reine Espagnol, 1559-1660, Paris, lib. Félix Alcan, 1933.

21- **HERMOSSILLA (Y), Cardaillac**, la magie en Espagne morisques et vieux chrétiens XVIé et XVIIé Siècle, Bordeaux, 1994, 2 Tomes.

22- **KARMEN (Henry)**, Histoire et L'inquisition Espagnole, Traduction (Tanette et H. DE Lattre), Paris, 1966.

23- **Lapyre (Henri)**, Géographie de l'Espagne morisque, Paris, S.E.V.P.E.N, 1959.

24- **LEROY (Beatrice)**, L'expulsion des juifs d'ESpagne, Paris, ed Beg - international, 1990.

25- **MANTRAN (Robert)**, ISTANBUL dans la 2ème moitie du XVIIe Siècle, Paris, ISTANBUL, 1962.

26- **Monlai (jean)**, les etats Barbaresques, que sais - je? , Paris, P.U.F, 1964.

27- **PEREZ (Joseph)**, ISABELLE et FERDINANN, rois catholiques d'ESpagne, Paris, Arthère Fayard, 1988.

28- **TEXTAS (GUY) et TESTAS (jean)**, L'inquisition, que sais-je?, Paris, P.U.F, 4ed, 1983.

29- **TRUMELET (c)**, Blida, Recits selon la légende la Tradition de L'histoire, Alger, 1887.

30- **VIDAL (jeanne)**, Quand ou Brûlait les morisques (1544-1621), Nimes, 1986.

31- **Villot (Roland)**, ARZEW des origines à nos jours, oran, editions peritti, 3ed, 1961.

ثالثا: المقالات

1- **AYOUN (R)**, « Les juifs d'oran avant la conquête Française », in, **R.H**, (N° 542), 1982 , PP. 377-395.

2- **BENCHENEB (S)**, « Un acte de vente adressé à Alger en 1648 », in, **R.A** (N° 89), 1945, PP. 287-290.

3- **BERBRUGGER (A)**, « El Hadj Pacha », in, **R.A** (N° 8), 1864, PP. 290-301.

4- **BRAUDEL (F)**, « Les Espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577 », in, **R.A** (N° 69), 1928, PP. 184-233 et 351-428.

5- **BRAUDEL (F)**, « conflits de refus de civilisation, Espagnoles et morisques au XVIe Siècle »,in, **Annales, E.S.C**, II, octobre, décembre 1947, N° 4, pp. 379-410.

6- **BRAHIMI (Denise)**, « Quelques jugements sur les maures Andalous dans les régences Turques », in, **Revue d'histoire de civilisation du Maghreb**, N° 9, Juillet 1974, pp. 39-43.

7- **CANTINEAN (J)**, « Lettre du Mofti d'oran aux musulmans d'Andalousie », in, **journal asiatique**, CCX, Janvier - Mars, 1927, pp. 5-13.

8- **CARRASCO (Rafael) et Gouzalez (A)**, « Le problème morisque dans les iles de la méditerrannée » in, **R.H.M**, N° 35-36, Tunis, Juiellet, 1984, pp. 37-70.

9- **CARRASCO (R) et Gonzalez (A)**, « Péril morsique et solidarité ottomane », in, **R.H.M**, N° 25-26, Tunis, Juin, 1982, pp. 33-50.

10- **CHAUNU (Pierre)**, « Minorités et conjonctures, L'expulsion des morisques en 1609 », in **Revue Historique**, CCXXV, 1961, N° 1,pp.89-97.

11- **DELA Primandie (Elie)**, « Document inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnoles en Afrique (1516-1574) », in **R.A** (N° 20), 1876, pp. 136-150.

12- **Djaclov Alexandre (P)**, « MERS el Kebir », in , **R.A** (N° 84), 1940, pp. 157-185.

13- **Devoulx (Albert)**, « La Batterie des Andalous », in, **R.A**, (N° 16°), 1872, pp. 340-342.

14- **Devoulx (A)**, « Les édifices religieux de L'ancien Alger », in, **R.A** (N° 12), 1868, pp. 277-280.

15- **EISENBETH (Maurice)**, « Les juifs en Algérie et en Tunisie à L'époque Turque 1516-1830 », in, **R.A**, (N° 97), 1952, pp. 114-187.

16- **EMERIT (M)**, « Le voyage de la condamine à Alger 1731 », in, **R.A**, (N° 98), 1954, pp. 351-381.

17- **EMERIT (M)**, « Description de l'Algérie en 1787 par L'officier Russe KOKOVTSOV », in, **R.H.M**, N° 4, Tunis, Juiellet, 1975, pp. 209-213.

18- **EPALZA (Miguel. de)**, « Recherces récentes sur les émigrations de « moriscos » en Tunisie in, **cahiers de Tunisie**, Tome XVIII, (N° 69-70, 1970), pp. 139-147.

19- **EPALZA (M.de)**, « Les ottomans et L'insertion au Maghreb Andalous expules d'Espagne au XVIIé Siècle », in, **R.H.M**, N° 13-14, Tunis, Juillet 1979, pp. 165-173.

20- **FEDERMAN (H)** « Sur l'histoire de l'administration du Beylik de Titeri », in, **R.A** (N° 9), 1865, pp. 280-302.

21- **FRANCISQUES (Michel)**, « Les Morisques en France », in, **R.H**.M, N° 55-56, Zaghonan, Décembre 1989, pp. 149-169.

22- **GARCIA ARENAL (Mercedes)**, « Los Moriscos del campo de calatrava des pués de 1610, Segun algunos Procesos inquisitoriales », in , **cahiers de Tunisie**, TXVI, N° 103, 1978, pp. 173-196.

23- **GUIN (L)**, « Quelques notes sur les entreprises des espagnoles pendant la première occupation d'oran », in, **R.A**, (N° 30), 1886, pp. 312-322.

24- **HAEDO (Fray Diedo de)**, « Topographie et histoire général d'Alger », Traduction (Monnereau et A. Berbrugger), in, **R.A** (N° 14), 1871, pp. 41-498.

25- **HALPERIN DONGHI (Tulio)**, « recouvrement au XVIé Siècle » in, **Annales**, E.S.C, N°2, Avril-Juin 1956, pp. 154-182.

26- **QUESLETI (Hedi)**, « **ARGEL**, Seguin E l'dario inedito de Francisco Ximénez (1718-1720) », in, **Revista Sharq al Andalous**, Annales de la universidad de Alicante, N° 3, 1986, pp. 169-181.

27- **VINCENT (Bernard)**, « Les bandits morisques en Andalousie au XVIe siècles », in, **Revue d'histoire moderne et contemporaine**, TXVI, Juillet, Septembre 1974, pp. 389-400.

III – المؤتمرات :

1- Table ronde international sur : « Les morisques et leurs Temps », Montpellier, Juillet, 1981, C.N.R.S, Paris, 1983.

2- **أعمال المؤتمر العالمي الثاني** للدراسات الموريسكية الأندلسية حول : "دين و هوية الموريسكين الأندلسيين و مصادر وثائقهم "(جمع و تقديم : د.عبد الجليل التميمي)، سبتمبر 1983، تونس 1984، جزءان.

3- **أعمال المؤتمر العالمي الثالث** للدراسات الموريسكية الاندلسية حول : "تطبيق الموريسكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية في القرن السادس عشر"، (جمع و تقديم : د.عبد الجليل التميمي)، أفريل 1987، زغوان : سيرمدي 1989.

4- **أعمال المؤتمر العالمي الرابع** للدراسات الموريسكية الاندلسية حول : "مهن الموريسكيين الأندلسيين و حياتهم الدينية و إشكالية التاريخ الموريسكي"، (جمع و تقديم : د.عبد الجليل التميمي)، فيفري 1989، زغوان : سيرمدي، 1990.

5- **أعمال المؤتمر العالمي الخامس** للدراسات الموريسكية الأندلسية حول : " الذكرى الخمسمائة سنة لسقوط غرناطة (1492-1992) "، ديسمبر 1991، زغوان سيرمدي، 1993، جزءان.

6- **أعمال المؤتمر العالمي السادس** للدراسات الموريسكية الأندلسية حول : "وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية) "، (جمع و تقديم : د.عبد الجليل التميمي)، سبتمبر 1993، زغوان : سيرمدي، 1995.

7- **أعمال المؤتمر العالمي السابع** للدراسات الموريسكية الأندلسية حول : "العائلة الموريسكية : النساء والأطفال"،(جمع و تقديم : د.عبد الجليل التميمي)، ماي 1995، زغوان : سيرمدي، 1997.

8- **البيبلوغرافيا العامة** للدراسات الموريسكية الاندلسية (جمع و تقديم: د.عبد الجليل التميمي): زغوان : سيرمدي 1995.

8- كتاب تقديري **للأستاذ لوي كارداك**، (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي، 1995، جزءان.

9- كتاب تقديري **للأستاذ خليل الساحلي أوغلو** (جمع و تقديم: د. عبد الجليل التميمي)، زغوان: سيرمدي، 1997، جزءان.

IV- دوائر المعارف و المعاجم

- **Encyclopédie de l'Eslam**, Paris, N elle éditions, 1993

- Dominique et Janine Sourdel, **Dictionnaire Historiques de L'Islam**, Paris, P.U.F, 1er Ed, 1996.

V- الأطروحات الجامعية

* باللغة العربية

1- **دادة، محمد**، اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن 18 حتى 1830، ماجستير غير منشورة، دمشق، 1985.

2- **سي يوسف، محمد**، قليج علي باشا و دوره في البحرية العثمانية، ماجستير غير منشورة، الجزائر، 1988.

* باللغة الأجنبية

1- **Banafri , (Chakib)**, ENDÜLÜS'TE son Musülüman Kalintisi MORISKO'Larin CEZAYIR'GÖCÜ OSMANLI YARDI MI (1492-1614), ANKARA, 1989.

2- **Cardaillac, (Louis)**, le passage des Morisques en Languedoc, Thése inédite, Montpellier, 1970.

3- **Fournel Guérin (J)** les morisques aragonais et l'inquisition de saragosse (1540-1620), thèse inédite, Montpellier, 1980.

4- **Kamel, (Filali)**, sainteté maraboutique et mystique: contribution à l'étude du mouvement marabontique en Algérie sous la domination ottomane XVIe - XVIIéme Siècle, Thése inédite, strasbourg, 1994.

5- **Ravillard, Martine (N)**, Bibliographie commentée des morisques, Documents imprimés de leur origine à 1982, Thése inédite, Paris, 1980.

6- **SAADAOUI, (Ahmed)**, Etablissement des morisques au Maghreb son impact sur l'urbanisation et la vie urbaine, D.E.A, Paris, 1984.

فهرس الموضوعات

الاهدا ء

مختصرات البحث

المقدمة ..... أ -ح

المدخل 11

الفصل الاول : **الأ ندلسيون في مواجهة المد المسيحي 1492-1614م** 24

1. الأندلسيون في عهد الملكين الكا ثوليكيين 1492-1516م 26

1.1- سقوط غرناطة 26

2.1- الانتفاضات الشعبية 30

3.1- المواجهة الاسبانية 33

2. الموريسكيون في عهد شارل الخامس 1516-1556م 37

1.2- سياسة التنصير و الادماج 37

2.2- المقاومة الموريسكية 41

أ- دور الفقهاء 42

ب-دور المرأة 43

3.2- أسلوب التقية عند الموريسكيين 47

3. المور يسكيون في عهد فليب الثاني و فليب الثالث 52

1.3- فليب الثاني والمشكل الموريسكي 1556-1598م 52

2.3- ثورة غرناطة الكبرى 54

3.3- الموريسكيون في عهد فليب الثالث 1598 -1621م 63

أ- أسباب الطرد النهائي للموريسكيين 66

ب- موقف الموريسكيين من الطرد وتفسيرهم له 69

الفصل الثاني : **الأندلسيون خارج شبه الجزيرة الايبرية** 72

1. انعكاسات طرد الموريسكيين من إسبانيا 76

أ - ديمغرافيا 76

ب- اقتصاديا 77

2. الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين 80

3. الهجرات الموريسكية المختلفة 88

1.3- الهجرة إلى شمال افريقيا 89

أ- الهجرة إلى المغرب الاقصى 89
ب- الهجرة إلى تونس 91
2.3- مرور الموريسكيين بفرنسا وبعض الدول الاوروبية 95
3.3 - انتقال الموريسكيين إلى أراضى الدولة العثمانية 100
4. موقف فقهاء الاسلام من الهجرة الاندلسية 103
1.4- فتوى الونشريسي 103
2.4- فتوى المغراوى 106
الفصل الثالث : **الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط** 112
1. الهجرة إلى المغرب الأوسط قبل سقوط غرناطة 1492م 113
2. الهجرة إلى المغرب الأوسط ما بين 1492-1609م 122
3. الهجرة الأخيرة 1609-1614م 136
4. هجرة يهود شبه الجزيرة الإيبرية إلى المغرب الأوسط 144
الفصل الرابع : **الاسهام الحضاري الأندلسي في إيالة الجزائر** 151
1. الأندلسيون و النشاط الإداري و العسكري 155
2. الأندلسيون و النشاط الاقتصادي 161
1.2- الأندلسيون و النشاط الفلاحي 161
2.2- الأندلسيون و النشاط الصناعي و الحرفي 163
3.2- الأندلسيون و النشاط التجاري 166
3. الأندلسيون و الحياة الاجتماعية 174
4. الأندلسيون و الحياة الثقافية 195
1.4- الأندلسيون و النشاط الثقافي 195
2.4- الأندلسيون و النشاط العمراني 198
الخاتمة 203
الملاحق 205
الخرائط 238
قائمة المصادر و المراجع 242
فهرس الموضوعات 261